393

HARLEQUIN

روايات أحلام

معاً فوق النجوم

جوليا جايمس

www.elromancia.com
مرمورية

معاً فوق النجوم

لم يعد المليونير الإيطالي رافاييللو دي فيسنتى يملك حلاً، فالشركة ستطير من بين يديه. تهديد أبيه واضح و صريح: تزوج وإلا أبيع الشركة!

وهكذا قطع وعداً على نفسه بأن يتزوج أول امرأة يصادفها.

وصادف أن كانت ماغي خادمة منزله...

وكيف لماغي أن ترفض تمثيل دور الزوجة لرافاييللو لمدة ستة أشهر مقابل مبلغ كبير من المال وطلاق سريع!

لكن مخطط رافاييللو ذهب أدراج الرياح بعد الزواج... فلم يعد الطلاق وارداً في تفكيره الآن...

2500ل.ل	1دينار
75ل.س.	10ريال
1.5دينار	8جنيه
750فلس	15درهم
10دراهم	2دينار
10ريال	1ريال

ISBN 9953-15-361-2

جوليا جايمس

تعيش جوليا في بريطانيا. روايات Mills Boon هي أولى كتب «الكبار» التي قرأتها وهي من سن المراهقة، وهي تقرأ هذه الروايات حتى الآن. تحب جوليا أجواء الريف الإنكليزية في كل فصوله وتسحرها قصوره التاريخية ومزارعه القديمة، وهي معجبة أيضاً بطبيعة البلدان المتوسطية التي تعتبرها الأجمل بعد انكلترا، ولهذا تعتمدها كمسرح لأحداث رواياتها الرومنسية. تهوى جوليا، إلى جانب كتابة الروايات، المشي والعناية بالحديقة، والتطريز وتحضير قوالب الحلوى الشهية. وتحاول أن تحافظ على وزنها وصحتها!

١ ـ كوني زوجتي

- بحق الجحيم! ما الذي تعنيه بقولك إنك لم توقعي؟

حدّق رافاييللو دي ڤيسنتي بالمرأة الجالسة، وهي شقراء رائعة الجمال، ذات عينين زرقاوين تنساب خصلات شعرها بحرية فوق كتفيها.

وضعت أماندا بونهام إحدى ساقيها فوق الأخرى، ونظرت إليه بعينين متسعتين، ثم قالت بصوت يشبه الخرخرة: «من المهين يا عزيزي، أن نقوم بتوقيع اتفاق كهذا قبل الزواج».

توتر فم رافاييللو، وقال: «لكنك وافقت على بنود الاتفاق كلها، وأنا تحدثت إلى محاميك بهذا الشأن، فلِمَ تراجعت الآن؟».

نظرت إليه أماندا باستياء، وقالت بصوت أجش: «راف، عزيزي نحن لسنا بحاجة إلى ذلك الاتفاق قبل الزواج!».

ظهرت على فمها الجميل ابتسامة مغرية، ثم تحركت قليلاً في دعوة صريحة له ليجلس بقربها، فيما راحت عيناها تتأملان الرجل الذي يقف قبالتها، والذي يرتدي بذلة أنيقة تحمل اسم مصممها الشهير.

لوّح رافاييللو بيده في الهواء في حركة تنم عن نفاد صبره. إنه منيع ضد إغراءات أماندا وسحرها.. لقد طفح كيله منها. ظهرت لكنته الإيطالية واضحة حين قال بغضب واضح: «ليس لدي وقت لهذه الألاعيب، أماندا. وقعي على ذلك الاتفاق اللعين، كما سبق واتفقنا..».

اختفت الابتسامة عن وجه أماندا ومن عينيها الزرقاوين، وفجأة غدت عيناها أقسى من الحجر.

- كلا! أنت تريد الزواج بي.. فلنتزوج من دون توقيع اتفاقات مسبقة

www.elromancia.com

سخيفة.

أطلق رافاييللو شتيمة من بين أنفاسه، كابحاً طبعه الإيطالي النزق، متجنباً استخدام مفردات لا تليق بالمجتمع الراقي. إلا أن نظرات عينيه تسلطت بقوة على المرأة التي من المفترض أن تكون عروسه العتيدة. ثم قال بنبرة متأنية: «أماندا، عزيزتي! أنا لم أحاول خداعك على الإطلاق. أريد زوجة لمدة ستة أشهر، ثم طلاقاً سريعاً غير مؤلم. في المقابل، سوف تحصلين أنت على حياة ملؤها الرفاهية لمدة ستة أشهر، وذلك بعد القيام بزيارة قصيرة إلى إيطاليا. سوف تخرجين من هذا الزواج بثروة صغيرة، وذلك كتعويض لك بموجب اتفاقنا هذا، هل تفهمين؟».

جاء صوت أماندا قاسياً وهي تقول: «آه! بالطبع فهمت ذلك جيداً. والآن، هل يمكنك أنت أن تفهمني؟ الوثيقة الوحيدة التي سوف أوقعها هي تلك التي تعطيني المال بموجبها».

تجمد رافاييللو في مكانه. هكذا إذن! لقد نقضت أماندا اتفاقهما. كان عليه أن يتوقع ذلك. قد تكون أماندا بونهام ذات رأس فارغ، إلا أنها تتميز بالجشع عندما يتعلق الأمر بالمال.

لكن لا أحد يستطيع التلاعب به.. لا أحد.. لا صديقته الجشعة ولا والده المتسلط.. لا أحد يستطيع ذلك!

فجأة، غدت تعابير وجهه غير مقروءة، وازداد اللون الداكن في بشرته السمراء. جاءت نبرة صوته قاسية حين قال: «إنه أمر مؤسف حقاً!».

إن الذين يعرفون رافاييللو دي ڤينتي في عالم الأعمال، يدركون جيداً أنه يجدر بهم الاستسلام والتراجع ما إن يصل إلى هذه النقطة من الغضب، هذا إذا كانوا ما يزالون راغبين في إبرام أي اتفاق أو صفقة معه. إلا أن أماندا لا تتمتع بمثل هذه الحكمة. توهجت عيناها الزرقاوان، وقالت بحدة: «يبدو لي أن لا خيار لديك، عزيزي رافاييللو. أنت تحتاج إلى زوجة بصورة عاجلة.. حسناً! هذا الأمر يناسبني.. لكنني لن أورّط نفسي باتفاق سخيف كهذا!».

هز رافاييللو كتفيه بلا مبالاة وهو يستدير بعيداً عنها، ثم التفت نحوها

مجدداً ليقول: «إنه خيارك. سوف أتصل بسيارة أجرة لتقلّك».

ثم سار باتجاه طاولة إلى جانب الجدار، والتقط هاتفه الخليوي، فاندفعت أماندا نحوه قائلة: «مهلاً! انتظر دقيقة واحدة..».

لم يكترث رافاييللو بكلامها، وراح يطلب الرقم وهو يقول: «انتهت الصفقة، يا عزيزتي. من الأفضل أن تجهزي نفسك للمغادرة».

أطبقت يدها بقوة على كم سترته الأنيقة، وقالت: «لا يمكنك أن تفعل ذلك بي... أنت تحتاج إلي».

أبعد يدها عنه كأنه يبعد حشرة مزعجة، وقال بنبرة صوت قاسية كالماس: «أنت مخطئة».

ثم تغيّرت نبرة صوته ليقول: «جوا اتصل بسيارة أجرة، ولتكن هنا بعد عشر دقائق».

استدار متجهاً نحو الباب ذي المصراعين، والذي يؤدي إلى بقية أقسام المنزل.

- أخبرني فقط، كيف ستحل مشكلة إيجاد عروس لك بسرعة؟

بدا الصوت خلفه ساخراً ومليئاً بالقسوة، فلم يكلف رافاييللو نفسه عناء الالتفات إلى الوراء، بل أجاب بصوت ناعم كالحرير: «سوف أتزوج أول امرأة ألتقي بها».

وخرج من الغرفة...

* * *

لوت ماغي أصابعها المتعبة داخل القفازات المطاطية، وبدأت عملها في تنظيف بلاط الحمام الرخامي الفاخر، متمنية أن يزول عنها ذلك الشعور بالتعب الذي يرهقها. ظل بنجي مستيقظاً لمدة ساعتين الليلة الفائتة.. يبدو أن لا أمل بأن يستقر في نومه. تثاءبت، وأبعدت بظاهر يدها خصلة شعر سقطت على جبينها، قبل أن تعود إلى فرك البلاط بالإسفنجة التي تحملها في يدها. فكرت أن استيقاظ بنجي أثناء الليل، يجعله على الأقل يمضي وقته الآن نائماً. وهذا أمر جيد بالنسبة إليها.

www.elromancia.com

علت جبينها تقطيبة وهي تفكر أنها لن تتمكن من الاستمرار في عملها هذا لوقت طويل. عندما كان بنجي صغيراً جداً كان من السهل عليها أن تحمله معها أنّى ذهبت. بحيث تحمله في كرسيه الخاص، وتبقيه إلى جانبها وهي تقوم بعملها في تنظيف المنازل الفخمة. أما الآن، وقد أصبح في بداية مشيه، بات من الصعب عليه البقاء محتجزاً في كرسيه لوقت طويل. إنه يريد الخروج ليكتشف ما حوله.. لكن ذلك مستحيل في منزل كهذا، حيث كل شيء، بدءً من السجاد إلى الأواني المطبخية، باهظ الثمن.

وضعت المزيد من سائل التنظيف وراحت تفرك من جديد، قبل أن تتنهد مفكرة، ما هي الوظيفة التي يمكنها الحصول عليها بوجود طفل في عامه الثاني يسير أولى خطواته في الحياة؟ لا يمكنها أن تتركه في رعاية حاضنة، إذ ستضطر إلى دفع كل ما تجنيه من عملها لها. إن أفضل ما يمكن أن تفعله هو القيام بعمل الحاضنة هي نفسها، وهكذا يمكنها أن ترعى طفلها بالإضافة إلى أطفال آخرين، وأن تجني فوق ذلك بعض المال. لكن، أي أم ستوافق على ترك طفلها لديها وهي تعيش في ذلك المكان التعيس؟ فهي نفسها تكره أن يبقى بنجي لمدة طويلة هناك في سريره، فتحاول الخروج به من ذلك المكان ما إن تستطيع ذلك.

رقّت ملامح وجهها وظهرت عليها إبتسامة لطيفة وهي تفكر بينجي، نور حياتها، والشعاع الذي يحيي قلبها. طفلها الذي هو أغلى ما لديها في الوجود.. إنه كل ما لديها.. وهي لن تتأخر عن القيام بأي شيء من أجله.

* * *

سار رافاييللو بخطوات واسعة وهو يشعر بالغضب عبر القاعة الفسيحة. اتجه نحو الدرج العريض الذي يؤدي إلى قاعة الاستقبال الواقعة في الطابق السفلي من المنزل المؤلف من طابقين. اللعنة على أماندا التي حاولت ابتزازه، واللعنة في الدرجة الأولى على والده الذي وضعه في هذا الموقف المزعج منذ البداية.

لِمَ لا يستطيع والده أن يتقبل فكرة أنه من المستحيل عليه أن يقبل بالزواج

من قريبته لوسيا، ليغدو ذلك الزوج الذي طالما تاقت إليه؟

آه! نعم، إنها تبدو جذابة إلا أن تفكيرها سخيف وهي ذات مزاج سيء.. على الرغم من أنها تستطيع إخفاءه بنجاح عن والده، ما جعل هذا الأخير يقتنع بأنها الزوجة المثالية لابنه. وعندما فشل في إقناعه بهذا الزواج عن طريق إصدار الأوامر والتلميحات، لجأ إلى تهديده الأخير.. سوف يبيع الشركة! يا الله! لقد وضعت لوسيا يدها على نقطة الضعف عنده.. إن والده يرغب برؤية أحفاد له يرثون شركة ڤيسنتي كي تبقى هذه الشركة في نطاق الأسرة. هكذا تمكنت لوسيا من اللعب ببراعة على هذا الوتر الحساس.

ما زالت الكلمات التي تلفظ بها والده ترن في أذنيه: «أريدك أن تتزوج، وإلا فإنني سوف أبيع. لا تظن أنني لن أفعل. لكن...».

ثم رقّت نبرة الرجل المسن ليقول بلفتة بارعة: «.. إذا قدمت لي عروسك قبل بلوغك الثلاثين من العمر، سوف أنقل إليك ملكية الشركة في اليوم نفسه».

حسناً! فكر رافاييللو بعبوس، سوف يفعل ذلك. سوف يقدم عروسه إلى والده يوم عيد مولده الثلاثين، لكنها لن تكون تلك العروس التي يفكر بها والده.. فالعروس التي سيعرفه بها سوف تمنعه من تنفيذ وعيده، وهذا كل ما في الأمر.

راح الغضب يغلي في داخله مرة أخرى. أماندا بونهام كانت ستبدو العروس المثالية التي يمكنه مواجهة والده بها، كجزاء مناسب على إجباره إياه على الزواج. لا شك أنها كانت ستسبب لوالده ارتفاعاً في ضغط الدم. فهي فتاة مدلّلة منذ صغرها، ذات شعر طويل يصل حتى خصرها، ورأس فارغ لا يهمها سوى المظهر الجميل وإنفاق المال الذي تحصله من عشاقها.

لكنها أفشلت خطته وأعادته إلى نقطة البداية. وسوف يضطر الآن إلى البحث من جديد عن عروس يمكنها إثارة سخط والده، ومسح تلك الابتسامة المتكلفة عن وجه لوسيا. علا العبوس جبينه، وفكر أن تنفيذ الوعيد الذي أطلقه في وجه أماندا بدا جيداً في حينه، أما الآن فهو يشعر أن

إيجاد عروس في غضون أسابيع لن يكون بالأمر السهل، بل إنه يشكل تحدياً حتى بالنسبة إليه.

هبط السلالم بخطوات رشيقة مستعجلة، وعلى وجهه تقطيبة. وما لبث أن توقف مجفلاً.. هناك طفل نائم في وسط الردهة!

* * *

مسحت ماغي الأرض للمرة الأخيرة، وتطاولت إلى الصندوق الذي يحتوي على مواد التنظيف لتتناول علبة معطر الجو. إن تنظيف الحمّامات في المنازل الفخمة هو عمل ممتع على الأقل، فكل ما فيها رائع ولامع، ومن النوعية الممتازة بالتأكيد. فكرت بجفاء أن الأغنياء يعيشون حياة مختلفة تماماً. ذلك لا يعني أنها رأت أصحاب المنزل على الإطلاق، فالذين يقومون بأعمال التنظيف لا يسمح لهم بالقدوم إلا أثناء غياب أصحاب المنازل.

رفعت غطاء علبة معطر الجو وخضّتها، فأصبحت جاهزة للاستعمال...

- ما الذي تفعلينه هنا؟

الصوت العميق ذو النبرة الساخطة الذي أتى من خلفها جعلها تقفز مجفلة. ردة فعلها هذه جعلتها تضغط على علبة المعطر بقوة، فاندفع السائل الأزرق اللون ليسيل على الأرض الرخامية.

أطلقت ماغي صرخة ملؤها الرعب قبل أن تبعد علبة المعطر، وتبدأ بمسح الأرض بإسفنجة التنظيف.

- أنا أتكلم معك.. أجيبني!

بدا الصوت من خلفها أكثر سخطاً، ما جعل ماغي تستدير بسرعة وتحدق بصاحبه.

وقف الرجل في باب الحمام، وراح ينظر إليها. بادلته ماغي النظر وهي ترمش بعينيها من دون أن ترى شيئاً، وقد تحوّل رعبها إلى ما يشبه الهلع. من المفترض أن يكون المنزل خالياً، هذا ما قالته لها مديرة المنزل. لكن، من الواضح أن أحد سكان المنزل موجود هنا الآن، وهو يبدو ساخطاً تماماً.

تمكنت من القول بصوت متهدج: «أنا.. آسفة سيدي».

قالت ذلك مدركة أن عليها إظهار الخضوع أمام شخص كهذا، على الرغم من أنها ليست هي المخطئة لوجودها هناك في وقت غير مناسب.

- قبل لي إن باستطاعتي القيام بأعمال التنظيف هذا الصباح.

توتر فم الرجل وأعلمها قائلاً: «هناك طفل في الردهة!».

في مكان ما من دماغها أدركت ماغي أن الرجل ليس إنكليزياً، ليس فقط بسبب بشرته السمراء الداكنة، بل بسبب تلك النبرة التي تميز صوته إلى حد بعيد. أهو إسباني؟ أم إيطالي؟

وقفت ماغي على قدميها بطريقة خرقاء، إذ لا يمكنها البقاء راكعة على ركبتيها إلى ما لا نهاية.

- إنه لي!

ظهر في عيني الرجل السوداوين بريق من الغضب الشديد.

- هذا ما قدّرته، ما الذي يفعله هنا؟ لا مكان للأطفال هنا!

طفل في مثل هذه السن يجدر به أن يكون في منزله في مثل هذا الوقت من اليوم. أي نوع من الأمهات هي هذه المرأة؟ من الواضح أنها عديمة المسؤولية! ابتلعت ماغي ريقها وقالت: «أنا آسفة جداً».

انحنت لتحمل الصندوق الذي يحتوي على مواد التنظيف، بعد أن ألقت نظرة سريعة على أرضية الحمام لتتأكد من أنها أصبحت لامعة ونظيفة كما يجب. بعدئذٍ تمكنت من القول: «سأذهب الآن، يا سيدي. أنا آسفة جداً لتسببي بإزعاجك».

توجهت نحو الباب، فتنحّى رافايللو جانباً مفسحاً لها المجال للمرور. بدا لها من غير المريح أن تمر بجانبه وهو قريب منها إلى هذا الحد. إنه يتمتع بجاذبية هائلة، ومن الواضح أنه قد استحم منذ وقت قريب، بينما أمضت هي الساعات في تنظيف البلاط. شعرت أنها متسخة ومتعرقة، وأن رائحتها كريهة بسبب عملها لساعات طويلة. خرجت بسرعة متوجهة إلى حيث يرقد بنجي في كرسيه، فإذا به ما يزال نائماً. حملت كرسي الطفل وعلقتها بسرعة في

www.elromancia.com

ذراعها.

- انتظري!

جاء الأمر صارماً، فتوقفت ماغي بصورة غريزية. استدارت بعد برهة من التردد، والكرسي الثقيل الوزن الذي يحمل بنجي معلق في ذراعها. كان الرجل يحدق إليها ما جعل ماغي تتجمد خوفاً، كأنها أرنب تلاحقه الأضواء، أو ظبي لمح نمراً يخرج من الأجمة. فكرت بصمت: يا رباه! النجدة. ما الذي سيحصل الآن؟

جالت نظرات رافاييللو على الفتاة. إنها معتدلة القوام، قمحية البشرة، ذات شعر بني وملامح غير مؤثرة. تغضن أنفه ازدراءً وهو يفكر بأن رائحتها تعبق بروائح مستحضرات التنظيف. لاحظ وجود بقعة من الأوساخ على خدّها. بدت المرأة في حوالى العشرين من عمرها.

وجد نفسه يحدق إلى يديها، ولاحظ أنهما تختبئان داخل القفازات المطاطية الصفراء اللون. علا العبوس وجهه، وعادت نظراته إلى وجهها. كانت الفتاة تنظر إليه وعلى وجهها ملامح من الخشية والترقب.

- ليس عليك أن تهربي كأنك أرنب مذعور.

قال ذلك متعمداً تلطيف نبرته، إلا أن ذلك لم يؤثر على تعابير وجهها الخائفة. فقد ظلت مسمرة في مكانها، متأهبة للخروج، وهي تحمل طفلها في إحدى يديها وصندوق التنظيف في اليد الأخرى.

سار رافاييللو خطوتين باتجاهها، وسألها: «أخبريني.. هل أنت متزوجة؟».

هذه المرة عادت النبرة الفظة تميز صوته. ومع أنه لم يتعمد أن يكون كذلك مطلقاً، إلا أن هذا ما حصل، ذلك أن جزءاً من دماغه كان يقول له بأنه رجل مجنون تماماً، ما دام يفكر بما يفكر به. ومع ذلك، لم يتراجع رافاييللو عما في ذهنه..

ظهر الارتباك في عيني الفتاة، كما لو أنه سألها سؤالاً محرجاً. إلا أنه عاد يلح عليها: «حسناً!».

لم يبدُ عليها أنها مستعدة للإجابة. هزت المرأة رأسها، إلا أن نظراتها ظلت ثابتة والارتباك ظاهر فيها. تركزت نظرة رافاييللو عليها بتصميم أكبر. حسناً! يبدو له أنها ليست متزوجة.. إنه لا يظن ذلك، على الرغم من عدم قدرته على رؤية يديها ليتأكد من خلوهما من خاتم الزواج، وعلى الرغم من وجود الطفل.

لا بأس إن كان لديها طفل صغير.. مهما كانت الأم عديمة المسؤولية! وعاد يفكر باهتمام أن وجود الطفل أمر جيد، أما هي.. لا بأس بها هي أيضاً. ومرة أخرى، راحت عيناه تتفحصانها، متأملتان مظهرها بأكمله. ولاحظ رافاييللو شدة إجفالها.

- أود أن أقدم لك عرض عمل.

صدر عنها صوت أشبه بالتذمر. هذا ما استنتجه رافاييللو، مع أنه فكر أن لا داعي لأن تتذمر مطلقاً. سار باتجاه باب يؤدي إلى المطبخ، وفتحه، ثم أشار إليها قائلاً: «لندخل إلى هنا».

عاد ذلك الصوت إلى حنجرتها مرة أخرى، وهذه المرة تراجعت نحو الباب الرئيسي وهي تقول: «علي أن أذهب».

مرة أخرى علا العبوس وجه رافاييللو.. في تلك اللحظة بالذات، سُمع صوت انغلاق أحد الأبواب في الطابق العلوي. وفي اللحظة التالية أطلت أماندا، وراحت تهبط السلالم بقدر ما يمكنها من السرعة، وبقدر ما يسمح لها بذلك كعبي حذائها المرتفعين وتنورتها الضيقة. وما إن رأت المشهد الواضح أمامها حتى أضاءت وجهها ابتسامة شريرة، وقالت بنبرة صوت تقطر سماً: «عزيزي راف. لماذا؟ «أول امرأة تصادفها».. سيكون الأمر صعباً عليك».

وتابعت مقلدة لكنته الإيطالية: «وهذا ما حصلت عليه.. يا له من حظ سيء!».

أجابها الرجل بزمجرة أشبه بزمجرة النمر، ما جعل شعر جسمها يقف خوفاً: «نعم عزيزتي أماندا. إنها مناسبة تماماً لي».

- إنك تمزح. لا بد أنك كذلك!

رمقها رافاييللو بنظرة ساخرة، مكتفياً برفع أحد حاجبيه الداكنين المقوسين.

- لا بد أن سيارة الأجرة بانتظارك في الخارج، عزيزتي. حان وقت ذهابك.

للحظة، وقفت المرأة في مكانها وهي تشعر بالذهول، فيما الغضب يغلي في داخلها. ثم شدت عضلات وجهها وسارت بتصميم نحو الباب الرئيسي، مبعدة ماغي من طريقها قبل أن تفتح الباب.

صاحت ماغي بها بحدة: «انتظري!»

وحاولت أن تلحق بها بسرعة.

ما الذي يدفع مالك المنزل إلى سؤالها إذا ما كانت متزوجة أم لا؟ ما تفكر به ليس سبباً جيداً على الإطلاق.. ما خطر ببالها هو أمر سيء إلى أبعد الحدود. لطالما سمعت قصصاً روتها عاملات تنظيف أخريات، عن أثرياء يجبرونهن على القيام بأعمال وضيعة وغير لائقة.

انفجرت المرأة الأخرى في وجهها قائلة: «ابتعدي عني أيتها المخلوقة المثيرة للاشمئزاز».

حاولت ماغي بيأس أن تمسك بالباب الخارجي، إلا أن المرأة أبعدتها عنه بقوة وخشونة.

عاد الصوت ذو اللكنة المميزة يقول بنبرة هازئة لا تخلو من الغضب: «قلت لك إن لدي عرض عمل لك. ألا يمكنك التحلي باللباقة الكافية لكي تصغي إلي؟ إنه عرض سخي وسوف يوفر لك مبلغاً محترماً من المال».

سددت إليه ماغي نظرة ملؤها الرعب. يا إلهي! إنها على حق. إنه على وشك أن يقترح عليها أمراً مشيناً.

- كلا.. شكراً لك.. لا أريد هذا النوع من العمل.

ثم غدا صوتها أكثر حدة وهي تتابع: «أرجوك، دعني أذهب.. أرجوك، لقد قمت بما يتوجب علي القيام به، وهذا كل شيء».

فجأة تغيرت تعابير الرجل، كما لو أنه أدرك فجأة سبب خوفها الكبير

هذا. فقال بنبرة صوت جليدية: «لقد أسأت فهمي. ما أود اقتراحه ليس عملاً شائناً، ولا يسيء إليك مطلقاً».

حدقت ماغي إليه، وقد بهرتها وسامته الفائقة. عادت أفكارها إلى أرض الواقع. من المؤكد أن رجلاً بمثل هذه الوسامة لن يقترح على امرأة مثلها إقامة علاقة عاطفية معه. بعد أن رأت نفسها من خلال عينيه المليئتين بالإزدراء، شعرت بقامتها تتقلص، وملأها شعور غامر بالخجل.

فجأة، أحست بأن ثقل الصندوق الذي يحتوي على مواد التنظيف قد خف عنها.

- تعالي إلى المطبخ، وسوف أشرح لك الأمر.

* * *

جلست ماغي على أحد الكراسي المرتفعة الموزعة على جوانب طاولة الطعام في المطبخ، وقد شعرت بأوصالها تتجمد. لحسن الحظ أن بنجي ما يزال نائماً في كرسيه الخاص، الذي وضعته على الأرض.

قالت بنبرة مترددة: «كرّر.. كرّر ما قلته مرة أخرى».

راح الرجل يعيد ما قاله بنبرته المميزة مشدداً على كل كلمة يقولها: «سوف أدفع لك مبلغاً من المال قدره مئة ألف جنيه مقابل أن تتزوجي بي زواجاً شرعياً، لمدة ستة أشهر. وبعد انتهاء هذه المدة سوف نقوم بإجراءات الطلاق بموجب اتفاق مبرم بيننا. كل ما عليك القيام به هو أن ترافقيني إلى إيطاليا لأسباب.. قانونية. وبعدئذٍ يمكنك العودة إلى هنا، وسوف أتكفل أنا بكافة مصاريف معيشتك. وبعد أن يتم الطلاق بيننا، سوف تحصلين على مئة ألف جنيه لا أكثر. هل فهمت الآن جيداً؟».

كلا! هذا ما فكرت به ماغي. لم أفهم شيئاً، كل ما فهمته هو أنك شخص مخبول!

لكن بدا لها أن ليس من الحكمة في شيء أن تقول ذلك للرجل الذي يجلس قبالتها إلى الناحية الأخرى من الطاولة. فهي تشعر بعدم الارتياح، وبخطر لا تفهم كنهه. ليس مرد ذلك فقط إلى ذلك الاقتراح الغريب الذي

www.elromancia.com

قدمه لها هذا الرجل لكتوه، بل لأنه هو نفسه أكثر الرجال وسامة بين الذين رأتهم على الإطلاق، سواء كان ذلك وجهاً لوجه أم على أغلفة المجلات وبين صفحاتها... إنه نحيف القامة، ذو مظهر جذاب بسماته الإيطالية الواضحة، تحيط به هالة من القوة تمنع ظهور الرقة في ملامح وجهه الوسيم. حسناً! إنه يتمتع بجمال رجولي أخاذ، كما أن رموشه الطويلة المحيطة بعينيه ذات اللون الأسود البركاني، تضفي على وسامته جاذبية خطيرة.

- أنت لا تصدقين ما أقوله، أليس كذلك؟

حشرها سؤاله في الزاوية ولم تعرف بما عليها أن تجيبه. كل ما استطاعت القيام به هو فتح فمها ثم إقفاله ثانية.

التوى فمه بابتسامة مشدودة، فتغيرت تعابير وجهه. شعرت ماغي بشيء ما يتفجّر في داخلها، لكنها لا تملك الوقت الآن لتعيره انتباهها. عاد الرجل ليتحدث إليها مرة أخرى: «أنا نفسي أعرف أن ما أقوله هو.. غاية في الغرابة. لكن، مع ذلك..».

بسط يديه فوق الطاولة، ما جعل ماغي تلاحظ كم تبدوان جميلتين، فهما طويلتان وغير سمينتين، وهما تتميزان بالقوة على الرغم من تلك الأظافر التي تمت العناية بها جيداً. تابع يقول: «.. هذا ما أفعله. عليّ أن أجد زوجة لي في أقرب وقت ممكن، وذلك لأسباب خاصة جداً».

حتى صوته لم يكن يخلو من الأناقة والجاذبية، ما جعل ماغي تشعر بالخجل لافتقادها إلى تلك الجاذبية أمام هذا الرجل الذي يبدو في منتهى الوسامة. عاد الرجل يقول موضحاً: «ربما يجدر بي إيضاح نقطة هامة، هذا الزواج سيكون اسمياً فقط. أخبريني، هل تملكين جواز سفر؟».

هزت ماغي رأسها نفياً، فظهرت على وجه الرجل لمحة من الاستياء. إلا أنه ما لبث أن حرّك يده دون اهتمام قائلاً: «هذا لا يهم. يمكن ترتيب مثل هذه الأمور بسرعة. والآن، ماذا بشأن والد طفلك؟ هل ما زال موجوداً في حياتك؟».

بحق الجحيم! ما الذي يمكنها أن تقوله؟ فكرت ماغي بقول شيء ما، إلا

أنها فشلت فشلاً ذريعاً.

- لا أظن ذلك.

قال رافاييللو هذا وكأنه فهم الأمر من صمتها وعدم قدرتها على الرد عن سؤاله، ثم تابع يقول: «هذا أمر جيد. فهكذا لن يستطيع التدخل في مشروعنا هذا».

شملها بنظراته القاتمة وكأنه اتخذ قراراً نهائياً بهذا الشأن، وعاد يقول: «إذاً، لست أرى أي عوائق تمنعك من الموافقة على اقتراحي.. من الواضح أنك مناسبة تماماً».

تملّك الذعر ماغي. إنه يتحدث عنها وكأنها ليست سوى علبة فارغة من العصير تتدحرج على الطريق. عليها أن توقف هذا الهراء في الحال. إنه جنون!

- أرجوك...

توقفت قليلاً عن الكلام ثم تابعت تقول: «.. أنا لست مناسبة البتة.. حقاً.. أنا آسفة. لكن عليّ أن أغادر الآن، لأنني تأخرت. لدي منازل أخرى تحتاج إلى تنظيف».

لم يكن ذلك صحيحاً، بالطبع. فهذا المنزل كان الأخير، لكن لا داعي لأن يعرف بذلك.

جاء صوته ناعماً كالحرير حين قال: «إذا وافقت على عرضي هذا فلن تضطري إلى تنظيف المزيد من المنازل بعد اليوم. بالنسبة إلى امرأة لها مثل خلفيتك الاجتماعية، ذلك سوف يوفر لك ظروف عيش مريحة تماماً. إذا ما كنت حريصة في الإنفاق، فسوف تعيشين لعدة سنوات في بحبوحة تامة مقابل ما سأدفعه لك خلال ستة أشهر من حياتك».

قفزت الكلمات إلى ذهنها! ما الذي قاله هذا الرجل بحق الجحيم؟ تحدث عن مئة ألف جنيه.. لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً. إن التفكير بمثل هذا المبلغ الضخم هو أقوى من طاقتها. مع مئة ألف جنيه سوف تتمكن من مغادرة لندن. يمكنها أن تشتري شقة، بل منزلاً صغيراً.. أن تستغني عن

الدعم المالي الذي يوفره لها مكتب الشؤون الإجتماعية.. أن تتوقف عن العمل.. أن تجد الوقت الكافي لرعاية بنجي كما يجب.. يمكنها القيام بمشاريع للمستقبل..

في الجهة المقابلة من الطاولة، تضيّقت عينا رافاييللو، وهو يفكر أنها ابتلعت الطعم كما أراد تماماً؛ بإمكانه أن يرى ذلك. لقد عمل جاهداً كي يصل بها إلى هذه النقطة.. بذل جهداً أكثر مما كان يتصور، لكنها بدأت تتجاوب أخيراً.

يا إلهي! قد يصاب والده بذبحة قلبية عندما يعرف أن ابنه تزوج من امرأة لديها طفل في سنه الثانية، وهي تعمل في تنظيف المراحيض، وتبدو أقذر من مؤخرة باص للركاب. لكن ذلك سيلقنه درساً قاسياً..

رأت ماغي بريق الانتصار في عينيه السوداوين، ما جعلها تتراجع. لا بد أن تكون مجنونة لتقتنع بمجرد التفكير بما يعرضه عليها! مئة ألف جنيه.. إن الأمر غير معقول، إنه جنوني! جنوني بقدر ما هي مسألة زواج امرأة مثلها من رجل مثله..

قالت بسرعة: «يجدر بي الذهاب من هنا، حقاً».

ووقفت على قدميها. لكن يبدو أنها بحركتها هذه اصطدمت بكرسي بنجي، لأن هذا الأخير استيقظ على الفور، وبدأ بالبكاء. انحنت ماغي فوقه وراحت تدغدغ خديه قائلة: «لا بأس يا بنجي، أمك هنا».

توقف الطفل عن البكاء، ومد يده الصغيرة نحوها يتلمس وجهها. وسرعان ما راح يتحرك متململاً محاولاً التملص من الأربطة التي تثبته في كرسيه.

- انتظر يا صغيري، فنحن ذاهبان في الحال.

قالت له ماغي ذلك وهي ترفع الكرسي لتحملها في ذراعها، ثم لوت ساقها لتحافظ على توازنها وهي تلتقط الصندوق الذي يحمل أدوات التنظيف لتحمله في يدها الأخرى. ثم قالت بارتباك: «سوف.. سوف أخرج الآن».

قالت ذلك للرجل الذي طلب منها لتوه أن تتزوج به، والذي ما زال

جالساً إلى الجهة الأخرى من الطاولة، وهو يراقبها بعينين أشبه بعيني قناص.

- مئة ألف جنيه! لا مزيد من التنظيف... لا مزيد من حمل طفلك إلى هنا وهناك على هذا النحو... إنها ليست حياة ملائمة له.

نزلت كلماته كالحجارة على مسامعها، فدمرت ما تبقى من رباطة جأشها. فجأة، قالت بصوت أجش: «هذا ليس صحيحاً. لا يمكن أن يكون كذلك. إنه مجرد هراء.. هذا الأمر برمته».

التوى فمه بتلك الابتسامة غير المرحة مرة أخرى، وقال: «الذي الشعور نفسه، إن كان ذلك يريحك..».

النبرة التي رافقت كلماته تلك جعلتها ترتجف. لكن ما الذي يمكنها قوله؟ لا شيء. يمكنها فقط مغادرة المكان. خرجت من ذلك المنزل بسرعة كأنها خفاش يخرج من نار جهنم.

* * *

كان صوت الموسيقى يصدح عالياً، مسبباً الارتجاج في جدران الغرفة الصغيرة الضيقة. أما ماغي فراح ضجيج الموسيقى يطن في رأسها ما سبب لها الصداع طيلة النهار. وذلك منذ مغادرتها لمنزل ذلك الرجل المجنون.

مئة ألف جنيه، مئة ألف جنيه.. ظلت هذه العبارة تضج في أذنيها تماماً كما يضج صوت الموسيقى الصاخبة القادم من الشقة المجاورة، مذكراً إياها بقسوة بحياتها المليئة بالفقر والكدح والمصاعب.

هل ستتمكن يوماً من الحصول على منزل يخصها وحدها؟ لقد أدرج مجلس الولاية اسمها على لائحة الذين يحتاجون إلى مأوى خاص بهم. وأثناء ذلك ستبقى ملتصقة بهذا المكان الكئيب القذر. لم يكن الأمر بهذا السوء عندما كان بنجي صغيراً، لكنه بات الآن بحاجة إلى مكان أكثر اتساعاً.. إنه بحاجة إلى بيت حقيقي. هذه الغرفة ليست منزلاً حقيقياً، ولا يمكن اعتبارها كذلك. إنها مجرد مكان يأويان إليه فقط.

مع أن موظف الرعاية الإجتماعية لمح لها ذات يوم قائلاً: «من الصعب

www.elromancia.com

جداً أن تتمكني من تربية الطفل بمفردك، آنسة جونز، على الرغم من المساعدة التي تتلقينها. من الأفضل أن تتخلصي من هذا العبء، وهكذا تتمكنين من الاهتمام بنفسك».

هذا العبء! وقعت الكلمة على رأسها كالصاعقة، ما جعلها تقف وهي تحمل طفلها المولود حديثاً بين ذراعيها، قائلة بنبرة متوترة: «بنجي سيبقى معي».

من خلال الجدران المتقاربة، كانت تسمع باستمرار صوت الموسيقى المرتفع. لا أحد من السكان يجرؤ على الشكوى، فذلك الرجل في الشقة المجاورة شرير ومتسلط الطباع، والجميع يعرف هذا. على أي حال، من المحتمل أن يمل مما يسمعه فيوقف هذه الموسيقى المزعجة، إلا أن هذا غالباً ما يحصل مع ساعات الصباح الأولى. فلا عجب إن كان بنجي لا يستطيع النوم جيداً خلال الليل.

ومع أن الساعة قد تجاوزت الثامنة مساءً، فماغي تدرك أن من الصعب أن تحمله على النوم، لذا تركته يلهو بألعابه. ها هو جالس في سريره القماشي بالقرب منها، ويبدو سعيداً وهو يضع الحلقات البلاستيكية في مكانها على المخروط المخصص لها، بحيث يهتف جذلاً حين ينجح في وضع كل منها في مكانها الصحيح. يا لها من لعبة جيدة! كم سرّت ماغي حين وجدتها في أحد المحلات التي تقدم المساعدات الخيرية. ألعاب بنجي وثيابه، بالإضافة إلى ثيابها أيضاً ومجمل ممتلكاتها، هي من الأسواق الخيرية ومؤسسات الإحسان!

فيما هي تلعب معه، محاولة تجاهل الموسيقى الصاخبة، راح ذهنها يدور ويدور، وهي تفكر بذلك اللقاء الصباحي غير المتوقع والخارج عن المألوف.

هل حدث ذلك حقاً؟ ذلك الرجل الذي يبدو صورة مثالية للمليونير الذي تحلم به كل امرأة، هل عرض عليها حقاً أن تتزوجه لمدة ستة أشهر مقابل مئة ألف جنيه؟ إن ذلك هو الجنون بعينه، ولا يمكن أن يكون قد حصل..

طرقة على بابها جعلتها تجفل. من سريره، تطلع بنجي بتساؤل حوله. عادت الطرقة مرة أخرى..

- الآنسة جونز؟

بدا الصوت مكتوماً، وبالكاد تمكنت من سماعه بوجود ذلك الصخب القادم من الشقة المجاورة. أيكون هذا مالك المبنى؟ من عادته أن يقوم بجولة، من حين إلى آخر، ليتفقد ملكيته. فهو يجني مدخولاً مادياً جيداً من هذا المبنى، وينجح في التهرب من الضرائب المتوجبة عليه للولاية. مشت نحو الباب باحتراس شديد. لقد أضافت بنفسها سلسلة حديدية من الداخل إلى قفل الباب، فهي لا تشعر بالأمان في هذا المكان الذي يقطنه أمثالها من الفقراء.

ألقت بثقلها على الباب، وفتحته قليلاً مبقية السلسلة الحديدية في مكانها، استعداداً لدفعه بجسمها وإقفاله بسرعة إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك.

- نعم؟

- أنا رافاييللو دي ڤيسنتي. تكلمنا معاً هذا الصباح. أرجوك، كوني لطيفة معي ودعيني أدخل.

٢ ـ معاً، فوق السحاب

ذهولها التام هو ما جعلها تطيعه. ما إن فتحت الباب، حتى شعر رافاييللو بارتياب مفاجىء. هل يمكنه المضي في ذلك حقاً؟ هل يمكنه أن يتزوج هذه.. هذه.. راح يبحث عن الكلمة المناسبة. نعم، هذه الخادمة؟ أيفعل ذلك مهما كانت الأسباب؟ رؤيتها مرة أخرى جعلته يدرك حالة الفاقة المزريةالتي تعيشها. كانت ماغي ترتدي قميصاً قطنياً متهدلاً وبنطلوناً واسعاً. أما شعرها البني فمضموم إلى الوراء برباط مطاطي، وقد بدا وجهها نحيلاً، وأحاطت هالات سوداء بعينيها. باختصار، يمكنه أن يقول إنها أقل النساء جاذبية ممن وقعت عيناه عليهن على الإطلاق.

حسناً! هذا ما يجعل منها مثالية لتلك المهمة. إنها النقيض لأماندا، خياره الأول. والآن، بدلاً من أن يصطحب معه إلى المنزل فتاة فائقة الجاذبية، فارغة الرأس، سوف يصطحب معه هذه المرأة القبيحة مع طفلها! قد يكون ذلك أفضل بكثير، إن لم يكن الأفضل على الإطلاق. بالإضافة إلى ذلك فإن هذه المرأة هي، بالتأكيد، أكثر عوزاً للمال من أماندا. خطرت له هذه الفكرة ما إن ألقى نظرة سريعة على ذلك المكان السيء الذي تعيش فيه.

أخيراً، استقرت نظراته على الطفل الذي يجلس في سريره، وينظر إليه بعينين متسعتين، ذات لون بني كلون الشوكولا.

- ماذا... ماذا تفعل هنا؟ وكيف.. كيف عرفت أين أسكن؟

تمتمت الفتاة بتلك الكلمات متلعثمة، وبدا واضحاً أنها في حالة من الصدمة. سار رافاييللو إلى الداخل وأغلق الباب خلفه، فتراجعت ماغي إلى الوراء لتحول بينه وبين طفلها.

قطب رافاييللو جبينه. يا إلهي! هل تظن أنه قد يسبب الأذى لابنها؟

قال لها بنبرة صوت جافة: «لا داعي لأن تصابي بالذعر، آنسة جونز. أخذت عنوانك من وكالة الاستخدام التي تعملين لحسابها. هذا كل ما في الأمر. وانتظرت طيلة النهار لآتي إلى هنا وأتحدث إليك ثانية. لكنك لم تأتي إلى هنا إلا منذ وقت قصير، أين كنتِ طيلة هذا الوقت؟».

لقد جعل الأمر يبدو وكأنها تغيبت عن منزلها دون مبرر.

قالت ماغي بنبرة مستسلمة: «كنت في الخارج».

وقفت بالقرب من سرير بنجي بشكل يسمح لها بحمله والهرب به بسرعة، إذا ما اضطرت إلى ذلك، ثم تابعت تقول: «أنا لا أمضي الكثير من الوقت هنا».

أصدر زائرها صوتاً ينم عن السخرية من حنجرته، ثم قال وهو ينظر حوله: «هذا ما فهمته بنفسي. من أين يأتي صوت الموسيقى الصاخب هذا؟».

- من الغرفة المجاورة، إنه يحب الصوت المرتفع.

- لكنه أمر لا يمكن احتماله.

- نعم.

وافقته ماغي وهي تفكر أنها تتحمله على الرغم من ذلك. وكذلك يفعل كل من في المبنى. كانت ما تزال في حالة من الصدمة، وهي تعلم ذلك.

كانت قد أوشكت على إقناع نفسها بأن ما حصل في الصباح لم يكن سوى أوهام من نسج خيالها. والآن، ها هو الرجل يقف إلى جانبها كأنه خارج من الحلم.

رافاييللو دي ڤيسنتي... راح الاسم يرن في رأسها مدغدغاً حواسها. هذا الاسم يناسبه تماماً. أدركت ماغي ذلك وهي تتأمل هيئته الإيطالية المهيبة التي تدل على الثراء والرجولة.

رمشت بأجفانها بعد أن أدركت أنها كانت تحدق بالرجل حتى كادت تلتهمه بنظراتها. سار الرجل باتجاه الطاولة، التي تستخدمها كطاولة طعام،

ولكافة الاستخدامات الأخرى أيضاً، فوضع حقيبته الجلدية المليئة بالملفات والمستندات. وما لبث أن أخرج منها مجموعة من المستندات.

- لدي هنا الوثائق الضرورية. أرجو منك أن تقرأيها قبل التوقيع عليها.

ابتلعت ماغي ريقها قائلة: «أنا لن.. لن أوقع على أي شيء، سيد ڤيستي».

- دي ڤيستي. وأنت سوف تصبحين السنيورا دي ڤيستي. يجدر بك أن تتعلمي لفظ الاسم بصورة صحيحة.

شعرت ماغي فجأة بتعرق راحتي كفيها فمسحتهما بجانبي بنطلونها.

- حسناً! سيد.. دي ڤيستي، أنا.. أنا.. لا أظن أن بإمكاني مساعدتك. حقاً..! إن الأمر.. غريب بالنسبة لي...

فتشت في أنحاء ذهنها يائسة كي تجد عبارات مناسبة لتقول له إن الأمر كله مربك بالنسبة إليها، وإنها لن تقدم على مثل هذا الأمر.

ارتفع حاجباه المقوسان وردّد قائلاً: «غريب؟».

ثم أومأ بسرعة وتابع يقول: «نعم، إنه كذلك آنسة جونز. لكن كما سبق أن شرحت لك هذا الصباح، ليس لدي خيار آخر.. إن الأمر يتعلق بإدارة شركة الأسرة، شركة ڤيستي... لا أظن أن معرفة التفاصيل تهمك. لكن لدي أسباب كافية تجعلني أقدم على زواج مؤقت، وفق شروط محددة. لكن هذا الزواج سيكون شرعياً تماماً. لسوء الحظ، أنا مضطر إلى الإقدام على مثل هذا الزواج المؤقت».

انفجرت ماغي قائلة: «لكن، لِمَ اخترتني أنا؟ رجل مثلك يستطيع الفوز بأي امرأة».

تقبّل رافاييللو إطراءها هذا كأنه تقرير للواقع ليس أكثر.

- فكري بعرضي هذا ليس كعرض للزواج، بل كوظيفة. وظيفة مؤقتة، آنسة جونز.

ثم غدا صوته أكثر جفاء وهو يتابع قائلاً: «هذا هو الأمر الذي لم تستطع.. المرشحة السابقة لهذا الزواج أن تتقبله».

حرّك يده في إيماءة تشير بوضوح إلى جذوره الإيطالية، وأنهى كلامه قائلاً: «إنها المرأة التي التقيتها هذا الصباح».

- أكنت على وشك الزواج بها؟

- نعم، لكنها لسوء الحظ.. انسحبت في اللحظة الأخيرة. من هنا، برزت حاجتي إلى إيجاد بديل لها، فأنا مضطر إلى الزواج في أقرب وقت ممكن.

عادت ماغي تقول بإصرار: «لكن لِمَ اخترتني أنا؟».

كانت لا تزال ترى بأن عرضه منافٍ للعقل. لكن معرفتها بأنه كان على وشك خوض هذا الزواج الغريب مع تلك الحمقاء التي رأتها تخرج من منزله بشكلٍ عاصف جعل الأمر قابلاً للتصديق.

لكن رغم ذلك فإن اختياره لها كبديلٍ عن تلك المرأة بقي أمراً لا يصدّق. فبعد كل شيء، من المؤكد أن رجلاً مثله يعرف الكثير من النساء الأخريات المخوّلات لزواجٍ مماثل.

- اخترتكِ لأن هناك فارقاً أساسياً بينك.. وبين امرأةٍ مثلها. أماندا تريد ذلك المال، أما أنت...

توقّف عن الكلام قليلاً ونظر نحوها، وكأن عينيه تمكنتا فجأة من رؤية ما في قلبها، ثم تابع يقول: «أما أنت فتحتاجين إلى ذلك المال، ما يجعلك أكثر واقعية حيال المسألة».

تسمرت ماغي في مكانها، أما هو فأكمل كلامه بكل قساوة: «أنتِ فعلاً بحاجة إلى ذلك المال، آنسة جونز. تحتاجينه بشدة لتنقذي نفسك... وتنقذي طفلك أيضاً».

روّعتها نظرات عينيه الداكنتين، وبدا لها كأنه الشيطان نفسه يحاول إغواءها بإغراءات تفوق طاقتها.

- لا يمكنك متابعة العيش هنا، تعرفين أنك لا تستطيعين. عليك الخروج من هنا، والمال سيؤمن لك هذا. إنه بمثابة إنقاذٍ لحياتك وحياة ابنك. اقبلي... اقبلي المال الذي أعرضه عليك.

شحب وجه ماغي، وتمكن رافاييللو من رؤية قسماتها تتغير. لقد طرح إيجابيات عرضه دون شفقة، كأنه يقوم بعقد صفقة تجارية صعبة. خرجت كلماته كسوط يجلد كل زاوية من منزلها البالي.

- إنني أحمل مفتاح حياةٍ جديدة.. مستقبلٍ جديد... مقابل أربع أسابيع من حياتك. هذا كل ما أطلبه في المقابل، تمضين شهراً برفقتي ثم تعودين حُرّة من جديد. حرّة مع مالٍ كافٍ لإخراجك من هذا المكان إلى الأبد.

راح يحدّق في عينيها بنظرات ثاقبة. لم تستطع ماغي التفكير أو الإحساس بأي شيء، بل بالكاد تمكنت من التنفس.

- أنا... أنا لا أعرف من أنت... يمكنك أن تكون أي شخص...

تلاشى صوتها قبل أن تكمل.

ارتفع ذقنه بغطرسة، بدت متأصلة في جيناته، وتمكنت ماغي من رؤية ذلك.

- أنا رافاييللو دي ڤيسنتي. عائلة دي ڤيسنتي من أكثر العائلات احتراماً وعراقة. أنا المدير التنفيذي لشركة ڤيسنتي، وهي شركة تقدّر بأكثر من أربع مئة مليون يورو. أنا لا أضطر عادة إلى إظهار أوراقي الثبوتية للتعريف عن نفسي.

ابتلعت ماغي ريقها وتمتمت قائلة: «نعم، حسناً! لكني في الواقع لا أنتمي إلى هذا الوسط الاجتماعي كي تكون معروفاً لدي».

تابع رافاييللو كلامه بالنبرة المتغطرسة نفسها: «إن العرض الذي أقدمه لك هو بالضبط ما حاولت تلخيصه لك. ليس هناك أي نوايا خفية أو خدعة ما مخبّأة وراء كلامي. يمكنك التأكد من ذلك من خلال التحدّث مع محاميّ إن أردت».

وأشار بيده نحو الطاولة متابعاً: «ما ستقرأينه في هذه الأوراق هو بالضبط ما ستحصلين عليه. والآن، أرجوك أخبريني ما الذي يمنعك من التوقيع عليها؟».

أرادت أن تصرخ في وجهه: إنه أنت!

حدّقت ماغي فيه بشراسة وفكّرت أنه لا يمكنها أن تتزوج من رجلٍ مثله، غني ووسيم إلى هذا الحد. لا يمكنها أن تتزوج من رجلٍ يبدو كأنه قد قفز من إحدى مجلات أخبار المشاهير، مهما كان سبب هذا الزواج أو مدّته. يبدو الأمر جنونياً وغير عقلاني.. إنه...

سمعت ماغي صوت بكاءٍ قطع عليها حبل أفكارها، يبدو أن بنجي سئم من لعبة أحجار البناء البلاستيكية، فهدّم ما كان قد بناه وبدأ بالصراخ. بشكل آلي اتجهت ماغي نحو السرير لترفع بنجي بين يديها، فتوقف عن البكاء واستدار ليراقب ذلك الرجل الغريب الذي يقف وسط الغرفة. ضمّته ماغي إلى صدرها وشعرت بدقات قلبه القوية فوق جسدها.

قال رافاييللو بهدوء: «مئة ألف جنيه، فكّري... فكّري بما ستتمكنين من القيام به بهذا المبلغ الكبير».

بدأ جسد ماغي يرتجف، أرادت بيأس أن يرحل رافاييللو حالاً.. أن يأخذ محفظته وحقيبة يده الغالية الثمن ويخرج قبل أن يغويها كالشيطان نفسه.

- لن تفعلي هذا من أجلك أنت بل من أجل طفلك.

أغمضت عينيها محاولة عدم سماع صوته الناعم المغري.

- إذا خرجت الآن ولم أعد أبداً، كيف ستتمكنين من المضيّ في حياتك وأنت تعلمين أنك قد رفضت الفرصة الوحيدة لإخراج طفلك من هذا المكان المزري إلى الأبد؟

كان جسدها لا يزال يرتجف، فأخذت تحضن طفلها بقوة أكبر حتى بدأ بنجي يحتج مبدياً انزعاجه.

- أربعة أسابيع ليس أكثر.. في منزل عائلتي في إيطاليا، وهو منزل محترم جداً آنسة جونز، أؤكّد لك ذلك... وبعدها تصبحين حرّة.

قالت بصوت مرتفع: «سيأتي بنجي برفقتي».

فتح رافاييللو يديه، وقال: «بالطبع سيأتي الطفل معك.. هذا أساسي».

لم يكن عليه أن يشرح لها لما على عروسه أن تصل برفقة طفلٍ لا والد لديه. سحب من جيب سترته الداخلي قلماً مطلياً بالذهب، رفع عنه الغطاء

وقدمه إليها قائلاً: «عليك فقط أن توقعي هذه الأوراق، هيا...!».

لم تستطع مقاومة نبرة صوته الاستبدادية... تحرّكت ببطءٍ كأنها تسير في نومها، وأعادت بنجي إلى السرير متجاهلة بكاءه واحتجاجه المستمر. لم تصدّق أن ما يحصل حقيقي... فكّرت أنها ستستفيق وفي أي لحظة لتكتشف أنها تحلم ليس إلاّ.

قدّم القلم إليها فأخذته وكأنها تحت تأثير المخدر، نظرت نحو الطاولة، حيث راح رافاييللو يقلّب صفحات المستند حتى وصل إلى الصفحة الأخيرة، فمد إصبعه ليدلّها أين توقّع.

سال الحبر من القلم الذهبي فوق الورق راسماً خطوطاً منحنية، مصقولة، ناعمة رغم ارتجاف يدها وهي توقع. بدا لون الحبر في ضوء نهاية النهار كلون الدماء. وحين سلّمته الأوراق وهو يقف إلى جانبها كشبحٍ شيطانيّ داكن شعرت بأمواج الضعف والوهن تسري في جسدها.

ما الذي فعلته؟ آه، يا إلهي! ما الذي فعلته؟

لكن.. مهما كان الأمر، لقد فات الأوان للندم.

* * *

جلست ماغي تحدّق من النافذة المكوّرة نحو الغيوم المضاءة بنور الشمس، فيما بنجي نائم في حضنها. لقد عانى الطفل من الأرق منذ إقلاع الطائرة، لكنه خلد أخيراً إلى النوم.

نظرت بلمحة سريعة عبر الممر الضيّق للطائرة نحو رافاييللو دي ڤيسنتي. رأته يقلّب أوراقاً وضعها أمامه على الطاولة وقد بدا منشغلاً جداً. لم يكن هناك أي ركاب آخرين غيرهم على متن الطائرة الخاصة الفخمة وهي تتوجه نحو أوروبا. يا لها من تجربة غريبة لماغي التي لم تسافر في حياتها من قبل!

منذ ذلك المساء الذي وقّعت فيه الأوراق حتى اليوم، لم ترَ ماغي رافاييللو أبداً. كلّف أحد موظفيه الصغار أن يؤمن مستندات الزواج ويصحبها لتسجيله رسمياً وإعداد جوازي سفرٍ لها ولبنجي.

مرّت مراسم الزواج بشكل سريع يدعو للسخرية. كان عليها قول بضع

جمل في أوقات محدّدة، وهذا ما قامت به. لكنها الآن، وهي تجلس محدّقة نحو الغيوم من النافذة، لا تتذكر سوى رجل صاحب قامةٍ طويلة يقف إلى جانبها، وصوت عميق ذي لهجة غريبة يتكلّم معها ومع أمين التسجيل، وهذا كل ما في الأمر.

لكن اللحظة الوحيدة التي لم تنسها هي حين قام ذلك الرجل بإمساك يدها، ووضع خاتم الزواج في إصبعها. في تلك اللحظة شعرت بتيار كهربائي يسري في جسدها. ربما كانت لمسة يديه الباردة هي السبب ليس إلاّ. بعد ذلك طُلب منها القيام بالمهمة نفسها، وأدركت أنها لم تتمكّن من القيام بذلك إلاّ بصعوبة، وقد أخذت يداها ترتجفان دون إرادتها.

تدبّرت ماغي هذا الأمر، لكن صوت بنجي في الغرفة المجاورة حوّل انتباهها كلياً عن متابعة المراسم. وحالما تمكنت، ركضت خارجاً إلى بنجي ورفعته بين ذراعيها. ثم أتى رافاييللو وقال بلطف، ولكن دون أي نبرة شخصية ودودة: «إن كنت جاهزة فعلينا الذهاب».

أقلّتهما سيارة ليموزين إلى مطار هيثرو، ولم يقل لها زوجها الجديد أي شيء باستثناء سؤالها بالنبرة السابقة نفسها إن كانت مرتاحة، وإن كانت قد حصلت على كل ما طلبته.

استنتجت ماغي بغموض أنه كان شارداً مثلها تماماً خلال إتمام المراسيم.

تزايد شرودها وتعبها الذهني عمقاً. وقالت لنفسها: سيري مع التيار! راحت تملس شعر بنجي الحريري بيدها، وهي تحدّق مجدّداً من النافذة. علمت أن الصدمة هي التي تساعدها على متابعة المهمة. لكن رغم لا مبالاتها وفقدانها الإحساس بالأمور كانت تشعر ببعض الإثارة، فبغض النظر عن الظروف الغريبة، إنها المرة الأولى التي تسافر فيها خارج البلاد.

إيطاليا! هل هي حقاً مسافرة إلى هناك؟ منذ أن وافقت على الزواج من رافاييللو دي ڤيسنتي قامت بجمع أكبر عدد من الكتب لأخذها معها إلى إيطاليا. أصبح الكتاب عزاءها الوحيد منذ أن اكتشفت أنه الطريقة الوحيدة للابتعاد عن الواقع، فهو يأخذها إلى أماكن سحرية، حيث يوجد أشخاص

رائعون..

نظرت ماغي إلى تلك السحب المشعة، حيث يمتد عالم خفي يرتفع عالياً فوق الأرض، وعادت إليها ذكرياتها مع كايس. تجهم وجهها فجأة، فرغم أنها تشعر بالأسف على طفل هجره أهله كلياً، إلاّ أنها ترى نفسها محظوظة مقارنة بكايس. فكايس كانت ضعيفة جداً، ذات عظام ركيكة وعينين واهنتين بسبب المعاملة السيئة. لذا أخذوها بعيداً عن زوجَ والدتها المدمن ووالدتها السيئة.

تحرّك بنجي بين ذراعيها، فانحنت ماغي وقبّلت شعره الداكن بلطف، وقلبها يفيض حُباً وعطفاً. رفعت بصرها مجدّداً نحو النافذة وفكرت أنها أصابت بقبولها بهذا الزواج الغريب. فمهما بدا الأمر غريباً، لقد فعلت ذلك لسبب مهم جداً.. من أجل بنجي!

لأوّل مرة منذ أن قلب رافايللو دي ڤيسنتي حياتها رأساً على عقب، شعرت ماغي بالهدوء والراحة.

تنعمت بتلك الراحة حتى وصلت الطائرة إلى المطار الإيطالي الذي يعج بالناس. أخذ بنجي يبكي ويصرخ مجدّداً حين سُدّت أذنيه مجدّداً بسبب تغيّر الضغط الجوي عند الهبوط في بيزا.

ضغطت على ظهرها يدٌ بإلحاح، ولكن ليس بخشونة. إنه الرجل الذي تزوجت منه منذ بضع ساعات، يحاول إرشادها إلى الطريق الصحيح.

- من هنا.

شقا طريقهما خارج المطار، حيث كانت هناك سيارة ليموزين ضخمة في انتظارهما. بغضون لحظات قليلة أصبحا داخلها، وقادهما السائق نحو زحمة الطريق...

استغرقت الرحلة أكثر من ساعة في السيارة، وبعد أن قطعا الشوارع المزدحمة، أصبح القسم الأخير منها رائعاً.

حدّقت ماغي من النافذة لتشبع ناظريها بمناظر توسكانا الخلابة بعيداً عن ضجيج لندن وشوارعها الممطرة. وبينما سارت بهم السيارة أخذت تدلّ

بنجي الذي وُضع كرسيه بجانب النافذة تماماً على بعض الأشياء في الخارج، وهي تنحني فوقه. وقد رأت في ذلك فرصة لتبعد المسافة بينها وبين الرجل الذي كان يحتل الجهة الثانية من السيارة الضخمة.

راقبت إشارات الطرقات المكتوبة بالإيطالية، والسيارات التي تسير على الجهة الخاطئة من الطريق مقارنة بلندن. بعد قليل لاحظت أن السيارة بدأت بالصعود متجهة نحو الجبال. كانت أشعة الشمس منتشرة في تلك الأنحاء، تغمر أشجار السرو والبيوت الحجرية التي تتناثر هنا وهناك في القرى الجبلية، وحولها امتدت حقول الزيتون والعنب، حيث تسرح قطعان الماعز والخراف.

أخيراً، وبعد أن أصبحت الطريق ضيقة تماماً وتلاشت الزحمة، تباطأت سرعة الليموزين، وانعطفت لتدخل من بوابة حديدية ضخمة. في تلك اللحظة، سمعت رافايللو يعلن: «ها قد وصلنا!».

نظرت ماغي نحوه بشكل خاطف. بدا وجهه خالياً من التعابير وقد ظهر عليه التوتر، ما جعلها تشعر بالتوتر هي أيضاً.

وكأنما رافايللو قد قرأ توتر أعصابها فتكلم فجأة: «كوني هادئة! ليس هناك ما تخافين منه، بالنسبة لك، هذه مجرّد وظيفة. أرجوك تذكّري ذلك».

أتراها تتخيّل أم أنه فعلاً بدا متجهماً، وقد ظهر الغضب في نبرة صوته؟ نظر إليها بتجهّم مجدداً، ما أثار قشعريرة في جسدها. لكن ماغي شعرت أن غضبه ليس موجهاً نحوها هي بالذات، بل كان بسبب اضطراره للزواج بغض النظر عن هوية الزوجة.

وقفت السيارة أمام ڤيلا ضخمة تشبه قصراً كبيراً، فاتسعت عينا ماغي أمام روعتها. إنها ڤيلا ذات طابع تاريخي أصيل. حجارتها القديمة تغيّر لونها بسبب العوامل الجوية، وقد انتصب بابها الخشبي الضخم عالياً. أما الطريق إليها فقد امتدت خلفها متجهة نحو الغابة والتلال القريبة.

رفعت ماغي بنجي بحذر من السيارة، وحملته فوق خصرها. وكان قد استيقظ منذ فترة بسبب حركة السيارة القوية وهي تجتاز الطرقات الوعرة.

شعرت كأن هواء بعد الظهر الدافىء بمثابة نعمة لها بعد تعوّدها على هواء

المكيف في الليموزين، وذلك ما إن لفحتها حرارة الهواء. كانت ترتدي فستاناً قطنياً فضفاضاً، وهو الثوب الذي رأته مناسباً لهذه الرحلة، رغم أن سعره لا يتجاوز الجنيهات الخمس، ورغم أن طرازه يناسب امرأة في الخمسين أكثر ممّا يناسبها، لكن ذلك لا يهم، فلو كان لدى رافاييللو دي ڤيسنتي أي اعتراضٍ عليه لقدّم لها بديلاً عنه.

حين أصبحا بالقرب من باب المنزل، فُتح الباب وخرج منه رجل كبير السن يرتدي قميصاً وسترة طويلة. وفهمت ماغي أنه كبير الخدم.

رحّب الخادم برافاييللو، ومع أنها لم تفهم كلمة مما قاله، لكنها علمت أنه لم يكن يتوقع قدومه وبالتأكيد قدومها أيضاً.

تبع ذلك المزيد من العبارات الإيطالية السريعة. لاحظت ماغي ردّة فعل ذلك الرجل وتعابيره المصدومة حين رآها هي وبنجي، وقد بدا غير موافق أبداً على ما يحدث.

أصبح الجميع داخل المنزل الآن. التفت رافاييللو نحوها ليقول بصوت عادي جداً، دون إبداء أي اهتمام شخصي: «لا بد أنك مرهقة وكذلك الطفل. أنا واثق أنك ترغبين بأن ترتاحي لبعض الوقت».

أكملوا طريقهم صعوداً عبر درجٍ ضخم نحو الطابق العلوي، ولم تستطع ماغي منع نفسها من التحديق بذهولٍ حولها، فالمنزل من الداخل بدا جميلاً بقدر جماله من الخارج. جدرانه بيضاء مزينة بالرسوم الزيتية الفخمة، وأرضه من الرخام الغالي الثمن، أما درابزين الدرج فمصنوع من الحديد المزخرف بدقة. بدا كل شيء تاريخياً وباهظ الثمن، ولا يشبه الشقق العصرية الفخمة التي كانت تقوم بتنظيفها.

لم تصدّق ماغي ما يحدث؛ هل ستعيش حقاً في هذا المكان الفخم لعدة أسابيع؟

أخذها رافاييللو إلى إحدى الغرف الكبيرة، وبجدداً أخذت تنظر حولها بذهول. غطى معظم مساحة الغرفة سرير خشبي ضخم مزخرف، بالإضافة إلى بعض قطعٍ من المفروشات. فُرشت في الأرض سجادة عجميّة رائعة، أما

النافذتان الموجودتان في الغرفة، فقد تدلّت فوقهما ستائر سميكة تنسدل على طول الحائط...

أعلمها رافاييللو بنبرته الجافة المعتادة: «يمكنك الوصول إلى الحمام التابع لهذا الجناح عبر ذلك الباب. هل لديك كل ما تحتاجين إليه أنت والطفل؟ يمكن لغوسيب أن يحضر لك أي شيء تطلبينه منه».

هزّت ماغي رأسها وهي تشعر بالارتباك، كان الخادم غوسيب قد لحق بهما إلى الأعلى وهو يحمل حقائب سفرها. فكّرت ماغي بأن تلك الحقائب البالية لا يبدو عليها الانتماء إلى هذا المكان، مثلها تماماً..

نظر رافاييللو إلى ساعته وقال: «جيّد. ارتاحي أنتِ والطفل. هل تريدين بعض القهوة».

هزّت ماغي رأسها، وتمتمت متلعثمة: «شكراً لك».

قال رافاييللو مجدّداً: «جيّد. غوسيب سيرشدك إلى الأسفل بعد أن ترتاحي لبعض الوقت. آه...».

صمت قليلاً، ثم نظر نحوها مجدّداً وقال: «لا داعي لتغيير ملابسك».

انصرف بعد ذلك وانصرف غوسيب معه.

حين أصبحت ماغي وحدها، عادت لتنظر حولها في الغرفة مجدّداً. من الواضح أن عليها ببساطة البقاء في هذا المكان حتى يتم استدعاؤها. ولكنها لا تستطع أن تتذمّر، فالغرفة مكان فخم وجميل. إلاّ أنها شعرت بالقلق لأن كل ما في الغرفة باهظ الثمن جداً، وكثيرٌ عليها وعلى بنجي.

أما بنجي فبدا متلهّفاً لينطلق مستكشفاً الغرفة. وضعته ماغي أرضاً، فأخذ يتحرّك بسرعة محاولاً اكتشاف المحيط الجديد، وسرعان ما توجه نحو السرير الكبير. لم تكن مضطرة لطلب سرير للطفل، فالسرير كبيرٌ جداً ويتسع لها ولبنجي معاً.

ويتسع لزوجها أيضاً!

أزاحت هذه الفكرة جانباً. فرافاييللو دي ڤيسنتي لم يكن زوجها سوى في الأوراق الرسمية لا أكثر.

نزل رافاييللو عبر الدرج مجدداً إلى نحو الطابق السفلي وهو متجهم الوجه. لم يكن يتطلّع بحماسٍ للمواجهة القادمة، لكنها كانت مواجهة أساسية، ولا يمكن التهرب منها. عليه أن يعلّم والده مرةً وإلى الأبد أنه ليس لعبة يتحكّم بها وفق مزاجه.

إن شركة ڤيسنتي التي أُسّسَت منذ أكثر من مئة عام للمحافظة على ثروة العائلة، التي تملك الكثير من الأراضي والعقارات، هي بالنسبة لوالده، بكلّ بساطة، مؤسسة تجارية تؤمن حياة الرفاهية لآل دي ڤيسنتي.

أما بالنسبة لرافاييللو فهي أكثر من ذلك، لأنه يفهم عالم الأعمال جيّداً. ولكي تستطيع شركة ڤيسنتي أن تصمد في القرن الواحد والعشرين عليها أن تأخذ موقعاً مهماً في التجارة العالمية. بات على رافاييللو أن يحارب بشدة من أجل استراتيجيته لجعل شركة ڤيسنتي عالمية، ولإقناع والده بذلك. قد يكون هو المدير التنفيذي لكن والده هو رئيس مجلس الإدارة ومالك معظم الأسهم. لطالما نظر والده بتذمر ورفضٍ لمطالبة رافاييللو بانفتاح الشركة على الأسواق الأوروبية. ورغم أن عائدات الشركة في ارتفاع مستمر، إلا أن رافاييللو يعلم أن والده كان يفضل أن تبقى الشركة مؤسسة محلية كما كانت دائماً.

لكن رافاييللو عمل بجهد ليجعل الشركة تنتشر وتتوسع، وهو ليس مستعداً أبداً لرؤية تعبه يذهب سدىً أو لرؤية الشركة تباع للغرباء. ولمنع حصول ذلك كان مستعداً للقيام بأي شيء.

مشى عبر الصالة ذات الأرضية الرخامية نحو المكتبة التي سيستخدمها كمكتب له. وقف أمام النافذة التي تطل على البركة المزخرفة ونافورتها الجميلة. أبعد قميصه إلى الخلف ووضع يديه فوق خصره، وراح ينظر إلى الخارج بعصبيّة. يا له من حظّ سيء! إن والده خارج المنزل في الوقت الذي يريد منه أن يكون موجوداً هنا! أعلمه غوسيب عند وصوله أن والده وابنة عمّه خرجا باكراً لتناول الفطور، ولن يعودا إلاّ في وقت متأخر من بعد ظهر اليوم.

ستكون هوية الفتاة التي أحضرها معه مفاجأة للجميع. آه! نعم، بالتأكيد ستكون مفاجأة. كشّر رافاييللو مبتسماً. إنها مناسبة تماماً كما أرادها أن تكون. فمع طفل يتدلى فوق خصرها وفستان رخيص فضفاض على جسدها النحيل وشعرٍ بني مربوط إلى الخلف، بدت فعلاً مناسبة تماماً.

توترت ضحكته قليلاً. سيستشيط والده غيظاً، ليس فقط لأنه أحبطه بل لأنه أهان اسم العائلة بجعل فتاةٍ مثل ماغي زوجة له.

ابتعد عن النافذة وذهب للجلوس خلف المكتب. ربما يتمكن من العمل قليلاً بينما ينتظر عودة والده، فقد يلهيه ذلك عن التفكير بالمواجهة المحتّمة.

تساءل رافاييللو لما على الأمور أن تسير بهذا الشكل؟ لمَ هذا النزاع المؤلم غير الضروري مع والده؟ ألم يكن بإمكانه أن يتكلم معه ببساطة من دون هذا التحدّي؟

تنهّد بحسرة، لقد تحدّث إلى غوسيب وزوجته ماريا في الخمس عشرة سنة الماضية أكثر ممّا تحدّث إلى والده، فهُما من اعتنيا به خلال فترة المراهقة والبلوغ. أما والده فقد اعتبره فاسقاً، وحاول إجباره مرات عدّة على الزواج. ظهر التوتر على فمه... لو أنه وجد أيّ أملٍ للتواصل مع والده لما قام بالزواج من تلك الفتاة بهذا الشكل. مرّ ظلٌّ خفيٌ أمام عينيه، إنها صورة والدته المتوفية ترتسم أمامه. لقد ماتت أمه في حادث سير مروع وهو في الخامسة عشرة من عمره، ما سبب هذا التنافر الشديد بينه وبين والده.

بالنسبة لوالده، جعله فقدان زوجته التي كان يعشقها يتوقّف عن الاهتمام بابنه الوحيد. أما رافاييللو فهو يعلم الآن بنظرته الثلاثينيّة الثاقبة أن تصرّفاته الطائشة خلال المراهقة، السرعة في القيادة، والخروج برفقة الفتيات... كانت عبارة عن صرخة من قلبه لجذب الانتباه والمساعدة والحب من والده الذي ابتعد عنه كثيراً، في الوقت الذي كان هو بحاجة ماسة إليه.

أما الآن فقد فات الأوان، وأصبح الجدار الفاصل بينهما أعلى وأمتن. زادت قساوة والده وكذلك قساوته، ولم يعد بينهما سوى التحدّي

والمواجهة.

سمع رافاييللو صوت سيارةٍ تتجه إلى المرآب، ما دفعه للنظر إلى الخارج. تمكّن من التعرّف على سيارة لوسيا المكشوفة المخصصة لراكبين فقط. لطالما كان من المهم بالنسبة إليها أن تقود سيارة فخمة، وترتدي ثياباً لأشهر المصمّمين، وأن تخرج مع الأشخاص المرموقين. لذا فهي تملك رغبة قاتلة بالزواج من رجل غني.

ما إن سمع أصواتاً في الصالة حتى خرج من المكتب مرغماً نفسه على إظهار الراحة والفرح.

قال والده: «رافاييللو!».

تقدّم رافاييللو: «بابا!».

استغرب أنريكو دي ڤيسنتي قدوم ولده وسأله: «متى وصلت إلى المنزل؟».

أجابه باقتضاب وهو يتوجه نحو قريبته الواقفة بذهول: «بعد ظهر هذا اليوم».

أكمل بشكل رسمي: «لوسيا!».

وانحنى ليعانقها. اشتم رائحة العطر القوي الذي تضعه، ولاحظ كثافة التبرّج على وجهها، رغم أنها فتاة جميلة لا تحتاج إلى كل هذا التبرّج، وهي تعلم ذلك.

تمتمت بنبرة صوتٍ عادية: «رافاييللو... يا لها من مفاجأة!».

مقته بنظرة تقييمية، ردّها لها رافاييللو على الفور بنظرات ملطّفة. وأجابها باقتضاب: «كما ترين، لقد عاد الشاب الطائش. هل أمضيتما نهاراً ممتعاً؟».

ردّت لوسيا: «نعم، كثيراً! اصطحبني عمي أنريكو لتناول الإفطار في أحد معارض فيرنز. هناك معرض لفنانٍ أعشقه».

علّت فم رافاييللو ابتسامة مهذبة، وتمتم قائلاً: «وهل يعشقك هو أيضاً؟».

تجهّم وجه لوسيا على الفور، وقالت: «لا تهاجمني، رافاييللو».

هزّ كتفيه قليلاً، فهو يدرك تماماً بأن لوسيا فوسيسكا لا تنتقي عشاقها إلاّ من الوسط الفني، وهم شبانٌ يخرجون معها بسبب تأثير وجودها الإيجابي على مهنتهم. وهذا واحدٌ من الأسباب الكثيرة الذي جعلت رافاييللو يرفض الخضوع لإصرار والده على تزويجه منها. ربما يكون تقليدياً في تفكيره، وهذا فعلاً ما كانت تقوله لوسيا عنه بضحكة هازئة. لكنه بالتأكيد يفضل أن تكون زوجته أقل اختلاطاً بالرجال منها.

تجمد رافاييللو في مكانه حين استخدم كلمة «زوجة» فوجود فتاةٍ إنكليزية في الحادية والعشرين من عمرها، غير جميلة وغير مغرية مطلقاً في الطابق العلوي، مع طفلٍ بدون اسم وبدون والد، ومع ذلك فهي تعتبر بنظر القانون زوجته الشرعية، جعله يشعر بصدمة لا تصدق. هل قام حقاً بذلك؟ ما فعله ما زال يبدو غير حقيقي ومجرّد وهم.

عاد والده يتكلّم مجدّداً وبدا صوته ساخراً: «وهل يمكنني أن أسأل عن سبب هذه الزيارة المشرّفة والمفاجئة؟».

تلألأت عينا رافاييللو الداكنتين: «بابا، غداً عيد ميلادي الثلاثين، وأنت بالتأكيد كنت تتوقع مجيئي».

ضاقت عينا أنريكو دي ڤيسنتي وسأله: «أحقاً؟».

ابتسم رافاييللو وتابع: «وها أناذا التزم بواجباتي. تعالا وانضما إليّ على الشرفة، أعتقد أن علينا الاحتفال قليلاً».

لاحظ رافاييللو نظرات لوسيا المتفحّصة وانتباهها المفاجىء للموضوع، فانتقل بنظره من والده ليبادلها نظرات اللطف. ابتسم بتهذيب، والتمعت عيناه حالما قبل والده الدعوة إلى الشرفة.

- لوسيا ستنضمين إلينا أنت أيضاً، بالطبع.

راقب كيف علت وجهها تعابير الرضى المبطّنة وهي تتحرّك بجانبه.

٣ ـ امرأة في حقل الغام

اتخذ أنريكو لنفسه مقعداً بجانب الطاولة الحديدية المزخرفة، التي وضعت عند آخر الشرفة المقابلة لقاعة الاستقبال الرسمية.

قال بصوت حاد وهو يوجّه نظرات أكثر حدّة من صوته نحو ولده: «حسناً! هل يُعقل أن تكون قد عدت إلى رشدك أخيراً؟».

شعر رافاييللو بضيق شديد كأن حزاماً راح يشد فوق صدره مجدّداً، لكنه أجاب بصوت عادي: «وهل كان لديك شك بذلك؟».

أصدر والده صوتاً من حنجرته يدل على التذمر والانزعاج، وقال: «أعلم أنك عنيد وأناني. لطالما كنت كذلك!».

قال رافاييللو بهدوء: «حسناً! لمرّة واحدة سأكون الإبن المثالي...».

وإن كان قد ضمّن نبرة صوته بعض السخرية إلاّ أن أحداً غيره لم ينتبه لذلك. تابع يقول: «... ولكن أوّلاً أريد أن أتأكد بأنني إن فعلت ما تريد، وتزوجت في عيد ميلادي الثلاثين، ستعطيني الحرية المطلقة في إدارة الشركة. أليس كذلك؟».

علّق والده: «هاه... تعلّم جيّداً أن الأمور ستسير على هذا النحو بالذات».

- وهل تعدني بذلك حقاً؟».

- بالطبع.

ابتسم رافاييللو، وقال بهدوء وبصوت مهذب: «في هذه الحالة إذاً، عليك تقديم التهنئة لي والالتزام بالجزء المتعلّق بك في الاتفاق».

تسمّر والده في مكانه وتمسكت يداه بقوة بذراعي الكرسي، ولم يتمكن من

النطق بأي كلمة لبضع لحظات. أما لوسيا ـ وعلى العكس منه تماماً ـ فقد ضحكت قليلاً وتكلّمت على الفور بصوت مليء بالغزل الغاضب: «يا لك من رجلٍ سيء! أهذه طريقتك لتطلب يدي؟ لكنني سأعاقبك على عدم لباقتك، تأكّد من ذلك».

ثم أطلقت ضحكتها الرنانة مجدّداً، والتفتت نحو والده تمازحه بغنج نسائي: «أخبرني أنريكو، كيف سأعاقب ولدك الفظ الذي تنقصه اللباقة في التقدّم لطلب يد امرأة بشكل مهذب».

مرة أخرى ضحكت قليلاً، لكن بدلال أكثر هذه المرة، ونظرت مجدّداً نحو من اعتقدت بأنه سيصبح زوجها. بدت نظرة رافاييللو فضولية وكان يشعر بمزيج من التوتر والراحة. أشار بيده ثم قال: «قبل أن نتابع، أظن أن الوقت قد حان للاحتفال».

وعلى الفور ظهر غوسيب حاملاً صينية العصير إلى الطاولة، فتمتم له رافاييللو بضع كلمات لم يسمعها أحد سواه. فهز غوسيب رأسه وانسحب. وشغل رافاييللو نفسه بملء أكواب العصير وتوزيعها.

قالت لوسيا بغضب وسخط: «لقد جلب غوسيب كوباً إضافياً. أظن أن الوقت حان ليتقاعد ويكف عن العمل!».

أعطاها رافاييللو كوبها وهو يقول بخفة: «حين تصبحين سيّدة هذا المنزل، تصرفي كما يحلو لك».

ظهرت ابتسامة رضى وافتخار خفيفة على زاوية فمها. رآها رافاييللو لكنه لم يعلّق على الموضوع أكثر.

أخذ والده كوبه ووقف يرفعه وهو يقول برضى شديد. «سأقترح نخباً».

بدا مسروراً جداً لقرار ابنه، وكذلك كانت ابنة أخيه.

- نخب السينيورة دي ڤيسنتي الجديدة.

رفع رافاييللو كوبه وتمتم: «يا للطف! وفي التوقيت المناسب أيضاً».

سُمع صوت شخص قادم، وسرعان ما التفت رافاييللو باتجاهه.

وقفت الفتاة هناك ووقف غوسيب خلفها تماماً... شعر رافاييللو

بالرضى تماماً، فقد بدت بالصورة التي أراد أن يظهرها بها. وبينما التفت الجميع لينظروا إليها وقفت بفستانها البالي وشعرها المربوط إلى الوراء. وفوق هذا كله، هناك طفل رضيع يبكي فوق ذراعيها.

وقف رافاييللو وساعدها على التقدّم نحوهم، فيما بدت المرأة جامدة لا تبدي أي تفاعل على الإطلاق. أمسك يدها ليتأكد أنهما يريان خاتم الزفاف، وقال بصوت واضح مرتفع: «اسمحا لي أن أقدّم لكما زوجتي، السينيورة دي ڤيسنتي».

للحظة، وبينما وقفت ماغي متجمدة تتمنى لو أن الأرض تنشق لابتلاعها، عم صمت مطبق على المكان... وبعد ثوانٍ قليلة ارتفع صوت صاخب..

بدا صوت الرجل العجوز كزئير أسدٍ. لم تفهم ماغي كلمة واحدة، إلاّ أن الغضب الشديد والثورة في صوته سقطت كالإعصار فوق رأسها. إلى جانبها، أخذ رافاييللو دي ڤيسنتي، وهو زوجها بالمعنى القانوني، يشدّ بقوة على ذراعها الأيسر.

علقت أنفاس ماغي في صدرها، حين راح الرجل العجوز بصوت مرتفع يصرخ. توقعت أن يكون هذا الرجل والد رافاييللو دي ڤيسنتي لأنه يملك وجهاً متغطرساً، وسمات مشابهة تماماً لرافاييللو.

وقف الخادم صامتاً، كأن أحدهم ضربه على رأسه بشيء حاد، أما المرأة التي كانت تجلس بقرب السينيور دي ڤيسنتي العجوز فبدت صامتة ومذهولة تماماً.

للحظات طويلة، بدت كأنها ساعات لم يُسمع سوى صوت الرجل الإيطالي العجوز المرتفع الغاضب، بعدئذٍ بدأ بنجي يبكي بذعرٍ شديد.

حررت ماغي يدها من رافاييللو لتتمكن من ضمّ ابنها بقوة فوق صدرها، واستدارت لتدخل مجدّداً إلى قاعة الاستقبال الفخمة. ما الذي يجري بحق السماء؟

قاطع صراخ الرجل العجوز صوت مرتفع آخر... إنه صوت رافاييللو

الذي جاء صوته أكثر حدّة وغضباً. حاولت ماغي أن تبتعد قدر المستطاع عن ذلك المكان وهي تضم بنجي إلى صدرها محاولة تهدئته، لكن تلك بدت مهمة مستحيلة.

فجأة، شعرت بيد تمسك ذراعها وتنهرها بقوة. اشتمت رائحة عطرٍ نسائي قوي، وسمعت صوت امرأة يوجه لها الكلام بالإيطالية. ورغم أنها لم تفهم أي كلمة إلا أنها شعرت بالذعر.

قالت بصوت متشنج: «أرجوكِ.. أنا لا أفهم..».

أخذت المرأة نفساً عميقاً، وضاقت عيناها وهي تسأل: «أنتِ إنكليزية؟».

وعادت تهز ذراع ماغي مجدّداً: «من أنتِ؟ وما الذي تخططين له بالادّعاء أنك زوجة رافاييللو؟».

أرادت المرأة أن تدقق في خاتم ماغي فأمسكت يدها لتراه، لكن ماغي أبعدتها عنها ليصبح جسدها حاجزاً بين تلك المرأة وبنجي الذي راح يبكي من الخوف. ركضت بعيداً نحو الباب، وعبرت القاعة الرئيسية، ثم صعدت الدرج متوجهة مجدّداً نحو غرفة نومها. وحين تأكدت أنها أصبحت بأمان، أخذت نفساً عميقاً لترتاح.

كان بنجي أوّل ما فكرت فيه، لقد أصبح بكاؤه هستيرياً الآن، وسيتطلّب منها عناء كبير كي تهدىء روعه. جلست على السرير ووضعته في حجرها، وراحت تهزه بلطف وحنان فتحسنت حالته تدريجياً ثم وضع إصبعه في فمه وبدا يشعر بالراحة.

آه، يا إلهي! ما الذي فعلته بنفسي؟ أرجوك، أرجوك دعني استيقظ وأرى أنني لا أزال في منزلي..

لكن ذلك لم يكن حلماً كي تستيقظ منه. فهي فعلاً في توسكانا متزوجة من رافاييللو دي ڤيسنتي. ويبدو أن عائلته أصيبت بالهلع حين سمعت هذا الخبر.

سمعت وقع خطواتٍ غاضبة في الممر ثم أصوات أبواب تغلق بعنف.

www.elromancia.com

وأخيراً أغلق أحد الأبواب بعنف فاق كل ما قبله، وشعرت ماغي أن المنزل اهتز بأكمله جراء ذلك.

هدأ الوضع لبعض الوقت، ثم سُمع صوت محرّك سيارة يدور بعنف، وانطلقت السيارة مسرعة ليختفي بعدها الصوت ويخيّم بذلك صمت طويل في أرجاء المنزل.

فتحت ماغي حقيبة يدها وأخرجت منها تفاحة وبعض قطع البسكويت. أكلها بنجي بشراهة كبيرة، لكنه ظل يشعر بالجوع. راحت تحاول إلهاءه بأشياء أخرى لساعة أخرى تقريباً، لكن جهودها ذهبت هباءً. حتى العصير لم ينفع معه، فالطفل يحتاج إلى طعام يناسبه، وإلى شرب الحليب. لم تعد تملك خياراً آخر؛ عليها النزول للبحث عن بعض الطعام له.

فتحت الباب بهدوء وقلبها يقفز خوفاً. بدا المكان معتماً في الخارج، فنزلت الدرج بحذر لتصل إلى الطابق السفلي.

دخلت عبر ممر توقعت أن يوصلها إلى المطبخ، وتمنت أن تجد غوسيب هناك. فتحت باباً أمامها بحذر شديد، وحين دخلت أدركت أنها وصلت إلى مطبخ واسع قديم الطراز، في الجهة المقابلة للباب رأت موقداً كبيراً وضعت فوقه أواني للطعام. أما في وسط المطبخ فوضعت طاولة خشبية كبيرة غطت معظم المساحة. وخلفها قرب نافذة قديمة الطراز أيضاً وقفت امرأة كبيرة السن تنظّف قدراً نحاسية ضخمة فوق مغسلة حجرية.

وقفت ماغي عند الباب مترددة، فالتفتت المرأة لتنظر نحوها. سألتها بنبرة غير ودودة: «نعم، ماذا تريدين؟».

بدا وجهها قاسياً وتعابيرها بعيدة عن الترحيب. ابتلعت ماغي ريقها وقالت متلعثمة بالإيطالية: «عفواً هل... من الممكن...؟».

أملت أن يكون لفظها للكلمات صحيحاً كما تعلّمته من كتاب اللغة الإيطالية التي اشترته مؤخراً.

قاطعتها المرأة وقالت بنبرة جافة: «أنا أتكلّم الإنكليزية. ماذا تريدين؟».

أوشكت ماغي على الهرب والابتعاد بسبب قسوة تلك المرأة. حتى بنجي

شعر بتلك القسوة ما زاده تعلّقاً بأمه. ابتلعت ماغي ريقها مجدّداً وقالت بصوت يشبه الهمس: «عفواً.. هل من الممكن، بعد إذنك.. أن تقدّمي بعض الحليب لابني؟».

نظرت المرأة نحو ماغي بعينين ثاقبتين من تحت حاجبيها الرماديين، فشعرت هذه الأخيرة بتوتر شديد.

أخذت المرأة تتفحصها، وتراقب ثيابها البالية وجسدها النحيل والطفل الذي تحمله. ثم عادت تنظر إلى وجه ماغي المتوتر. فجأة تغيّرت تعابير وجه تلك المرأة، فوضعت القدر جانباً وعلّقت ببضع كلمات إيطالية لم تفهمها ماغي قبل أن تتحرّك متجهةً نحوها، ثم قالت: «تعالي... تعالي... اجلسي هنا!».

أمسكت ماغي بقبضة قوية، وحثتها على الدخول والجلوس على أحد الكراسي حول الطاولة.

- أنت جائعة، أليس كذلك؟

مشت المرأة نحو الموقد حيث وضع العديد من الأواني، وبواسطة إحدى الملاعق الخشبية الكبيرة سكبت من إحد الأواني صحناً من السباغيتي ثم وضعت على وجه الصحن صلصة البندورة الحمراء، وحملت صحن الطعام إلى ماغي. وضعت الصحن على الطاولة، ثم عقدت أحد مناديل الشاي الصغيرة حول عنق بنجي كي تحمي ثيابه من الصلصة.

فتح بنجي فمه تلقائياً لدى رؤيته الطعام. تذوقت ماغي القليل من السباغيتي كي تتأكّد أنها ليست ساخنة كثيراً على بنجي، قبل أن يمسك بنجي بذراعها ليوجّه شوكة الطعام المليئة بالسباغيتي نحو فمه.

أكل بنجي وجبة كبيرة، وحالما انتهى من تناول طعامه وضعت المرأة صحناً ثانياً من السباغيتي وصلصة البندورة أمام ماغي، وأخذت الطفل منها، ثم قالت لها: «حان دورك لتناول العشاء الآن».

حملته المرأة بشكلٍ يدل على خبرتها مع الأطفال، ثم استدارت لتملأ له كوباً من الماء أعطته إياه ليشربه. بدا بنجي سعيداً جداً بذلك، وأخذ يصدر

صوتاً قوياً وهو يشرب.

راحت المرأة تداعبه، وتخاطبه بكلامٍ إيطاليّ ودود لم تفهم منه ماغي سوى كلمة «طفل».

أحضرت المرأة ملعقة خشبية، استخرجتها من إناء فخار وضع على حافة النافذة، وقدّمتها لبنجي كي يلعب بها، فالتقطها بسرور. ثم جلست في المقعد المقبل لماغي وقالت: «هيا! كلي طعامك».

بدا الطعام لذيذاً جداً، التهمته ماغي بشراهة، تماماً كما فعل بنجي.

تركتها المرأة تكمل طعامها وهي تلهي نفسها ببنجي الذي بدا غير متضايقٍ للتكلّم معه بلغةٍ يجهلها. راقبت ماغي تلك المرأة وقد بدا بوضوح مدى خبرتها مع الأطفال، ما جعلها تعرف بالضبط ما قد يُسلي بنجي. مثل ضرب الطاولة بالملعقة الخشبية، ومحاولته الوصول إلى المملحة الموضوعة على الطاولة ليلهو بها. رشفت آخر ملعقة من صلصة البندورة وتنهدت بارتياح، نظرت المرأة إليها وقالت وهي تنقل بنجي من جهةٍ إلى أخرى في حضنها: «إذاً، ستتكلم الآن...».

وتابعت بلكنة إنكليزية ثقيلة: «هل هو ابن رافايللو؟».

ظهرت على وجه ماغي تعابير الذهول. وفتحت فمها من الصدمة، ما جعل ردّة فعلها تُريح تلك المرأة التي قالت: «حسناً! هذا أمرٌ جيد».

ظهرت النبرة اللاذعة مجدّداً في صوت المرأة التي تابعت تقول دون تأخير: «إذاً لقد تزوج، ببساطة، كي يغيظ والده. يا له من غبي!».

حدّقت ماغي بها ولم تعلم ما الذي عليها أن تقوله، فهي لم تكن تملك أي فكرة عن الوضع السيء الذي ستواجهه عندما تصل إلى هذا المنزل. أما مدبرة المنزل فلم تبدُ متفاجئة أبداً ممّا حدث.

علّقت المرأة قائلة: «هل هو مجنون ليفعل هذا بوالده؟ دائماً تتكرر الأحداث نفسها.. يتشاجران دائماً كالرعيان. يا لعنادهما...! لكن هذا هو أسوأ ما حصل بينهما على الإطلاق».

قالت ماغي: «أنا... أنا آسفة».

قالت المرأة بضع كلمات بالإيطالية ثم تابعت تقول بالإنكليزية: «حسناً! حسناً! لقد حدث ما حدث الآن. لكن إن لم يكن رافايللو والد طفلك، لِمَ تزوجت منه إذاً؟».

صدم ذلك السؤال القاسي ماغي.

- همم... قال السينيور دي ڤيستي إنه بحاجة للزواج لأسباب قانونية في عيده الثلاثين. وأنا.. أنا وافقت لأنني..

صمتت فجأة وشعرت بالخجل من الاعتراف بأن السبب الذي جعلها توافق على الزواج من رجل غريب هو المكسب المادي.

رمقتها المرأة بنظرات قاسية وقالت: «من أجل المال أليس كذلك؟».

احمرت وجنتا ماغي ونظرت أمامها خجلاً.

- بالمال الذي وعدني به السينيور دي ڤيستي سأتمكن من شراء منزل صغير لابني.

عادت النبرة اللاذعة إلى صوت المرأة مرّة أخرى، لكن بدا صوتها ضعيفاً ومتعباً وهي تسألها: «وأين هو والد طفلك؟ لا! لا تقولي لي... لقد رحل، أليس كذلك؟ المسألة نفسها تتكرّر دائماً. الرجال لا يكترثون والفتيات غبيّات».

أعطت بنجي مجدّداً لماغي، وأخذت الأطباق كي تغسلها. ثم رمقت ماغي بنظرات داكنة تحذيرية وهي تقول: «حسناً! لم يعد هناك ما يمكنك أن تقومي به الآن. لكن بعد ما فعلته، من المستحيل أن يسامح والد رافايللو ابنه».

* * *

تثاءب رافايللو حين وصلت أشعة الشمس إلى سريره. ما زالت كلمات والده ترن في أذنيه... استعاد كل كلمة بغيضة تبادلاها.. تذكر غضب والده العارم، وسخريته هو الشريرة حين قال له إنه بفضل إصراره على تزويج ابنه، تزوج هذا الابن من امرأة كانت تقوم بتنظيف حمامات الشقق لكي تعيش، وهي أم لطفل دون والد.

لعشر ثوانٍ فقط، فكّر أن أنريكو قد يصاب بأزمة قلبية بسبب هذا الكلام، لكنه بدلاً من ذلك أخذ يوجّه لرافاييللو كلمات الغضب والشتائم لأنه جلب العار للعائلة بسبب هذا الزواج الطائش. أما لوسيا فكانت تبحث عن شخص لتتفث سمّها عليه، وبدا هو الشخص المناسب.

أعاده حمّام ساخن إلى رشده قليلاً. نظر إلى ساعة يده ليكتشف أن الوقت أصبح ظهراً. إنه أوّل يوم من عمره بعد بلوغه الثلاثين، لكنه لم يشعر بالسعادة وبرغبة في الاحتفال. نظر من نافذة غرفته بتشاؤم، ولم يشعر بالراحة لرؤية الحدائق في الأسفل. حاول التركيز على أمور مهمة؛ عليه الذهاب إلى روما لعقد إجتماع موسع وإعلان نفسه رئيساً لمجلس الإدارة الجديد.. ثم سيبدأ بتطبيق الخطّط التي وضعها للدخول إلى السوق الأميركية والأسترالية..

لفتت نظره حركة في الحديقة، فعاد ينعم النظر نحو الأسفل. رأى الفتاة تقوم بجولة حول المنزل مع طفلها، كانت تمشي ببطء ممسكة بيد الطفل، وهو يحاول السير متأرجحاً في الممر المرصوف بالحجارة. يا إلهي! لقد نسي أمرها تماماً..!

ما الذي سيفعله بها الآن؟ لقد أدّت مهمّتها وأمنت له الزوجة التي كان يريدها لمواجهة والده. لم يعد بحاجةٍ إليها الآن، لكنه لن يخاطر بنظرة الرأي العام له وتوضيح هدفه من هذا الزواج المدبّر بإرسالها الآن إلى إنكلترا. هزّ كتفيه وفكّر أن يطلب من ماريا أن تبقيها بعيداً عنه، وسيسمح لها بقضاء عطلةٍ تستمتع بها في الڤيلا، بينما يذهب هو إلى روما.

قبل أن يستنير نحو الغرفة لمح شخصاً آخر يخرج من المنزل... إنها لوسيا! بدا بوضوح أنها تتجه نحو الفتاة وهي تستشيط غيظاً.

خارجاً، في الحديقة شعرت ماغي بالهلع. فتلك المرأة أياً تكن، كانت بالأمس غاضبة من إعلان رافاييللو تماماً كما كان والده، وهي الآن تتوجّه نحوها عن سابق تصميم. راح حذاء تلك المرأة يصدر صوتاً عالياً فوق الممر المرصوف بالحجارة وهي تمشي مسرعة، إلى أن وقفت مباشرة أمام ماغي.

ضاقت عينا المرأة بغضب ملتهب، فشدت ماغي بيد بنجي الذي كان ينحني لاستكشاف الحجارة...

مهما كان ما أرادت أن تقوله تلك المرأة، فقد بقي طي الكتمان، إذ سرعان ما سُمع صوت وقع خطوات أكثر قوة وسرعة، وظهر رافاييللو عند زاوية المنزل. كان يرتدي هذا الصباح الصيفي بذلة رمادية أنيقة. نظر إلى ماغي فإذا بها تحدّق باستسلام وبأنفاسٍ متقطعة.

وجه كلامه إلى لوسيا بلغة إيطالية سريعة: «عليك أن تغادري لوسيا. ليس لك أي عمل هنا، كما لم يكن لديك يوماً. كان عليك أن تعلمي أنني لن أتزوّج منك أبداً».

التمعت عينا لوسيا غضباً، وقالت بالإيطالية أيضاً: «إذاً لقد تزوّجت بهذه الساقطة بدلاً مني. انظر إليها، إنها تبدو كالدجاجة الهزيلة».

نظرات الازدراء التي رمقت بها المرأة ماغي جعلت رافاييللو يتوتر. ألقى نظرة خاطفة نحو ماغي وهو يقول: «كفى!».

شحب لونها فجأة، وتمنى رافاييللو ألاّ تكون ذكية بما يكفي لكي تدرك معنى الكلام الذي وصفتها به لوسيا. لكن لم يساوره شك بأنها سمعت النبرة العدائية في صوت قريبته، مهما كانت اللغة التي تكلّمت بها. أخذ رافاييللو نفساً عميقاً وقال: «لوسيا، أظن أن من الأفضل لك أن تعودي إلى شقتك في فيرنز، فأنت لم تقدّمي أي خدمةٍ جيّدة لوالدي بجعله يعتقد أنك قد تصبحين زوجة ابنه العتيدة».

ظهرت نظرات مزعجة في عيني لوسيا الداكنتين. وقالت بغضب: «وأنت.. هل تظن أنك قدّمت له خدمة جيّدة بإحضار هذه.. هذه الفتاة إلى منزله؟ أتمنى أن تكون فخوراً بما فعلته رافاييللو».

استدارت لوسيا على عقبيها، ومشت مبتعدة.

تنفّست ماغي الصعداء، وفي ذلك الوقت كان بنجي متشبثاً بيدها، وقد شعر بالخوف من الصراخ والأجواء المشحونة التي تحيط به. حملته ماغي على ذراعها وهي تهمس له فوق رأسه: «لا بأس يا صغيري.. كل شيء على ما

يرام».

لكن لم يكن كل شيء على ما يرام، بل كل شيء كان يسير بشكل خاطىء.. كل ما يدور في هذا المكان الجميل كان خاطئاً.

- كان عليك أن تخبرني.

لم تعلم من أين أتت هذه الكلمات، أو من أين أتتها الشجاعة لقولها. لكنها قالت ما قالته، وهي الآن تنظر إلى الرجل الذي ظنت أنها تزوجت منه لأسباب قانونية تتعلّق بالأعمال فقط. لكنها استنتجت أن الأمر لم يكن يتعلّق بشركة دي ڤيسنتي.

لا يُعقل أن يكون الغضب والسخط اللذين واجهتهما منذ ظهورها على الشرفة بالأمس متعلقين بأمور غير شخصية كإدارة أعمال الشركة. إنها مشكلة عائلية، مشكلة عاطفية بشعة ومستمرة.

- أخبرك بماذا؟

بدا صوته حاداً أكثر ممّا قصد، فالحديث الذي تبادله مع لوسيا جعله يبدو قاسياً.

أجابت ماغي بقوة: «لم تخبرني أنني سأسير في مكانٍ مليء بالألغام البشرية. فالكل غاضب لأنك تزوجت مني. والدك.. تلك المرأة.. أياً تكن.. وحتى مدبرة المنزل والخادم. لم أكن أعلم أن الجميع سيكونون غاضبين مني».

حاولت ماغي بيأس أن تخفي الرجفة التي ظهرت في صوتها وهي تتكلّم.

أجاب رافاييللو ببرودة: «ليسوا غاضبين منك، بل مني أنا. أما الشخص الوحيد الذي أنا غاضب منه فهو والدي».

أخذ نفساً عميقاً وتابع: «ربما يجب أن تعرفي أنه أراد أن يزوجني من لوسيا، إنها قريبة لي وتودّ أن تصبح السينيورة دي ڤيسنتي كي تتمتع بمالي. لقد عملت عليه بقوة كي يقتنع بأنها الزوجة المثالية لي والأم المثالية لأحفاده الذين يتمنى الحصول عليهم قريباً. أما هو فحاول إجباري على ذلك بالقوة، وهدّد ببيع حصته في الشركة. لكنني لم أكن لأسمح بذلك، فقد عملت بجهد

في السنوات العشر الأخيرة كي لا أضطر أبداً إلى الزواج من امرأة لا أريدها. لذا تحدّيته وتزوجت قبل يوم واحد من عيد مولدي الثلاثين».

بدا صوتها جافاً جداً هذه المرة وهي تقول: «من امرأة ساقطة».

تفاجأ رافاييللو، أيعقل أنها تعلم ما تعنيه هذه الكلمة؟ وكأنها تمكنت من قراءة أفكاره فتابعت تقول: «أليس هذا بالضبط هو معنى تلك الكلمة التي استخدمتها المرأة لوصفي، سيّد دي ڤيسنتي؟».

بدأت بالسير، وقد أرادت فقط أن تبتعد عنه. شعرت بالصدمة لبشاعة المواقف حولها، لكن رافاييللو أمسك ذراعها وقال: «لا تعيري لوسيا أي اهتمام، فهي غاضبة وحزينة. لقد نفّست عن غضبها أمامك، ليس أكثر».

- شكراً لك. لكنني أفضل ألاّ يعينني أحدٌ. فلا أنت ولا قريبتك تعرفان أي شيء عني أو عني ظروفي أنا وابني.

امتقع وجهه بسبب ردّها القوي فقال: «كونك فتاة شابة لديها طفل صغير تخلى عنه أبوه يعني على الأقل أنك كنت غير حذرة باختيار الرجل المناسب».

تصلّبت تعابير وجهها وأجابت: «أظن أنني كنت أقل حذراً باختيار الرجل الذي تزوجته بالأمس، سيّد دي ڤيسنتي. كان عليّ بالتأكيد أن أتحرى عن علاقاتك المشبوهة أيضاً».

هزّت ماغي ذراعها لتحرّرها من قبضته، وأسرعت بالابتعاد عنه. خلفها، سمعت رافاييللو يطلق شتيمة، ثم سمعت خطواته تسرع ليلحق بها. وحين أصبح بقربها، قال بقسوة: «أنا آسف لأنك تعرضت لهذا الموقف، لكن أودّ أن أذكرك بأنني سأدفع لك مبلغاً كبيراً من المال من أجل ما تقومين به».

شعرت بالاحباط حين ذكّرها بذلك. توقفت عن السير وأخذت تنظر إلى حذاءه اللامع. إنه محقّ عليها ألاّ تنسى ذلك، حتى لو لم يكن صادقاً حين أخبرها عن الأسباب التي دفعته إلى الزواج بها.

رفعت بصرها نحوه وأجابت بعنفوان: «لقد قمت بما يوسمي سيّد دي ڤيسنتي.. فعلت ما أردته أنت تماماً. ولكني فعلاً لا أتوقع منك أن تسمح

لأفراد عائلتك بأن يصبوا جام غضبهم عليّ، فقط لأنهم غاضبون منك بسبب زواجك بي».

التوت شفتا رافاييللو: «هل تطالبين بمبلغ أكبر من المال؟».

ظهر الشحوب على وجهها بسبب سؤاله وقالت نافية: «لا، سيّد دي ڤيسنتي! أنا لا أطلب المزيد من المال. أنا أطلب فقط ألاّ أكون عرضة لإهانات أقاربك. إن لم يكن لأسباب أخرى، فقل إنها تسبب الذعر لبنجي. والآن، إذا سمحت، هل يمكنك أن تعطيني التعليمات التي عليّ اتباعها هذا اليوم، وسأفعل ما بوسعي لتنفيذها. هل تودّ مني أن أعود إلى غرفتي؟».

فاجأته للحظات ردّة فعلها الغاضبة. قال لها: «تصرفي بحرية وافعلي ما تريدينه، المنزل والحديقة تحت تصرّفك. أنا لست رهيباً إلى هذا الحد... لقد عبّرت لك عن أسفي الشديد لتصرّفات قريبتي، لكنها ستغادر قريباً، وكذلك أنا. لذا أرجوك تصرّفي كأنك في منزلك».

مشى بعيداً تاركاً ماغي تغلي في غضبها. لكن شعورها هذا اختفى فجأة، ما الذي جعلها تخوض هذا الشجار معه؟ فالأغنياء لا يكترثون لمشاعر الناس، وهي تعلم ذلك جيداً. بالنسبة لرافاييللو دي ڤيسنتي، إنها مجرّد أداة يستخدمها... لقد وظفها لديه وهو يدفع لها مقابل عملها. عليها أن تبقى صامتة ولا تدخل في مشاكل مع أحدٍ... مهما حدث من شجارات حولها.

سمحت لبنجي أن ينزل إلى الأرض مجدداً، وراقبته بصمت وهو يمسك بالحجارة ويرميها مجدّداً على الأرض. حين شعر أخيراً بالملل أمسكت يده وقالت له: «هيا! دعنا نعود إلى المنزل».

دارت حول المنزل كي تدخل من الباب المخصص للخدم، فهي تشعر بالراحة في ذلك المكان على الأقل، إذ يبدو أن مدبّرة المنزل قررت أخيراً أن تكون ودودة معها. علمت ماغي في الصباح عندما نزلت إلى المطبخ لتطعم بنجي أن المدبرة تدعى ماريا، وقد أظهرت ماريا لطفاً شديداً نحوهما مقارنة بالفظاظة التي تظهرها عادة، وتوقعت ماغي أن ماريا تخبىء وراء فظاظتها هذه قلباً طيباً جداً.

ما إن دخلت ماغي إلى المطبخ حتى تهجّت ماريا كلمات جديدة بالنسبة إليها باللغة الإنكليزية: «حليب من أجل الطفل».

توجّه بنجي نحوها بفرح، معبّراً عن ثقته بهذه المرأة الجديدة التي تدخل حياته. حدّثته ماريا بالإيطالية وأجلسته على الطاولة لتقدّم له كوباً من الحليب المخفوق، بينما راح بنجي يشرب كوب الحليب بشراهة، بدأت ماريا تكرّر «حليب» أمامه مراتٍ عديدة كي يتعلّمها جيداً.

كرّر بنجي الكلمة وراءها وهو يقول: «بيب...».

ثم أخذ يراقبها وهو يسأل بكلام غير مفهوم: «أيضاً؟».

فسرت ماغي لماريا ما يقصده بنجي بكلامه: «يقصد أنه يريد كوباً آخر».

- آه فهمت...!

ملأت ماريا كوب بنجي بالمزيد من الحليب. ونظرت إلى ماغي قائلة: «إنه ولدٌ جيّد، رغم أنه بلا أب».

بقيت تنظر نحو ماغي مطوّلاً بعينيها السوداوين، ثم لانت تعابيرها وأكملت تقول: «لكن من الواضح أنك تحبين ابنك كثيراً، وهذا يجعل منك امرأة صالحة».

اغرورقت عينا ماغي بالدموع عند سماع هذا الكلام الذي بدا قاسياً ولطيفاً في الوقت نفسه، فأصدرت ماريا صوت اعتذارٍ بحنجرتها ووضعت أمام ماغي كوباً من الحليب المخفوق كالذي أعطته لبنجي.

لدهشتها أمضت ماغي بقية نهارٍ ممتع، حيث قضت وقتاً طويلاً برفقة ماريا وهما تمرحان مع بنجي. فقد أخرجت العابه من الغرفة، وأنزلتها إلى المطبخ لتلعب معه عند زاوية من الطاولة الكبيرة، بينما أخذت ماريا تحضّر الغداء لوالد رافاييللو، كما قدرت.

أما لوسيا فقد غادرت المنزل، كما أعلن غوسيب حين أتى ليلقي نظرة على المطبخ لبعض الوقت. وحسبما استنتجت ماغي فإن لوسيا لم تكن محبوبة أبداً من موظفي الڤيلا.

لقد رحل رافاييللو أيضاً، منطلقاً بسيارته بسرعة إلى روما، ما جعل ماريا

تشعر بالاستياء. لكن ماغي شعرت بالراحة لهدوء المنزل.

بعد الغداء بدأ القسم المشوق من النهار. اصطحبتها ماريا مع بنجي إلى حوض السباحة الذي يقع في حديقة مسيّجة. بدت المياه ملتمعة تحت أشعة الشمس بشكل يغري للسباحة، فركض بنجي الذي يعشق السباحة نحو البركة بحماسٍ كبير. سألت ماغي ماريا بتردّد: «ألن يمانع السينيور دي ڤيسنتي أن يسبح بنجي هنا؟».

توتّر فم ماريا وقالت: «أنت السينيورة دي ڤيسنتي الآن... ولا تقولي لي إن ذلك حدث بالاسم فقط... إنه متزوج منك، وأنت زوجته. إن أردت السباحة اسبحي».

لم تستطع ماغي المقاومة. رغم أن المياه بدت باردة بعض الشيء، لكن بنجي استمتع بالسباحة في الإطار المليء بالهواء الذي جعله يعوم فوق الماء، ولم تخشَ ماغي أن يصاب بالبرد لأن أشعة الشمس كانت قوية.

مرّ الوقت بسرعة وهما يستمتعان بالسباحة بهدوء لوحدهما.

بعد فترة غفا بنجي على كرسي طويل تحت مظلة كبيرة فتحها لهما غوسيب بجانب المسبح، بينما جلست ماغي تتشمس بقربه.

على الرغم من المشاكل التي عصفت حولها منذ وصولها إلى هذا المنزل، عليها أن تنسى كل الشجارات وتستمتع بوقتها. إذ لا علاقة لها أبداً بمشاكل رافاييللو دي ڤيسنتي وهمومه.

أمضت ماغي أمسية هادئة مع بنجي برفقة ماريا وغوسيب في المطبخ.

قالت ماريا وهي تبدو غير موافقة على تصرفات دي ڤيسنتي: «ذهب إلى روما، ولم يعد».

وفي المساء، حين استغرق بنجي بالنوم في السرير الكبير، شربت القهوة التي أحضرتها لها ماريا وقرأت لمدّة ساعتين تقريباً.

قبل أن تخلد إلى النوم جلست أمام نافذة الغرفة، تستمتع بأجواء الليل الإيطالي. إنها الليلة الثانية لها في إيطاليا. فيما هي تراقب الظلام الهادىء، بدا لها ضجيج لندن على بعد عدّة كواكب...

قالت لنفسها بنعومة: «أنا محظوظة أكثر مما كنت أحلم، بمجرد خوضي هذه التجربة التي لم أفكّر بها أبداً».

تراءى لها في الظلام وجه ذو عينين سوداوين، بشرة سمراء، عظام بارزة فوق الخدين وفم منحوت... وجه يمثل قمة الوسامة الرجولية. راح قلبها يخفق بجنون.. آه! إنه ذلك النوع من الرجال الذين يسلبون ألباب النساء.

تزايد شعورها بالضعف!

إن رافاييللو دي ڤيسنتي بعيد عن متناول يدها أكثر من لوحة قيّمة معلقة على جدار متحف.

ضغطت شفتيها معاً بقوة، وهزت رأسها وقد اتسعت عيناها دهشة لتفكيرها به. تنشقت هواء توسكانا المنعش المحمل بعبق أشجار السرو وعطر الأزهار، وببطء، وقفت على قدميها وتوجهت إلى سريرها.

٤ ـ نعم، إنها زوجتك!

ضغط رافاييللو بقوة على دواسة الوقود ليتجاوز باصاً سياحياً كان يسير ببطء شديد على الطريق السريع. عليه أن يكون بمزاج جيّد، لقد أصبحت شركة دي ڤيسنتي له بالكامل. لكنه لا يشعر بالفرح، فهو لم يشأ أن يتواجه مع والده، فكيف بأن يتواجه مع الفتاة التي أصبحت زوجته أيضاً.

كل ما أراده هو أن يتخطى خدعة والده، ويبعد لوسيا عن طريقه، وأن لا يخسر جهد حياته في شركة ڤيسنتي. لم يخطط أبداً للاهتمام براحة امرأة وتدليل ابنها، فقط لأنه تزوّج منها في اليوم السابق. فهي كانت تعلم ماذا تفعل حين قامت بتوقيع تلك الأوراق.

صرخ في رأسه صوت مؤنب يقول: لا! هي لم تعلم.

جعله ذلك يطلق بوق السيارة بقوّة ليمنع سيارة تحاول تجاوزه من اختراق خط سيره.

تابع ذلك الصوت بداخله يقول: تماما كما قالت لك... لم تكن تعلم أنها ستواجه انفجار الغضب في عائلتك لدى وصولها. لقد اصطدمت بهذا المحيط دون أي علم بالأسباب.

راح يفكّر بقسوة: نعم، حسناً! ولكن لا سبب يدعوني لأشعر بالسوء نحوها. فهي على الأرجح فتاة إنكليزية غير ذكية لم تفقه أي كلمة مما حُكي أمامها بالأمس. حتى إنها جعلت نفسها حاملاً لكي تستفيد من تقديمات الضمان الاجتماعي ليس أكثر. وهي الآن تمضي عطلة جميلة في ڤيلا مليونير إيطالي، فتستمتع بأشعة الشمس. بالتأكيد لن يقترب والده منها.. فهو ببساطة سيحبس نفسه في المكتبة، ويبدأ بالتدخين. أما لوسيا فرحلت من

المنزل. وقد تأكد رافاييللو من أن غوسيب وماريا يعتنيان بماغي وطفلها.

ما لبث أن اقتنع بوجهة نظره الأخيرة، ولم يعد يفكر بالموضوع، ضغط على دواسة الوقود أكثر، فالقيادة بسرعة تضع دائماً مشاكله خلفه، وتخلّصه من همومه.

لكنه استعاد همومه ما إن وصل إلى مدخل كاراج الڤيلا من جديد، بعد نصف ساعة تقريباً. وقعت عيناه على سيارة مألوفة، وفكّر بغضب: يا للروعة! لقد استدعيت قوات الردع للنجدة.

لم يشعر رافاييللو بالدهشة. لطالما استعان والده بشقيقته كلما واجه المشاكل مع ابنه. حسناً! يمكن للعمة اليزابيث أن تقول ما تشاء في هذه المسألة، وهي بالتأكيد ستفعل، فهي تملك لساناً حاداً. لكن أي معاتبة ستأتي متأخرة، لقد تحدّى والده وانتهى الأمر.

استقبله غوسيب حالما وصل إلى المدخل. بدا الرجل شاحباً، وعلم رافاييللو أنه ليس راضياً حين راح يتكلّم.

قال محاولاً تجاهل ملاحظات هذا الرجل الذي يعرفه أكثر من والده: «أرى أن عمتي وزوجها هنا!».

- أجل، سينيور. وصلا منذ ساعة وهما يجلسان مع والدك.

هز رافاييللو رأسه وعلّق قائلاً: «حسناً! إذاً علي أن أنتهي من هذا الأمر. هل هم في المكتبة».

هزّ غوسيب رأسه إيجاباً، فقال رافاييللو: «حسناً!».

أكمل طريقه نحو المكتبة، وما إن دخل القاعة الكبيرة، أدرك على الفور أن والده كان يقوم بتعداد أخطائه وزلاّته بالتفصيل. أما عمّته فكانت بالتأكيد تسترجع ذكرياتها، حين كانت أختها الكبرى تعتني بها في هذا المنزل. أما زوجها فظهرت في عينيه تلك النظرة المألوفة التي تدل على شرود ذهنه لأميالٍ، بعيداً عن مشاكل العائلة. ما إن اقترب رافاييللو حتى افتتح والده الحديث معه قائلاً: «إذاً، قررت أخيراً العودة إلى المنزل! أوّلاً تقوم بتحطيمي، ثم تتركني بمفردي. لكن أي معاملة أخرى سأتوقعها منك؟».

شعر رافاييللو بالغضب والتوتر يسيطران عليه مجدّداً، وقال: «كنت بحاجة إلى النزول إلى روما لطلب عقد اجتماع لمجلس الإدارة في أقرب وقتٍ ممكن كي أعلن أنني أصبحت رئيس المجلس الجديد».

أطلق والده صوتاً معبّراً عن استهجانه، وقال: «لقد نحيّتني جانباً فعلاً! حسناً! لكن حين تترك شركة العائلة في دمارٍ تام بسبب طموحاتك السخيفة تذكّر أنك أخذتها مني عن طريق الغدر والخيانة».

تكلّم رافاييللو بصوت حديدي وهو يرى لون وجه والده يتغيّر بشكلٍ خطير: «أنت أعطيتني كلمتك بابا. قلت لي إنني سأدير الشركة بنفسي إنْ تزوجت في عيد ميلادي الثلاثين، وأنا نفذت شرطك. هذا كل ما في الأمر. أنا لم أعد طفلاً صغيراً الآن، وما أردت فعله بي لا يُغتفر. إنها حياتي.. ولا يحق لك أن تتحكّم بها كلعبة بين يديك».

ارتفع صوته مع ازدياد غضبه، فوقفت عمته بينهما، ورفعت يديها قائلة: «هذا يكفي، رافاييللو! وأنت أيضاً أنريكو. ألا يمكنكما أن تحاولا على الأقل التفاهم بطريقة حضارية؟».

قال أنريكو بغضب: «حضارية؟ أتطلبين طرقاً حضارية بعد ما فعله، اليزابيث؟».

تنهدت اليزابيث قليلاً ثم قالت: «يدهشني أنريكو أنك بعد كل هذه السنين لا زلت تجهل أن رافاييللو عنيدٌ مثلك تماماً. بالله عليك! من أين تعتقد أنه أحضر هذا الرأس اليابس؟ أردت إجباره على أمرٍ ما فتمرّد عليك. ماذا توقعت منه أن يفعل، ودمك العنيد يجري في عروقه؟ نصحتك بألاّ تعاند في قراراتك. لو أنه أراد الزواج بلوسيا، لفعل ذلك من دون مساعدتك له».

نظر أنريكو بتمرّد نحوها، بسبب هذا النقد القاسي الذي وجهته إليه، لكن أخته لم تفسح له المجال للردّ، فقد أعطت انتباهها لرافاييللو لتقول بصوت يشدّد على ملاحظتها: «أشكر الله أنك تملك الاحساس الذي منعك من الزواج بلوسيا. وأتمنى أن تقدم ذات يوم على زواج مبني على الحب. لكن، أوّلاً عليك تحرير نفسك من هذا الرباط الذي زجيت نفسك فيه بالزواج

الآن، فأنا لا أوافق على ما فعلته رافاييللو. سأخبرك بصراحة أنني ما زلت آمل بأن تثبت للجميع، ولنفسك أيضاً، بأنك أكثر من مجرّد رجل أعمال ذي عقلٍ راجحٍ ووجهٍ وسيم».

ثم تابعت بصوتٍ حاد: «عليك أن تجعل عمتك تفرح بك».

وفتحت ذراعيها باتجاهه كأنها تطالبه بالاقتراب منها، فأسرع رافاييللو نحوها كالمعتاد ليطبع قبلتين على وجنتيها. فقالت له بمرح: «نعم، هذا أفضل بكثير!».

على الرغم من لسانها الحاد، فهو يحبها كثيراً. نظرت اليزابث في عينيه للحظة، وقالت بغرابة: «علينا أن نتحدث سويّاً أيها الشاب الوسيم، سأرسم خطة لإخراجك من هذه الورطة... ولن تكون المرّة الأولى التي أفعل ذلك.. ولا المرة الأخيرة».

سمحت له بالابتعاد عنها، ولكنها أكملت تقول: «لكن، أولاً عليّ أن أرتاح قليلاً، فالرحلة من بولونيا كانت متعبة. لقد عمل عمّك برناردو بجهد كبير وكانت جولته الثقافية شاقة، وما زال هناك الكثير من الأوراق التي يتوجب عليه كتابتها. كان عليك توقيت مصائبك في وقتٍ مختلف. هيا برناردو!».

نادت زوجها برناردو ليلحق بها، وبالكاد تمكّن هذا الأخير من تبادل بضع كلمات ترحيب مع ابن أخ زوجته، ثم لحق بها. وقف رافاييللو للحظات متردّداً وهو ينظر نحو والده.

شعر كأنه قنبلة قابلة للانفجار في أية لحظة. لماذا؟ فكّر بأسى.. لماذا يجب أن تحصل دائماً معارك بينهما؟

شعر بالاحباط قليلاً، فوالده بدا كشخص غريبٍ عنه. لمعت عينا أنريكو غضباً حين رأى رافاييللو ينظر نحوه فقال: «أنت.. أنت أيضاً أخرج من هنا. لا أريد أن أراك!».

لم يحتج رافاييللو أن يقول له والده ذلك مرة أخرى، فاستدار وخرج من المكتبة على الفور.

فكّر بأن يخرج للسباحة، هذا ما هو بحاجة إليه الآن، فالطقس داقء، والحركة الجسدية قد تفيده. ستساعده السباحة على التخلص من الغضب والمشاعر المتناقضة التي تشتعل بداخله. بعد أن ارتدى ثياب السباحة، ووضع المنشفة على كتفه، وتوجه نحو البركة، وقف مكانه مذهولاً...

لقد سبقه أحدهم إلى حوض السباحة. في الواقع، أدرك أن شخصان سبقاه إلى هناك، إنهما زوجته وطفلها. راقبهما للحظات من خلف بعض شجيرات الورد...

كانت ماغي تلعب مع الطفل وهي تقف في الجهة الأقل عمقاً من البركة. كانت تقوم برمي بنجي في الفضاء، لتعود وتتلقاه عندما يصل إلى المياه مجدّداً. كانت تضحك بفرح، وكذلك بنجي.

تقدّم رافاييللو باتجاه حوض السباحة، لكن ظهوره فاجأ ماغي كثيراً. تجمدت في مكانها غير مكترثة لإلحاح بنجي بمتابعة اللعب معه. حدّقت برافاييللو بذعر لاحظه بسهولة، وشعر بسخط مفاجيء. لا داعي لأن تنظر إليه كأنه مصاص دماء! سرعان ما بدأت بصعود درج المسبح الحجري، غير مبالية بصراخ الصبي الذي طالبها بالمزيد من الوقت للسباحة.

قالت ماغي معتذرة: «أنا آسفة جداً. لم أدرك أننا يجب ألاّ نسبح في هذا الوقت».

اختلج رافاييللو شعور غاضب آخر، ولم يعد يشعر أنها تراه مصاص دماء وحسب بل الوحش فرانكشتاين أيضاً.

أعلمها وهو يضع المنشفة على أحد المقاعد: «لا داعي لأن تذهبا.. فأنا سأسبح قليلاً فقط. أكملي اللعب مع الطفل».

لكنها تابعت الخروج من البركة وهي تقول: «لا! لا! لقد انتهينا».

نظراً لتصرّفات الطفل الغاضب بسبب الخروج من الماء، يمكن الاستنتاج بأنهما لم ينتهيا بعد كما أدّعت.

بدا صوته جافاً أكثر مما أراد إظهاره، وقال: «ابقيا في الماء».

لا سبب يدعو تلك الفتاة لتنظر إليه وكأنه وحش.

تمتمت الفتاة تقول: «لا، حقاً!».

لم تعد تحدّق فيه الآن، بل أصبحت نظراتها مرتبكة، وبدأت تمشي نحو المقعد الذي وضعت أغراضها عليه. كانت تمسك الطفل من تحت ذراعيه وهو يصرخ احتجاجاً، ويركل الهواء بقدميه غضباً. بدأ جسده المبلل ينزلق بين يديها. وللحظة ظن رافاييللو أن الطفل سيقع على الأرض، فاندفع نحوه ليمسك به في اللحظة نفسها التي انحنت فيها ماغي لتنزله على الأرض كي يصبح بأمان.

لثوانٍ قصيرة، التقت عينا رافاييللو بعينيها قبل أن يبتعد من جديد مدركاً أنها لا تحتاج إلى مساعدته. أذهله ما رآه في عينيها؛ لقد بدت مذعورة بشدة.

وقف رافاييللو وقال: «ظننت أن الطفل سيقع».

وقفت ماغي مكانها ممسكة بيد بنجي، رغم أنه كان يشدّها باتجاه الماء بقوة. فجأة، قالت وقد اختفت نظرات الذعر من عينيها: «هذا الطفل اسمه بنجي. إذا كان طفلاً دون أب، ذلك لا يعني أنه لا يملك اسماً أيضاً».

توتّر فم رافاييللو، وفكّر أنها تبدو نحيلة جداً، وأنه كان عليها رمي الثوب الذي ترتديه للسباحة منذ زمن طويل. على الأرجح أنها اشترته من أحد متاجر الثياب البالية، فهو كبير جداً عليها، وقد ارتخى المطاط فيه. أما ألوانه فلم تكن منسجمة مع بعضها أبداً.

وفيما هو ينظر إلى ثيابها باشمئزاز، تغيّرت تعابير وجهها. تذكر رافاييللو تلك التعابير، إنها التعابير نفسها التي ظهرت على وجهها حين رآها في شقته في لندن، وقرر أنها المرأة المناسبة لغايته.

لاحظ ردّة فعله أيضاً.. لقد استعاد ذلك الشعور بعدم الارتياح، الذي أحسّ به وهما يركبان السيارة التي أقلتهم من المطار.

حسناً! إنها ليست مذنبة بالظهور بهذا الشكل المزري، فهي بالتأكيد لا تملك المال لشراء ثوب سباحة يحسّن شكلها بدلاً من إضفاء القبح عليه. وفي الواقع، ينطبق الأمر على جميع ملابسها، فهي فعلاً أكثر الثياب التي رآها في حياته بشاعة.

مرّت صورة لوسيا في ذهنه بجسدها النحيف مرتدية آخر ابتكارات الموضة، فهي معتادة على ارتداء ثيابها لمرّات معدودة جداً قبل أن تقوم برميها.

لكن المقارنة لم تكن عادلة، فالفتاة التي تقف أمامه تبدو كأنها آتية من كوكب آخر.

عبس وهو يتذكر المشهد حين وصفتها لوسيا بالساقطة. عاد إليه شعوره بالانزعاج، لكنه أصبح أقوى هذه المرّة. ما شأن لوسيا بحق السماء، كي تصفها بذلك الوصف؟ إنها فكرة سخيفة بل هجومية أيضاً.

وجّه نظره مجدّداً نحو الطفل الذي ما زال يتخبط بيأس كي يعود إلى البركة. حسناً! ليس لديه والد، ولكن اتهام هذه المرأة بعدم المبالاة سيكون سخيفاً تماماً كاتهامها بأنها ساقطة.

«أنت لا تعرف شيئاً عني وعن ظروفي»... هذا ما قالته له في السابق.

عادت إلى ذهنه الاتهامات التي وُجهت لها في الصباح. لقد فهمت ما وصفتها به لوسيا جيداً. لم يتوقع منها أن تفهم، ولكنها فهمت... وازداد انزعاجه...

أوقفت ماغي الطفل بقرب أحد المقاعد وهي تتكلّم إليه بحدّة محاولة لفّ منشفة حوله، لكنه رماها بعيداً، وارتفع صراخه. إلاّ أنها عادت ولفته بها مجدّداً، ولفت نفسها بمنشفة أخرى ثم وقفت مكانها قليلاً.

فجأة، فكّر رافاييللو أنها تبدو جميلة بجسدها النحيف والسمرة التي اكتسبتها في الشمس. ربما...

ربما لأن المنشفة أخفت ذلك الثوب البشع الذي ترتديه، أو لأن أشعة الشمس كانت تعكس ضوءً دافئاً على وجهها. رأى شعرها الطويل مربوطاً إلى الوراء كذيل الحصان. لم يدرك في السابق حتى بأنها تملك شعراً طويلاً، فهي دائماً تلفه على بعضه وترفعه بملقط للشعر.

راقبها وهي تحمل الطفل وقد كفّ عن الصراخ الآن، وبدأ يحدّق برافاييللو بعينيه السوداوين الكبيرتين. هل قالت إن اسمه بنجي؟ سيحاول أن

يتذكر ذلك في المرّة المقبلة، فقد يجعلها ذلك تكف عن التصحيح له بتلك الطريقة القاسية.

حملت ماغي أغراضها، وانصرفت وهي تتمتم: «عن إذنك».

لاحظ رافاييللو أن الطفل... بنجي.. كان متشبثاً بإطار العوم كأنه كنزٌ من الذهب. انتابته مشاعر الغضب والانزعاج. من الواضح أن الفتاة كانت تمضي وقتاً ممتعاً مع الطفل... بنجي، ذكّر نفسه بالاسم.. والآن هما يعجلان بالانسحاب. لم يكن ذلك ضرورياً، فوجودهما لم يكن ليزعجه طالما يبقيان بعيدين عن المسار الذي سيسبح فيه...

حسناً! لقد فات الأوان الآن. بالإضافة إلى أنه لم يكن هو المذنب في رحيلهما، فهي التي أصرت على الذهاب. أخذ رافاييللو موقعاً مناسباً على حافة البركة، ثم اندفع نحو الماء ليغطس مبتعداً باتجاه الحافة الأخرى التي تبعد عشرين متراً.

بعد أربعين دقيقة، كان قد قطع مسافة كيلومترين ذهاباً وإياباً. شعر بالتعب، لكن مزاجه أصبح جيّداً. كانت الشمس قد غابت الآن، والظلام بدأ يغطي المكان، لكن الهواء لا يزال دافئاً. مشى بجانب البركة، والتقط منشفته، ثم نشف شعره قبل أن يلفها حول جسده.

شعر بالجوع الشديد، وقرّر أن يأخذ حماماً ثم يغيّر ملابسه وينزل لتناول بعض المقبلات. أدرك أن عمّته ستنقضّ عليه وتُسمعه ثرثرتها حتى يمل، لكنه بعد هذه التمارين أصبح بمزاج جيّد، ما يسمح له بتحملها. لقد شعر بالسرور لحضورها، فهي تنجح دائماً في تهدئة أعصاب أخيها. لطالما قامت بهذا الدور طيلة حياتها.

إن وجود عمته وزوجها سيجعلان فترة العشاء أقل إزعاجاً، وسيساعدان على جعل الأمور أكثر تحضّراً.

علت ابتسامة صغيرة فم رافاييللو وهو يدخل إلى المنزل.

بعد عشرين دقيقة، جلس على الشرفة يشرب قهوته ويراقب أشجار السرو، ممتعاً نظره برؤية السهول البعيدة التي تطل عليها الڤيلا. سمع فجأة

وقع خطوات عمته تقترب، فوقف يساعدها على أخذ مكانها، وعاد ليجلس بقربها.

بدأت تتكلم على الفور بنبرةٍ آمرة قائلة: «حسناً! ستتكلّم الآن».

في الطابق العلوي كانت ماغي تحمّم بنجي، رغم أن ذلك لم يكن ضرورياً، فقد كان نظيفاً جداً من مياه البركة النقية. لكن الحمام شكل إرضاءً كبيراً له بعد أن حُرم من متابعة اللعب في البركة. أما ماغي فلم تنزعج لأنهما غادرا البركة، إذ سبق وسبحا مرتين فيها منذ الصباح. وقد أمضيا نهاراً هادئاً كالأمس تماماً.

لقد سبحت حين استيقظت، ثم تناولت الفطور مع ماريا وغوسيب، وعادت لتسبح بعدها، ثم أخذت قسطاً من النوم هي وبنجي، ومن ثم خرجت لتستكشف الحديقة والأراضي التابعة للڤيلا.

تابعت الاستكشاف صعوداً نحو التلة حتى وصلت إلى الغابة. حين عادت إلى المنزل، علمت من ماريا أن عمة رافاييللو وزوجها وصلا، فأخذت بنجي للاختباء في الباحة التي تضم البركة، حيث سبحا للمرّة الأخيرة في هذا اليوم..

عادت تقلّب الأفكار في ذاكرتها.. آه! لِمَ لم تأخذ بنجي وتنسحب من حوض السباحة قبل عشر دقائق من وصول رافاييللو؟ لو كان الخجل يقتل الإنسان، لماتت من شدّة الخجل حينها! عادت صورته تقتحم خيالها... بدا جسده قوياً جداً، بطوله الذي يبلغ ست أقدام، وبشرته السمراء وعضلاته المفتولة...

شكرت الله لأنها لم تحمّر خجلاً، وإلا لشعرت بإحراج أكبر.. يكفي أنها تشعر بالاحراج بسبب النظرات التي يرمقها بها، وكأنها خرقة مكسوة بالقذارة.

جلست القرفصاء ساحة لبنجي بإلصاق يدٍ مليئة بالصابون على الحائط بجانب حوض الاستحمام. راح الطفل ينشر الصابون حوله في كل الجهات. أرجعت يدها بضع خُصل من شعرها إلى الخلف، وبينما كانت تقوم بتحريك

رأسها انتبهت لصورتها في مرآة الحائط.

آه، يا إلهي! تبدو بشعة جداً، فقميصها قديمة وواسعة ولا تبرز شكل جسمها أبداً، أما شعرها فبدا مشعثاً عدا عن كونه مجعّداً وطويلاً أكثر من اللزوم. تذكّرت أنها حاولت قصّه مرّة عند مزين الشعر، ولكنها لم تُعِد الكرة.

فقد اكتشفت حينها أن الشعر الطويل لا يكلّف المال، أما الشعر القصير فبلى.

فكّرت أن أي رجلٍ سيراها في حالةٍ مزرية، فما بالك برجل وسيم وأنيق مثل رافاييللو دي ڤيسنتي! تذكّرت نظراته وهو يحدّق بها بعينيه الواسعتين ورموشه الطويلة، متفحصاً بنظرةٍ تقييمية شكلها المزري، فشعرت بخجل كبير.

أحست ماغي ببقعة صابون تطير لتحط على ذقنها قاطعة حبل أفكارها، تلتها على الفور قهقهة بنجي، ما جعلها تكف عن العبوس، وتضع أفكارها المحزنة جانباً. ابتسمت له بمودّة وفكّرت أن بنجي على الأقل لن يكترث لمظهرها الخارجي، كل ما يريده منها هو الحب، وهو الشيء الذي سيحصل عليه إلى الأبد.

بعد انتهاء الحمّام ألبست بنجي ثياب نومه القديمة، ولكن النظيفة جداً، ووضعته وسط السرير الكبير. ألقى الطفل رأسه على الوسادة غامراً بيديه الدب المحشو بالقطن والذي أصبح بالياً لكنه يعشقه بقوة، وجلست ماغي إلى جانبه تقرأ له في كتاب الصور المفضل لديه. بدا بنجي متعباً جداً هذه الليلة، وتوقعت ماغي أن يغفو بسرعة. فكّرت بالنزول بعد ذلك إلى المطبخ لإعداد سندويش لها للعشاء.

بوجود ضيوف في المنزل، لم تشأ أن تكون مصدر إزعاجٍ لماريا وغوسيب. بالإضافة إلى أنها ستشعر بأمانٍ أكثر إن حملت طعامها إلى غرفتها، بعيداً عن عيون عائلة رافاييللو، وعن رافاييللو بالذات.

* * *

لم يتوقع رافاييللو أن يستمتع بتوجيهات عمّته، لكن هذا ما حصل فهي على الأقل تمكنت من فهم وجهة نظره، على العكس من والده. إلاّ أنها بالرغم من ذلك، قالت له إنه ووالده يستحقان ما يواجهانه مع بعضهما، وأنهت حديثها قائلة: «أنتما لا تُحتملان.. كلاكما».

ثم أخذت نفساً عميقاً وتابعت: «والآن، بعد أن أوضحت وجهة نظري، اذهب لإحضار زوجتك تلك إلى هنا».

كان رافاييللو يرفع كوب العصير عن الطاولة، فتجمّد في مكانه محدّقاً في عمته. قالت عمته: «حسناً! ما من سبب يدفعك لتبقيها مختبئة بعد الآن. عليّ أن أراها بنفسي».

أجاب رافاييللو بجفاء: «إنها في غرفتها».

- حسناً! اذهب ونادها لتنزل. لا يمكنها البقاء هناك طيلة فترة المساء.

وضع رافاييللو كوبه على الطاولة بانزعاج، وقال: «إنها تعتني بطفلها».

لوحت عمته بيدها على الطريقة الإيطالية قائلة: «يمكن لأحد الخدم أن يجلس مع الصبي. من الأفضل لك أن تذهب لترى إن كانت جاهزة للنزول إلى العشاء. تعلم أن والدك لا يحب التأخير في موعد تقديم العشاء».

توتر فم رافاييللو، وبدأ يقول: «أنت لا تفهمين عمتي، ولكن...».

لكن عمته قاطعته قائلة بصوت حاسم: «ما أفهمه رافاييللو هو أنك أهملت تلك الفتاة منذ إحضارها إلى هذا المكان! انطلقت على الفور إلى روما، لأنك مهووس بأعمال تلك الشركة. ولكني سأقول لك أمراً: مهما كانت الأعمال في الشركة ملحّة، ومهما تكن متشوقاً لأخذ مكان أنريكو، عليك ألاّ تترك زوجتك في المنزل بمفردها أبداً. فهذا غير عادلٍ على الإطلاق. أنا لا أكترث إن كان هذا الزواج يلائمك أم لا، وإن كنتما منسجمين أم لا. لكن هناك أصول عليك اتباعها، وهذه أهمها: أياً تكن تلك الفتاة، ومهما بدت غير مناسبة كي تكون السينيورة دي ڤيسنتي، لقد تزوجت منها، وحصل ما حصل... إنها زوجتك الآن».

ضغط رافاييللو شفتيه على بعضهما بقوة.. هذا ليس ما خطط له أبداً!

وقف بتوتر، ونظر إلى تعابير عمته الآمرة، ثم قال بسخرية: «جيّد جداً..».

ثم وجد نفسه يكمل فجأة: «... لكني سأطلب منك أن تتساهلي معها قليلاً».

عاوده ذلك الشعور بعدم الارتياح، إن عمته امرأة مرعبة، وهي بالتأكيد ستُهلك تلك المخلوقة الضعيفة التي تجلس بأمانٍ في غرفتها الآن، وستنقض عليها بلسانها المؤذي.

لاحظ أن عمته توجه نحوه نظرات غريبة كأن كلامه قد فاجأها. أجابت بجفاء: «سوف آخذ بعين الاعتبار.. ظروفها السيئة. فبالإضافة إلى ما أخبرني به أخي عن أخلاقياتها وخلفيتها المتواضعة، تكلّمت مع ماريا، فتوضحت لي أمورٌ عديدة. عرفت أنها أم عازبة غير محظوظة كعديدات غيرها في هذه الأيام. ويبدو أنها تمكنت من إقناع ماريا بأنها ليست فتاة سيئة، وهذه ليست مهمة سهلة أبداً. لذا أعترف أنني أشعر بالفضول للتعرف إليها بنفسي... حسناً! هيا، اذهب وأحضر زوجتك كي تتخلّص من حديثي، هيّا!».

زوجته! بينما مشى رافاييللو مبتعداً عن عمته دارت كلماتها في ذهنه. لم يكن من المفترض حدوث ذلك... لم يخطط لجعل هذه الفتاة جزءً من حياته، فالزواج منها كان لوحده اقتحاماً لحياته. والآن تريد منه عمته أن يحضرها معه إلى العشاء وكأنها زوجته فعلاً.

صعد الدرج مجتازاً درجتين في كل خطوة، وحين وصل إلى باب غرفتها دقّ عليه بحدّة.

أجفلت ماغي، وكان النعاس قد بدأ يغلبها فيما هي تراقب فراشات العث تطير عبر النافذة متجهة نحو المصباح الذي أضاءته. فقد وضعته بعناية على الأرض كي يعطي نوراً كافياً لها وهي تقرأ، وفي الوقت نفسه، كي لا يُزعج بنجي الذي ينام بجانبها بشعاعه القوي. وفيما هي تراقب تلك الفراشات محاولةً إبعادها بيدها عن المصباح، كانت تشعر بالتعاطف معها. فقد شبهت رافاييللو دي ڤيسنتي بالنور الجميل الذي لا يقاوم بينما رأت نفسها بسهولة كواحدة من فراشات العث...

عاد الباب يُطرق مجدّداً، فألقت نظرةً سريعة متوترة نحو بنجي مخافة أن يوقظه الصوت، ثم خرجت من السرير، وذهبت لتفتح الباب.

فتحت ماغي فمها باندهاش... كان رافايللو يقف هناك، بجاذبية تخطف الأنفاس، وهو يرتدي بنطلوناً فحمي اللون وقميصاً ذات لون أزرق داكن. منحته ياقتها المفتوحة نفحة لاتينية ملفتة، جعلت أنفاسها تعلق في حنجرتها. سألها: «هل يمكنني الدخول؟».

إلاّ أنه لم ينتظر الجواب، بل دخل إلى الغرفة وهو يلقي نظرة خاطفة نحو الطفل النائم وتابع: «هل أزعجتك؟».

صرخت ماغي في داخلها قائلة: نعم! لقد أرعبتني بدخولك إلى الغرفة وأنت تبدو كحلم كل امرأة وتسأل إن كنت قد أزعجتني؟ وقبل فوات الأوان استجمعت قواها وقالت كاذبة: «لا! على الإطلاق».

هزّ رافايللو رأسه، فانعكس نور المصباح المضاء على شعره فأظهره بلونٍ قاتمٍ جداً. شعرت بأنفاسها تتخطف مجدّداً.

- العشاء سيقدّم بعد وقتٍ قصير. هل يمكن أن تكوني جاهزة في الوقت المناسب؟

حدّقت فيه بذهول، فتابع يقول: «ستأتي إحدى الخادمات لتجلس مع الط... مع بنجي، وإن استيقظ فسوف تناديك».

قالت ماغي بتردد، وهي بالكاد تفهم ما يقوله: «هو ينام إلى ما بعد منتصف الليل، ثم يستيقظ».

هذا ما كان يحدث عادة، إلاّ أنه في الليلتين الماضيتين لم يستيقظ حتى الصباح. فقد كان يشعر بالتعب بعد هذه المغامرة الجديدة، بالإضافة إلى أن توسكانا هادئة جداً مقارنة بلندن. جعلها نومه طوال الليل تستمتع بنوم هنيء هي أيضاً. فمنذ ولادة بنجي لم تحظ بليلة من النوم المشبع. شعرت أنها مرتاحة أكثر من العادة... بالطبع، كما فكّرت ماغي بسخرية؛ فهي الآن تعيش حياة مليئة باللهو، وهذا يساعدها كثيراً على أخذ قسطٍ من الراحة.

عاد رافايللو يتكلّم، وأجبرت نفسها على سماعه: «جيّد، إذاً سأتركك

كي تبدّلي ملابسك. أرجوك أسرعي قدر المستطاع».

انتقلت نظراته لتتفحص قميصها الواسعة المتهدّلة. وما إن هزّت ماغي رأسها إيجاباً حتى رحل مبتعداً عن الغرفة.

انضم رافايللو إلى عمته وزوجها في غرفة الجلوس، ثم أتى غوسيب يزف خبراً أشعره بالارتياح. أخبرهم أن أنريكو يشعر بالتوعك قليلاً، وقد ذهب ليرتاح في غرفته، وأنه لن يتناول العشاء معهم. توتر فم رافايللو، لكنه لم يعلّق على رفض والده الجلوس مع زوجة ابنه غير المرغوب فيها على الطاولة نفسها لتناول العشاء.

أما عمته فكانت أقل صبراً منه، ولم تتمكن من السكوت. فعلّقت تقول: «يا له من رجلٍ صعب! أتمنى فقط ألاّ تشعر زوجتك بالإهانة».

تململ رافايللو وقد عاد الشعور بعدم الارتياح ينتابه مجدّداً، وفكر: إهانة؟ لو أنها ستشعر بالإهانة لأحست بذلك حين نظر إليها في لندن، وقرر أنها الأداة المناسبة لانتقامه من والده...

جعله صوت الباب وهو ينفتح يستدير فجأة، وكأنه ناداها بأفكاره... فقد ظهرت ماغي عند الباب بتردّد وخجل.

فكّر أنها تبدو كالفأر، كانت ترتدي ذلك الثوب الشنيع الذي ارتدته أثناء مراسم الزواج. كان الثوب ينسدل بعدم تناسق فوق ساقيها، من دون خصرٍ وبياقةٍ واسعةٍ غير أنيقة. أما شعرها فمرفوع إلى الوراء فوق رأسها، أفضل ما يمكنه قوله عنها هو أنها بدت مرتبة ونظيفة جداً.

قالت بصوت يكاد لا يسمعه أحد: «مساء الخير».

توقّف المشهد للحظة... بعدئذٍ لاحظ رافايللو أن الاحمرار بدأ يحلو وجنتيها. فمشى بضع خطوات إلى الأمام واتجه نحوها...

٥ ـ في قبضة التنين...

- تعالي لأعرفك على عمتي وزوجها.

أمسكها رافاييللو من مرفقها، وساعدها على التقدم. بدت أعصابها مشدودة كاللوح تحت قبضته، وكادت تتعثر وهي تمشي نحوهما. حتى بعد ترك يدها، تمكّن من رؤية مدى توترها وهو يقف بجانبها.

- عمتي اليزابيث... هذه ماغي. ماغي، إنها عمتي اليزابيث كالي وزوجها البروفسور برناردو كالي.

أحسّت ماغي بأنفاسها تنحبس في صدرها. وشعرت بالدهشة لأن رافاييللو دي ڤيسنتي ناداها باسمها.

حتى هذه اللحظة، كان واضحاً لها بشكلٍ مؤلم أنه لم ينادها باسمها أبداً، بل وجه إليها الأحاديث بشكلٍ مباشرٍ جداً.

فتحت عيناها بقوة من الدهشة حين أدركت أنه هذا المساء قام بمناداة بنجي باسمه أيضاً! وبالكاد صدّقت ذلك. حين دخلت الغرفة ورأتهم جالسين، توقعت تفجّر شجارات أخرى كالتي استقبلها بها والده وقريبته بالأمس. لكن، على العكس من ذلك، راحت عمته تنظر إليها بسلام بعينيها الواسعتين.

فجأة ابتسمت لها عمته. لم تكن ابتسامة كبيرة طبعاً ولم تكن دافئة جداً أيضاً، بل ابتسامة اجتماعية، حضارية. كما ابتسم لها زوجها أيضاً، لكن ابتسامته أتت أكثر دفئاً.

قال رافاييللو بصوت خافت: «للأسف، وجد والدي نفسه متعباً بعض الشيء، لذا لن يحضر للعشاء، أتمنى أن تعذروه».

عضت ماغي شفتها. بدا من الواضح أن والده يتجنبها، وكأنها مصابة بوباءٍ ما.. حسناً! ربما أنا مصابة حقاً بوباءٍ ما، من وجهة نظره. فأنا لست زوجة ابنه المثالية. آه! لَمْ يحق السماء لم يدرك رافاييللو أن عليه الزواج من فتاةٍ تنتمي إلى وسطه الاجتماعي للتخلّص من لوسيا؟ ما قام به هو الزواج من أوّل فتاةٍ يصادفها... لا تزال ماغي تذكر كلمات الفتاة الشقراء بوضوح. فلينظر الآن إلى الفوضى التي زجّ نفسه فيها.. كان عليه أن يدرك ما ستكون عليه ردّة فعل والده حين يرى أن ابنه تزوج من عاملة تنظيفات، لديها طفل تعتني به أيضاً. ألم يدرك أن وجود الطفل سيجعل الوضع أكثر سوءاً؟

رفعت ماغي ذقنها وهي تفكّر: حسناً! هذا أمر يخص رافاييللو ووالده. فهي لا تهتم لكونها تعيش من تنظيف بيوت الأغنياء وتعتني بطفل دون أب. فبنجي هو حياتها، إنه هدية كايس لها... الهدية الأخيرة.

أتى غوسيب لإعلامهم أن العشاء جاهز. اقترب رافاييللو من ماغي أكثر، وأمسك ذراعها من جديد، فعاد التوتر يملؤها. علمت أن هذا مجرد مشهد تمثيلي أمام عمته، لكنها تمنت لو أنه يقف على بعد كيلومتر منها. أجبرت نفسها على التخفيف من توترها، ولم تفتها نظراته المنتقدة لمظهرها رغم أنها كانت نظرات سريعة جداً.

بعد وقتٍ قصير دخلوا إلى غرفة الطعام، وأخذت ماغي تمتع نظرها برؤية التحف الفضية والأغطية الحريرية. شعرت بفرح كبير لجلوسها إلى طاولة العشاء الخشبية اللامعة.

سألتها عمة رافاييللو بلكنة غريبة، ولكن بلغة إنكليزية سليمة تماماً كلغة رافاييللو: «هل أعجبك الطعام؟».

وجدت ماغي نفسها تجيب بشكلٍ تلقائي: «إنه لذيذٌ جداً».

ابتسمت السينيورة كالي وقالت: «إنه مصنوع من الإجاص المستورد، وأنا لا أشجع هذا الطعام. أنا أحب الأكل الإيطالي، وأفضل تناول الفاكهة في موسمها. والآن لا يزال الوقت مبكراً لنضوج الإجاص هنا. أما اللحم فهو ممتاز، إنه من مدينة بارما وأظنها مدينة معروفة بجبنة البارميزان في

إنكلترا».

بدا من الواضح أن العمة تحاول جعل ماغي أكثر ارتياحاً. أدركت ماغي ذلك، وقدّرت لطافتها.

تابعت السينيورة كالي حديثها، وهي تركّز على نقل صورة جميلة عن توسكانا لماغي: «لكن هناك أشياء كثيرة تتميّز بها توسكا، وأناواثقة أنك ستستمتعين بها كثيراً. إنها تتميّز بالمطبخ البسيط، كطبق البستيكا آلافيدريتينا، وهو مكوّن من اللحم المشوي على الفحم ومن لحم البط».

رفع زوجها يده وقال: «لا تكوني قاسية على بارما، عزيزتي. فهي في النهاية تتشارك في العديد من المميزات مع توسكانا».

كانت هذه المرة الأولى التي تسمع فيها ماغي ذلك البروفسور يتكلّم. وهو كبقية أفراد العائلة، يتكلّم الإنكليزية بطلاقة. بدا صوته جافاً قليلاً، لكنه يملك حسن الفكاهة كما لاحظت. حدّق البروفسور بماغي طويلاً، وكأنه يتفحّص أحد تلاميذه.

علّق رافاييللو بقسوة: «برناردو، هذه هي الزيارة الأولى لماغي إلى إيطاليا، لا أظنها ستفهم ما تعنيه...».

وفي الوقت الذي تكلّم فيه تقريباً كانت ماغي تقول وهي تحاول تذكر ما قرأته في الكتيب الذي أحضرته عن إيطاليا: «دوقة بارما... ماري لويز و... أرملة نابوليون، هي دوقة لوكا».

قال لها البروفسور مشجّعاً: «جيد جداً! عليك زيارة لوكا قريباً... إنها جوهرة توسكانا».

أجابته ماغي: «قرأت القليل عنها في الكتيب الذي أحضرته معي. أعتقد أنها تشتهر بجدرانها، أليس كذلك؟».

- نعم، بالفعل. بنيت هذه الجدران في أواخر القرن الخامس عشر لمنع الإسبان من الدخول إليها، وتمكنت بذلك من الحصول على الاستقلال. كانت في ذلك الحين المدينة الإيطالية الوحيدة التي تتمتع بقوانين خاصة، إلى جانب فينيسيا. استمر ذلك حتى قام نابوليون بتنصيب أخته إليزا دوقة عليها

وعلى توسكانا أيضاً.

علّقت زوجته بجفاء: «إن زوجي عالم تاريخ، كما تتوقعين على الأرجح».

فاجأ ذلك ماغي كثيراً. التفتت السينيورة كالي نحو زوجها وتابعت تقول: «أرجوك برناردو، لا تكن مملاً».

ابتسمت ماغي بخجل وهي تقول: «لا يمكن للتاريخ أن يكون مملاً. لا سيما تاريخ مليء بالأحداث كتاريخ إيطاليا».

كان كلامها صحيحاً تماماً بالنسبة للبروفسور الذي أجاب قائلاً: «ولتوسكانا التاريخ الأغنى في إيطاليا».

سألته ماغي: «أي الإتروسكان؟».

أكّد البروفسور معلوماتها: «نعم الإتروسكان».

وأخذ يستطرد في الحديث، حتى وصل إلى حضارة الرومانيين القديمة التي سيطرت على البلاد قبل وقتٍ طويل من اكتساب روما لهذه القوة والمنزلة العظيمة.

قاطعت زوجته الحديث معلّقة: «لطالما قدّرت الإتروسكانيين، فقد كانت النساء عندهم يتمتعن بحرية مذهلة. كن يتناولن الطعام مع الرجال ويملكن الأراضي ويتكلمن في العلن».

خبأت ماغي ابتسامتها، فقد تمكنت من معرفة السبب الذي جعل السنيورة كالي تقدّر هذه التصرّفات من النساء. التفتت نحو رافاييللو لترى إن كان يجد تعليق عمته مهماً، لكنها تفاجأت حين رأت وجهه.

كان، ببساطة، يحدّق بها وكأنها مخلوق غريب من كوكب آخر. ارتبكت ماغي ورمشت عينيها بتردد. هل قامت بعمل خاطىء؟ أبعدت نظراتها مجدّداً وهي تشعر بدقات قلبها تتسارع. هل كانت تتصرّف بشكلٍ غير لائق؟ هل من المفترض بها أن تصمت وألا تشارك في الأحاديث؟

ثم سمعت البروفسور يقول لرافاييللو: «يجب أن تشغلك زوجتك لبعض الوقت. عليك أن تأخذها في جولة سياحية. هناك الكثير لكي تراه».

عضت ماغي شفتها. . إن آخر ما يتمناه رافاييللو هو التجوّل معها في رحلة سياحية. قالت بسرعة: «آه، لا! سيكون هذا مستحيلاً. . . إن ابني الصغير. . .».

أجابت السينيورة كالي بهدوء: «أؤكد لك أنني وماريا سيسرنا الاهتمام به في غيابك، الطقس في إيطاليا هذه الفترة ملائم جداً للسياحة».

قالت ماغي تخالفها: «آه، لا! أرجوك. . . حقاً! أنا لا يمكنني ترك بنجي».

عادت عمة رافاييللو تقول: «من الجيّد له أن يحاول الشعور بالسعادة حتى إن لم تكوني برفقته. يجب ألاّ تقلقي لتركه معنا. ماريا تملك خبرة كبيرة مع الأطفال، وقد أخبرتني أنه طفل رائع، ولديه تربية جيّدة بالنسبة لسنّه».

ابتسمت العمة برقة، ما جعل وجنتي ماغي تحمرّان خجلاً. لم تعرف بما تجيب، فنظرت أمامها على الطاولة، وفجأة شعرت بلمسة يد خفيفة فوق يدها.

كانت تلك يد السينيورة كالي التي تابعت تقول بهدوء: «أعتقد أن هذا الأمر كان صعباً عليك، أليس كذلك؟ فالناس دائماً يطلقون أحكاماً قاسية على الآخرين».

والتفتت نحو رافاييللو الذي توتر فمه، ثم قالت وهي تحاول تغيير الموضوع: «رافاييللو، اطلب من غوسيب أن يقدّم الطبق الثاني».

مضى وقت العشاء بهدوء. اكتشف البروفسور خلاله وجود مستمع جيد له، فأكمل خلال العشاء كلامه عن تاريخ إيطاليا وعن توسكانا بالتحديد. أخذت تشعر بالارتياح أكثر خصوصاً أن رافاييللو بقي صامتاً طيلة العشاء. أما عمته وزوجها فقد بدوا لطيفين جداً معها.

بعد العشاء طلبت السينيورة كالي من غوسيب تقديم القهوة في غرفة الجلوس. عندها فقط تمكّن رافاييللو من طرح سؤال على ماغي كان يحيّره طيلة ذلك الوقت. فبعدما خرج البروفسور وزوجته من غرفة الطعام، شعرت ماغي بقبضةٍ فوق ذراعها.

أنذرتها نبرة صوته الخشنة بجديّة سؤاله وهو يقول: «أيمكنك أن تشرحي لي، لِمَ تقوم امرأة متعلّمة مثلك بالعمل في تنظيف الشقق؟».

حدّقت ماغي به. . . كان يقف بقربها تماماً، لكن هذا لم يكن سبب دهشتها الوحيد. ردّدت خلفه بذهول: «متعلّمة؟».

أوضح لها رافاييللو بتحدّ: «لديك معلومات واسعة في التاريخ، ومن الواضح أنك امرأة ذكية. فلماذا تعملين عاملة تنظيفات؟».

انبسط وجهها الآن، وأصبحت قادرة على الإجابة عن سؤاله، فقالت: «أنا لا أحمل أي شهادة. . . لكن، لطالما أحببت المطالعة وهذا كل ما في الأمر. فدخول المدرسة. . . كان أمراً صعباً».

فكرت ماغي أن لا داعي لجعله يملّ من تفاصيل قصتها. ولا ضرورة لإخباره كم كان صعباً عليها كفتاة ملجأ أن تتحمّل التعليقات والضغوطات من التلاميذ الأكثر منها حظاً لوجودهم مع عائلاتهم.

تابعت قائلة: «رغم أنني تلقيت بعض الدورات التدريبية التي توازي السنوات المدرسية الأولى. . . لكنني لم أتمكّن من المتابعة».

وعادت تفكّر أن لا ضرورة أيضاً لتخبره أن السبب يعود إلى تزامن دراستها مع بداية اكتشاف المرض لدى كايس.

ابتلعت ريقها وتابعت: «ولكن أحد الأشياء التي أودّ القيام بها. . . وقد أصبحت أمراً ممكناً الآن، هو متابعة المزيد من الدراسة، لأتمكّن من الحصول على عملٍ أفضل حين يبدأ بنجي في الذهاب إلى المدرسة. لن أعمل بدوام كاملٍ طبعاً، سأعمل فقط خلال وجوده في المدرسة، لأكون دائماً موجودة في المنزل من أجله».

أتى صوت عمته آمراً وهي تقول: «رافاييللو، دع الفتاة المسكينة تأتي لتناول القهوة».

عندئذٍ ترك ذراعها، ورافقها بتهذيب إلى غرفة الجلوس.

تفحّصت اليزابيث كالي ابن أخيها وزوجته بنظرات متسلطة، وأفسحت مجالاً بجانبها على الأريكة ذات القماش الحريري، وقالت: «تعالي واجلسي

إلى جانبي، ماغي. رافاييللو. . . يودّ برناردو أن يدخّن سيجارة، والتدخين هنا غير مسموح به بالتأكيد. لذا أرجوك رافقه إلى الشرفة».

فكّرت ماغي أن اللطف الزائد ليس أحد صفات السينيورة ومرّة أخرى وجدت نفسها تنظر في عيني رافاييللو، لكنها لم تجد فيهما نظرات التسلية بل وجدت سؤالاً صامتاً.

أخذت المرأة تسألها عن عملها، وطفلها، وأسباب زواجها من رافاييللو. لكن الموضوع الوحيد الذي لم تسأل عنه بشكلٍ مزعج هو والد بنجي. . .

قالت لماغي: «تحصل هذه الأمور أحياناً، ولطالما حدثت أمور مشابهة. وبالتأكيد سيحصل ذلك مجدداً مع الكثيرات بعدك. لكني بصراحة، أقدّر فيك جرأتك بإتخاذ قرار إبقاء الطفل معك. كان من الأسهل لك لو تركته مع والده».

بقيت الكلمات في صدر ماغي تملؤها بالرعب: أبداً، لم أكن لأفعل ذلك. . . وزاد الرعب في داخلها حين تذكّرت أن والدتها هي لم تفكّر حتى باحتمال إعطائها لوالدها. وبدلاً من ذلك تركتها بكل بساطة على جانب إحدى الطرقات لكي تلقى حتفها. . . لكنها بقيت صامدة لتعيش والآن سيستمر صمودها وتمسّكها بالحياة من أجل بنجي.

رأت ماغي عبر النافذة رافاييللو. . الشخص الذي تزوجته مقابل مئة ألف جنيه. لكن شيئاً ما بداخلها أوجعها وآلمها، لذا التفتت بعيداً عنه. . لا! لا يمكن أن يحدث ذلك. . . يا لها من أفكارٍ سخيفة وخيالية! لا يمكن لرجل مثله أن يلتفت نحوها ولا حتى في أحلامها.

استيقظت ماغي في صباح اليوم التالي حين دخلت إحدى الخادمات إلى غرفتها وهي تحمل صينية القهوة. قالت الخادمة وهي تبتسم: «صباح الخير سينيورة».

ثم توجهت نحو بنجي تحدّثه بالإيطالية، رغم أنه كان لا يزال نائماً. جلست ماغي تراقبها قليلاً ثم رشفت قهوتها، والتفتت لتنظر من النافذة نحو

أشجار السرو التي انتشرت فوقها أشعة الشمس الساطعة.

راحت تفكّر بسهرة ليلة أمس، وما رافقها من مشاعر غريبة، بدت عمّة رافاييللو وزوجها لطيفان معها كثيراً. أما رافاييللو فبدا مهذباً ومتحضّراً أيضاً! لم يبدُ على السينيورة كالي أنها مستاءة لأنها تزوجت ابن أخيها من أجل المال.

قالت لها بالأمس بطريقتها الحاسمة المعتادة: «أعرف أن هذا الأمر خاطىء بالتأكيد، لكني أتفهمه تماماً، ولا ألومك أبداً صغيرتي».

عبست ماغي وفكّرت: هل يعني كلامها أنها تلقي اللوم على ابن أخيها؟ رغم أنها لم تكن تدري ما ستواجهه قبل مجيئها إلى هذه الڤيلا، لكنها الآن لا تحسد على وضعها أبداً. . . فالجميع يتمنى لو أنها على بعد ملايين الأميال عنهم.

استيقظ بنجي وبدأت ماغي ترحب به. فهو كعادته يستيقظ بنشاطٍ ومزاجٍ طيبٍ ما يستدعي منها اهتماماً.

بعد أن لبسا ثيابهما، حملت ماغي صينية القهوة بحذر بإحدى يديها، وأمسكت يد بنجي بيدها الثانية، ونزلت إلى المطبخ لتناول الفطور. لكنها حين أغلقت باب غرفتها سمعت وقع خطواتٍ آتية من آخر الرواق.

كان والد رافاييللو يمشي باتجاهها، وحين رآها وقف مندهشاً. أما ماغي فجمدت مكانها. رغم أنها رأته لفترة قصيرة منذ ثلاثة أيام، لكنها عرفت أنه أنريكو دي ڤيسنتي. بدا شبيهاً برافاييللو بفارق ثلاثين سنة فقط.

قست معالم وجهه حين رآها. ولم تعلم ماغي ما عليها القيام به. هل تقول له صباح الخير أم تصمت وتتابع طريقها؟ أم من الأفضل لها أن تعود إلى غرفتها؟

شعر بنجي بجو التوتر فتشبث بساق والدته، وهي تقف هناك حاملة صينية القهوة، ولا تعلم ما عليها فعله. . .

قال أنريكو دي ڤيسنتي بصوت أجش: «إذاً، أنت لا تزالين هنا!».

لم تجب ماغي ولم تعلم ما عليها قوله.

تابع أنريكو بذلك الصوت القاسي: «هل تتخيلين أن بإمكانك التصرّف وكأنك في منزلك؟ هل تتخيلين نفسك سيّدة مجتمع محترمة الآن... أنت وطفلك هذا؟».

ارتجف جسد ماغي، بينما اقترب أنريكو منها أكثر بشكلٍ تهديدي، وعيناه الداكنتان تحدقان بها بقرف وكره، وقال: «إذاً، اعلمي أن ابني الجاهل اختارك زوجة له ليهينني فقط. أراد أن ينتقم مني، ويخالف إرادتي، فأحضر إلى المنزل امرأة من حثالة البشر.. لقد اختارك لأنك أسوأ زوجة كان من الممكن الحصول عليها... بشعة، جاهلة، من عامة الشعب، ولا تملكين قيماً أخلاقية أبداً. أحضرك من أحد أحياء لندن الفقيرة... واختارك عاملة تنظيفات فقط لكي يقرفني».

شعرت ماغي أنها على وشك الإغماء. سمعت ضغط دمها القوي يطرق في أذنيها، أما بنجي فخبأ وجهه ببنطلونها القطني من الخوف. رغم أنه لم يفهم أي كلمة، لكنه استطاع أن يشعر بقسوة الكلام الذي وُجّه لوالدته.

أصبحت نظرات ماغي ضبابية، فيما تابع والد رافاييللو طريقه نزولاً عبر الدرج الرخامي متوجهاً نحو الصالة. شعرت ماغي أن الصينية تهتز بين يديها، أدركت أنها إذا لم تضعها جانباً ستقع بالتأكيد من بين أصابعها المرتجفة وتتكسّر على الأرض.

فجأة، أخذ أحدهم الصينية من يدها وهو يقول: «تعالي إلى هنا...».

وأدخلها مجدّداً إلى غرفتها. شعرت ببنجي يؤخذ منها لبعض الوقت، فيما الطفل يحتج على ذلك. وبعد أن جلست على السرير، أعاد ذلك الشخص بنجي إلى أحضانها، وجلست هناك تملّس شعر بنجي بيدها وهي غير واعية لشيء حولها.

وقف أمامها رجل طويل أسمر، منعت قامته وصول الضوء إلى عينيها، فأدركت أنه رافاييللو دي ڤيسنتي. الرجل الذي اختارها ليس لأنها مناسبة ومتوفرة فقط بل لأنها ستقرف والده بالتأكيد. رنّت كلمات والده في أذنيها مجدّداً: امرأة من حثالة البشر... إنها بنظره أفضل إساءة يمكنه أن يقدّمها

لوالده.

قال بصوت منخفض: «ماغي...».

استمرت في تمليس شعر بنجي بيدها، وهي تحدّق بذهول نحو السجادة على الأرض. حاولت ألاّ تفكّر.. ألاّ تشعر... تابع رافاييللو يقول: «يجب ألاّ... ألاّ تصدّقي ما قاله والدي، إنه غاضب مني أنا، ولا ذنب لك في ذلك».

لم تستطع أن تنطق ولو بكلمة واحدة، فيما راح رافاييللو يراقب تعابير وجهها. أراد أن يجد الكلمات المناسبة، لكنه لم يستطع. لم يترك له والده مجالاً لتلطيف الأمور، وعلى الرغم من ذلك استمر بالمحاولة.

- ماغي، أنا...

رفعت ماغي رأسها، فالتقت نظراتهما معاً. قالت: «ليس عليك أن تقول شيئاً، هذا ليس ضرورياً».

لم تبال إن كان قد بدا بعض الضعف في صوتها. رفضت حتى الاعتراف بضعفها. من غير الممكن أن تشعر بشيء حياله... هذا مستحيل. وقفت وهي تحمل بنجي فوق ذراعها، وأطلقت نفساً فيه بعض الضعف أيضاً، ثم سألت وقد بدت مسيطرة على نبرة صوتها: «أرجوك، أخبرني أين تودّ مني أن أتناول الفطور؟ أم تفضل أن أبقى في غرفتي؟».

رغم سيطرتها على صوتها، إلاّ أنه بدا حاداً جداً كحبل مشدودٍ على وشك الانقطاع. توتّر فم رافاييللو وقال: «تقوم العائلة عادةً بتناول الفطور على الشرفة في الأيام المشمسة».

مدّ يده نحوها، لكنها لم تبال بها بل مشت نحو الباب. إلاّ أن رافاييللو وصل إلى الباب قبلها. وفتحه من أجلها بلطفٍ كبير. فكّرت ماغي أن عليه أن يوفّر لطفه هذا للدوقات، فبعد ما اكتشفته اليوم، فهمت أن لطفه يذهب سدى معها.

لقد اختارها لسبب واحد مدروس بعناية ومخطط له؛ أراد أن يهين والده. كان يعرف بالضبط ما ستكون عليه ردّة فعل والده. لقد استخدمها

ببرودة أعصاب ليتقم من والده.

كان الفطور مع العائلة على الشرفة آخر ما أرادته ماغي، لكن شرودها وعدم اكتراثها سيساعدانها على تحمل هذه الجلسة. مشت نحو الشرفة مع رافاييللو لتجد أن عمته وزوجها هناك، وكذلك والده.

حالما رأى البروفسور ماغي، وقف ليلقي عليها التحية، أما هي فبالكاد تمكنت من هزّ رأسها لترد عليه. أما والد رافاييللو فوقف بحدّة كصرير الحديد فوق الصخر، وحمل فنجان قهوته قائلاً: «سأكون في المكتبة. علي إنجاز بعض الأمور».

ومشى مبتعداً، مبدياً بوضوح شديد عدم رغبته بمشاركتها الجلسة. عادت كلماته تضجّ في رأسها من جديد: «امرأة من حثالة البشر».. لم تجلس ماغي في الكرسي الذي كان يمسكه رافاييللو لها، بل فضلت الجلوس في أبعد زاوية من الطاولة. في تلك اللحظات شعرت برغبة في الموت. كان قلبها محطماً بألم لم تستطع البوح به.

سألتها اليزابيث كالي بصوت مرتفع قليلاً: «إذاً، هذا هو طفلك الصغير! ما اسمه؟».

أجاب رافاييللو وهو يجلس قبالة ماغي، باسطاً منديل المائدة في حضنه: «بنجي».

بدا صوته متوتراً وتساءلت ماغي عن أسباب ذلك.

شغلت ماغي نفسها بإجلاس بنجي في حجرها، محاولة تفادي النظر في عيون الموجودين. أحضرت إحدى الخادمات زجاجة الحليب لبنجي، فتلقاها بفرح ولهفة. أما ماغي فلم تشعر بشهية للأكل، بل أحسّت كأنها تجلس وراء حاجزٍ زجاجي يفصلها عن بقية الجالسين حولها، حتى حين كانوا يطرحون عليها الأسئلة وتقوم هي بالإجابة باختصار وبصوت منخفض. لم تفسح مجالاً للبدء بأحاديث شيقة كتلك التي تم تداولها البارحة أثناء العشاء.

قالت عمّة رافاييللو وقد لاحظت تصرّفات ماغي: «يبدو أنك مرهقة».

هزّت ماغي رأسها توافقها، من دون أن تنظر في عينيها. أخذت تطعم

بنجي بعض الطعام الطري. كانت ما تزال تشعر أن الجميع بعيدين جداً عنها، لا سيما رافاييللو الذي بدا لها كأنه على بعد سنوات ضوئية منها. لكنها لاحظت أنه يراقبها. لم تتمكن من قراءة تعابير وجهه، فقد بدا الغموض في عينيه. واعتقدت ماغي، أنه على الأرجح يفكّر كم تبدو قبيحة وغير مهذبة، وأنها تلوّث أجواء منزله المعطر. وكأنه يتمنى فقط لو أن إمكانه رميها في الخارج حالاً.

فكّرت ماغي باستغراب، لِمَ آلمها إلى هذا الحد أن يكون رافاييللو دي ڤيسنتي، الرجل الغريب بكل ما في الكلمة من معنى، قد استخدمها عن سابق تصميم لمضايقة والده فقط؟ لِمَ يؤلمها اختياره لها لأنها امرأة من حثالة البشر؟ هل أراد أن يرميها بوجه والده لأنها بسيطة ومن مستوى وضيع، ولأنها أمّ عازبة تعمل في تنظيف الشقق في لندن لكي تعيش؟.

علمت ماغي في داخلها أن لا ذنب لها في اتهاماته، فهي لم ترتكب أي ذنب، ولم تخطىء أبداً لكي تشعر بالخجل. ففي النهاية على أحدهم أن يقوم بتنظيف البيوت، ويبقي شقق الأغنياء مريحة ومرتبة.

لكن على الرغم من ذلك، بقيت ماغي تشعر بألم كبير في أعماقها.

انتزعها من أفكارها المؤلمة صوت كرسي تحرّك إلى جانبها، كانت السينيورة كالي تتكلم معها، فأجبرت ماغي نفسها على سماع ما تقوله.

- عزيزتي، دعي بنجي يأتي معي قليلاً. أخبرتني ماريا أن ابنة أختها أحضرت بعض الألعاب التي كانت لأولادها. أعتقد أن هناك دراجة بثلاث عجلات، والكثير من الألعاب الأخرى التي لا شك بأن ابنك الصغير سيفرح بها كثيراً.

أخذت السينيورة كالي بنجي من حضن ماغي، وأوقفته على الأرض، ثم ابتسمت للطفل وهي تقول: «هيا! تعالَ لرؤية الألعاب الجديدة».

فهم بنجي كلمة ألعاب فمشى نحوها بسرور. أمسكت السينيورة كالي يده الصغيرة، وأمسك زوجها يده الثانية. راقبتهم ماغي وهم يشقون طريقهم باتجاه زاوية المنزل. لكنها كانت لا تزال شاردة الذهن.

أثناء ذلك كان رافاييللو يراقبها. بدت صغيرة جداً لتتحمل مسؤولية طفل، وصغيرة جداً كذلك على قبول الاتهامات القاسية التي رماها والده في وجهها.

شد قبضتي يديه بقوة، يا إلهي! لقدتعرضت للأذى بسببه. بدا ذلك واضحاً جداً. فالحزن والأسى اللذان ظهرا في نظرات عينيها جعلاه يشعر بالسوء. إنها تتكمش على نفسها وتبعد ذاتها عن الآخرين.. ولا يمكنه لومها على ذلك.

شعوره بعدم الارتياح بالنسبة لكل ما يتعلق بها ازداد حدّة، ليغدو نوعاً من الشعور بالذنب. وجد نفسه يتمنى، بكل ما يملكه من قوة، لو أنه يستطيع أن يمحو من ذهنها ذلك المشهد البشع الذي حصل أمام غرفتها. ليته تمكن من إيقاف والده قبل أن يبدأ برمي تلك الإهانات البشعة والكلمات السيئة في وجهها!

لكن اللوم يقع عليه هو أيضاً. فبعد ظهر ذلك اليوم، وفي أول لقاء مع والده، تعمّد أن يقدمها إليه بنبرة يمتزج فيها الغضب بالسخرية. مسبغاً عليها مختلف الصفات التي تجعلها أبعد ما تكون عن الجاذبية واللباقة، تلك الصفات التي يفترض أن تتحلى بها زوجته. والقصد من وراء ذلك كله هو إغاظة والده وجعله يفهم معنى تصرفه هذا، كأنه يقول له: أردت أن تلوي ذراعي، وتجبرني على الزواج.. حسناً! انظر.. انظر أي نوع من النساء اخترت كزوجة لي!

تفجرت مشاعر الذنب في داخله. مشاعر قوية وغير سارة على الإطلاق، كما أحس بشيء أبعد من الشعور بالذنب. شيء بدأ ينمو في داخله وهو يجلس هناك إلى مائدة الفطور، يراقبها، ملاحظاً انكماشها على نفسها والنظرة المليئة بالألم التي تطل من عينيها.

إنه الغضب!

بات الغضب شعوراً مألوفاً لديه خلال الشهور الأخيرة، مع محاولات والده التضييق عليه ودفعه قسراً إلى الزواج بلوسيا. لقد اعتاد شعوره هذا

بالغضب يوماً بعد يوم، إلى أن غدا الغضب جزءاً منه، إلا أنه ظل مصمّماً على عدم السماح لوالده بالتحكم في حياته وكأنه لعبة يديرها كما يشاء. نعم، أصبح الغضب شعوراً مألوفاً لديه. إلا أن غضبه بدا مختلفاً هذه المرة، إذ كان موجهاً نحوه هو نفسه. هب واقفاً على قدميه في حركة مفاجئة.

- تعالي!

سلخت ماغي بصرها عن المكان الذي كانت تنظر إليه، حيث ذهب بنجي برفقة آل كالي، لتجد أن رافاييللو يقف بالقرب منها. وقف هناك بطوله الفارع وهيئته الآمرة، ما دفعها إلى الوقوف على قدميها على الفور. راحت تنفض فتات الخبز عن بنطلونها. وما إن رفعت بصرها حتى رأت أن رافاييللو يراقبها وينظر إلى ثيابها بعدم استحسان.

فكرت ماغي في سرّها: نعم، ثيابي زهيدة الثمن، قديمة الطراز، وغير أنيقة. لكنني ما كنت لأختارها لولا اضطراري لذلك. ما كنت لأرتدي مثل هذه الثياب لو كنت أملك ما تملكه من المال، لكنني لا أملك المال.. الفقر ليس جريمة، وهو لا يدعو صاحبه إلى الخجل.

تابعت تقول لنفسها: لن أطأطىء رأسي وأشعر بالخزي لأنني لست غنية.. كما أنني لن أطأطىء رأسي لأنني يتيمة الأبوين!

أعلن رافاييللو بنبرة صوت مشدودة: «اليوم، سوف نذهب إلى لوكا».

اتسعت عينا ماغي، فهي لم تتوقع ذلك مطلقاً. وما لبثت أن أدركت أن لقراره هذا علاقة مع عشاء الليلة الماضية، حين راح البرفسور يتحدث عن لوكا، وألحت زوجته على ابن أخيها أن يصطحب عروسه في جولة سياحية.

قالت بصوت منخفض ونبرة خجولة: «هذا ليس ضرورياً».

أجابها رافاييللو: «دعيني أحكم بنفسي على ذلك».

شعرت بالغضب يختبىء خلف كلماته. ولم تتفاجأ بذلك. لقد أجبرته عمته بشخصيتها المسيطرة، على اصطحابها في جولة سياحية. بدا واضحاً مدى انزعاجه لأنه سيضيّع نهاره برفقة امرأة اختارها لأنها من حثالة البشر...

- لا يمكنني أن أترك بنجي.

وجدت ماغي نفسها عاجزة عن النظر إلى عينيه، فأخذت تنظر إلى ياقة قميصه المفتوحة. لكنها وجدت من غير اللائق أن تنظر هناك فأخفضت بصرها قليلاً، لكن ذلك لم يكن أفضل. أخيراً أزاحت نظرها بعيداً عنه كلياً لكي ترتاح، وأخذت تنظر نحو أشجار السرو التي تملأ الحديقة.

- سيكون بنجي بخير هنا. فعمتي وماريا ستهتمان به كثيراً، وتأكدي أنه سيفرح برفقتهما.

نظر رافايللو إلى ساعته الذهبية الغالية الثمن، وتابع يقول: «أفضل أن ننطلق بعد نصف ساعة. أرجوك، كوني مستعدة لذلك».

هزّ رأسه، وسار ليختفي داخل الڤيلا.

تنهدت ماغي وفكّرت بما عليها فعله... هل تصر على موقفها وترفض الخروج معه؟ إنها بالتأكيد تريد ذلك.. مجرد التفكير بأنها ستمضي وقتها برفقته، هو أمر بغيض، فما بالك بالخروج معه في جولة سياحية حول المدينة وهي تعلم أنه يتمنى هلاكها؟ لماذا بحق السماء يريد الخروج معها؟ كان يستطيع بالتأكيد أن يتذرع بالعمل كي يقنع عمته بعدم تمكنه من مرافقتها. إضافة إلى ذلك، ومهما حاول التخفيف عنها، من الصعب عليها أن تترك بنجي لوحده. فهي لم تبتعد عنه مطلقاً منذ ولادته.

لكن بالرغم مما فكرت به ماغي، حين ذهبت لتبحث عن بنجي وجدت أنه لا يفتقدها أبداً. لقد شعر بالفرح كثيراً مع ماريا وعمة رافايللو، وبدا متحمساً جداً وهو يلعب على الدراجة.

أسرعت ماريا نحو ماغي وهي تقول: «اذهبي! الصغير سعيدٌ جداً، وهو لا يلاحظ غيابك. إن رآك الآن سيتعلّق بك من جديد، لذا اذهبي الآن. إن شعرتُ أنه حزين في غيابك، سأتصل بالسينيور ليعيدك على الفور إلى المنزل، لقد وعدني بأن يفعل ذلك. لكننا سنهتم جيداً بالطفل وكأنه ابننا. أنا معتادة على الاهتمام بالأطفال، لطالما اهتممت بأطفال كثيرين قبله. هيا، اذهبي!».

أبعدت ماريا ماغي، وعادت تحادث بنجي وكأنها تقدّر شجاعته على ركوب تلك الدراجة.

أدارت ماغي ظهرها ومشت مبتعدة... كانت تعلم في داخلها أن من المفيد لبنجي أن يبدأ بالشعور بالسعادة حتى وهي بعيدة عنه، فحين يعودان إلى لندن ويتخذان لنفسيهما شقة خاصة يعيشان فيها، سيكون الوقت ملائماً ليتعرف بنجي على مجموعة أطفال في مثل سنه ويبدأ بالذهاب إلى الحضانة. حين صعدت إلى غرفتها لكي تجهز نفسها، ارتدت تنورة قطنية ذات لون كاكي. ورغم أنها بدت واسعة عليها قليلاً، إلاّ أن مجرّد كونها تنورة جعلها مميزة أكثر من غيرها، وارتدت معها قميصاً قطنية ذات لون أبيض. حملت ماغي حقيبتها التي بدت شبه فارغة لخلوها من الأغراض التي تخصّ بنجي، ونزلت إلى الطابق السفلي.

وقفت في الصالة الكبيرة، تتساءل عما عليها فعله الآن. تمنت ألا تضطر إلى مواجهة والد رافايللو مجدّداً. لحسن حظها كان والده في الغرفة المجاورة، وقد أقفل الباب. لكنها تأكدت من وجوده هناك لدى سماعها أغاني الأوبرا تخرج منها. إنها موسيقى لڤيردي...

رغم أنها لا تمتلك جهاز ستيريو متطوراً، لكنها اشترت راديو صغيراً، وتعودت أن تمضي كل مساء بعد أن ينام بنجي وهي تقرأ وتستمع إلى الأخبار البومية والبرامج العلمية، وأن تستمتع بالموسيقى عبر إذاعة الموسيقى الكلاسيكية المفضلة لديها.

جعلها سماع وقع خطوات تأتي من الأعلى تستدير نحو الدرج. كان رافايللو ينزل على الدرج وقد بدا لها ممتلئاً بالقوة، وهو يرتدي بنطلوناً قطنياً من اللون الكاكي أيضاً مع قميص بولو، وقد ألقى سترته الحريرية فوق كتفه وهو يمسكها بإصبعه. أما في يده الثانية فكان يحمل نظارته الشمسية، وقفت ماغي وهي تحمل حقيبتها أمام صدرها، تنتظر أوامره، محاولة عدم التفكير بمدى وسامته ورجوليته.

- هل أنت جاهزة؟ جيّد!

بدت نبرته حادة وغير شخصية كالمعتاد. توجّه نحو الباب الرئيسي، ومشت ماغي خلفه تلقائياً. بهرتها الشمس في الخارج، فضاقت عيناها وراحت تلحق خطواته وهو يشق طريقه إلى المرآب خلف الڤيلا.

حين وصلا أمام المرآب وجّه إليها التعليمات قائلاً: «انتظريني هنا!».

نفذت ماغي تعليماته على الفور، فيما أكمل هو طريقه نحو السيارة. بعد لحظات بدأ صوت السيارة يهدر كالتنين، وظهرت أمامها فجأة سيارة فخمة مكشوفة، هي إحدى السيارات الرياضية الأغلى ثمناً.

أوقف رافاييللو السيارة إلى جانب ماغي تماماً، ثم نزل منها ليفتح لها الباب قائلاً: «ادخلي...!».

صعدت ماغي إلى السيارة وهي تشعر بالخوف، وما إن استقرت في المقعد حتى انحنى رافاييللو فوقها ليضع لها حزام الأمان.

تجمّدت ماغي في مكانها، فهو لم يقترب منها جسدياً بهذا الشكل من قبل. تراجعت في جلستها إلى الخلف قدر ما استطاعت، وبعد وقت قصير كان قد اتخذ مكانه مجدّداً وابتعد عنها. وضع نظارته السوداء، وأدار المحرّك مجدّداً، ثم أخرج السيارة نحو الطريق مسرعاً. تمسكت ماغي جيداً، كأنها تحاول الحفاظ على حياتها الغالية في إحدى الألعاب الخطيرة في مدينة الملاهي، فيما هما يتوجهان نحو الأوتوستراد الذي يقع في وادي ريرآرنو.

٦ - ... وهي امرأة أخرى!

بدت جدران لوكا التراثية مثيرة للاعجاب، تماماً كما وصفها دليل السياحة الخاص بماغي. لكن رافاييللو لم يقصد تلك الجدران ولا كاتدرائية سان مارتينو أو كنيسة من كنائس سنترو ستوريكا القديمة. ولا حتى متحف الفنون أو متحف بوتشيني الذي يضم نصباً تذكارية لأشهر أبناء لوتشيا. بدلاً من ذلك وجدت ماغي نفسها تُقاد إلى مبنى ضيّق ذي واجهة أنيقة. شعرت في تلك اللحظات بدوار قوي لكثرة ما تطاولت بعنقها في جميع الاتجاهات بذهول. فأينما نظرت كانت تجد عجائب تاريخية لمدينة توسكانا القديمة. حتى الكنائس والمقاهي والمطاعم بدت ذات طابع قديم، ما أثار إعجاب ماغي بالتصاميم العمرانية الإيطالية العظيمة.

أشار رافاييللو نحو باب المدخل وقال: «تعالي»

رأت ماغي مكتب استقبال يشع بالأنوار، تجلس خلفه امرأة أنيقة في العشرينات من عمرها. رفعت تلك المرأة نظرها عن دفتر المواعيد وهما يدخلان، ثم شع وجهها.

قالت بلغة إيطالية طلقة: «رافاييللو!».

دارت من خلف المكتب بحماس واقتربت من رافاييللو وعانقته. قال لها شيئاً ما وهو يضحك، وبدا واضحاً أنه يمازحها، ثم بدأ بالكلام.

وقفت ماغي على بعد خطوات منهما، وقد فهمت من تعابير وجه تلك المرأة ومن النظرات التي ألقتها نحوها بين الحين والآخر فيما هي تستمع لرافاييللو أنها هي بالذات موضوع تلك المحادثة.

تشبثت ماغي بشكل غير إرادي بحقيبتها، وشعرت بالاحمرار يعلو

وجنتيها. كانت على وشك الاستدارة للتحديق عبر النافذة إلى الشارع الضيق حين أطلقت المرأة ضحكة قوية، وصفّقت بيديها وهي تلتفت نحو ماغي.

قالت لها بالإنكليزية: «تعالي! تعالي! هناك أشياء كثيرة علينا القيام بها، وليس لدينا الكثير من الوقت. آه، لكن النتيجة ستكون مذهلة!».

توجهت المرأة نحوها وهي تبتسم قائلة: «ستدع رافاييللو يذهب الآن، فلا حاجة لنا به هنا. ولن أنتظر رأيه في ذلك أبداً».

ثم نظرت نحو رافاييللو وأومأت له بيدها وهي تقول له ممازحة: «هيا.. هيا..! ارحل من هنا الآن».

تمكنت ماغي من التكلم أخيراً: «أرجوك، ما الذي يحدث هنا؟».

التمعت عينا المرأة السوداوان بشكلٍ لعوب وهي ترد عليها قائلة: «إنها مفاجأة!».

نظرت ماغي بقلق نحو رافاييللو ويداها تتشبثان ببعضهما بقوة فوق مقبض حقيبتها. لم تتمكن من فهم تعابير وجهه، لكنه قال بضع كلمات للمرأة الغريبة فهزت رأسها وخرجت إلى غرفة أخرى. وقف ينظر إلى ماغي قليلاً بينما وقفت هي والقلق باد عليها بوضوح.

قال لها وقد بدا صوته أكثر قسوة مما أراد: «لا داعي للقلق، فقط ضعي نفسك بين يدي أوليفيا وستكونين بخير».

قالت بصوت مخنوق: «لم أفهم بعد».

نظر نحوها للحظات طويلة هذه المرة، كأنه يجد صعوبة في إيجاد الكلمات المناسبة: «لو أمكنني محو ما سمعته من والدي هذا الصباح لفعلت، ولكن ذلك ليس بمقدوري. لذا كل ما يمكنني فعله هو إثبات العكس».

بدا وجه ماغي جامداً كالجليد، كأن قناعاً قد وضع فوقه. لكن عينيها فضحت ما تشعر به، وجعلت رافاييللو يرى الألم من خلالهما.

قالت بهدوء وبصوت خالٍ من أي تعبير: «لكنك لن تتمكن من إثبات عكس ما قاله والدك، لأنه قال الحقيقة، أليس كذلك؟ ماذا قال؟ إنني... إنني أمثل أقبح إهانة تمكنت يوماً من تقديمها إليه. إنني على النقيض تماماً من

صورة المرأة التي كان من الممكن أن ترحب بها عائلتك كزوجة لك. ولهذا السبب بالذات تزوجتني. لهذا السبب تزوجتني أنا ولم تختر امرأة من عالمك الخاص... لكي تهين والدك».

أطلق صوتاً من حنجرته، كأنه يهمّ بالتكلم، لكنها تابعت كلامها: «أخبرتك أن ذلك لا يهم، وهو فعلاً لا يهمني. فأنت تدفع لي المال من أجل ذلك، ولهذا السبب لا يحق لي الاعتراض أو الاحتجاج».

شعر رافاييللو بألم قوي في داخله، كأن سكيناً يمزق صدره. قال لها: «تقولين إن هذه هي الحقيقة ماغي... لكنها ليست كذلك. سبق وبرهنت لي بأنها مجرّد كذبة، وكذلك لعمتي وزوجها ولماريا وغوسيب، والآن أريد فقط إنهاء المهمة».

حدّقت فيه وقالت: «أي جزء تعتبره كذبة؟ أخبرني؟ أن بنجي ليس لديه والد؟ أنني أرتدي ثياباً بالية؟ أنني أعتاش من تنظيف الشقق؟ أم أنني لست المرأة المناسبة لتكون زوجتك، ولا أستحق سوى أن أكون كالتراب تحت الأقدام؟ أي جزء هو كذبة؟».

كانت ماغي تنظر إليه دون أن تبدو على وجهها أي تعابير واضحة، لكن المشاعر راحت تغلي في داخله بقوة. أحد تلك المشاعر كان الشعور بالغضب. إنه الغضب نفسه الذي جعله يأتي بها إلى هنا. وإلى جانب الغضب تملكته مشاعر أخرى. إنه الشعور بالذنب....

لم يعد يستطيع امتصاص ما كان يخفيه أكثر، فقال: «أنت لست أول امرأة تنجب طفلاً يتخلى عنه والده، من الواضح أنك تملكين ذكاءً يخوّلك أن تكوني شخصاً أفضل. لست منبوذة بسبب أصلك الفقير المهمل تماماً مثل ابنك. أما بالنسبة لمظهرك... حسناً! هذا ما ستتكفّل بتغييره الآن».

أنهى رافاييللو كلامه والتفت بعيداً عنها، لم يكن يريد أن يراها وهي تنظر إليه حاملة جراحها وألمها خلف ذلك القناع الوهمي التي يخفي مشاعرها الحقيقية.

نادى رافاييللو: «أوليفيا..!».

دخلت أوليڤيا من الغرفة الثانية. تكلّما بالإيطالية وقد بدا التساؤل على وجهها.. ثم قالت بالإنكليزية: «إذاً لقد اصبح واضحاً ما سنقوم به الآن؟».

ثم ابتسمت لماغي وقالت: «جيّد.. فلنبدأ الآن».

قال رافاييللو لماغي: «سأعود لاحقاً».

ومشى خارجاً.

حدّقت ماغي فيه بيأس، ما الذي يجدر بها أن تفعله الآن؟ هل عليها أن تلحق به وتخبره... ماذا ستقول له؟ إنها تفضل العودة إلى لندن وعدم رؤيته أو رؤية أحد من أفراد عائلته، أو حتى رؤية ڤيلا توسكانا الفخمة بعد الآن؟ حسناً... ! لن تتمكن من فعل هذا، لقد قامت بتوقيع عقد زواج، ولن تتمكن من تغيير هذا الواقع حتى يقرر رافاييللو دي ڤيسنتي أن الوقت قد حان لتعود إلى انكلترا. وذلك بعد تأكده من عدم وجود احتمال لجعل الزواج باطلاً أو المخاطرة في إثبات أنه مجرّد ضرب من ضروب الاحتيال، وبذلك تعود الشركة إلى يد والده من جديد.

جلس رافاييللو في المقهى ينظر نحو الساحة الخارجية التي كانت مدرجاً رومانياً منذ ألفي سنة. باستثناء شراء غرضٍ واحدٍ فقط، أمضى حتى الآن أكثر من ساعتين وهو يتجوّل في المدينة. زار كنائس كثيرة، متجاهلاً نظرات السائحات والإيطاليات على السواء، فهو لا يبادل النساء النظرات حين يكون معكّر المزاج.

لقد جعله الاندفاع والشعور بالذنب يحضر تلك الفتاة الفقيرة الهزيلة إلى صالون أونيقيا للتجميل ليحسن مظهرها قليلاً... وبأي شكل كان. لكنه ربما لم يقدّم إلى تلك الفتاة أي خدمة بجعل أوليڤيا تحاول تحسين مظهرها. عبس رافاييللو حين وردت تلك الفكرة في ذهنه... ربما لا أمل في تجميل مظهرها، مهما حاولت أوليڤيا أن تفعل. ربما لم يفعل شيئاً بإحضارها إلى هنا سوى تعريضها للاذلال والإهانة من جديد... ألم يقم بإهانتها بقدرٍ كافٍ حتى الآن؟

أومأ للنادل كي يحضر له فنجاناً آخر من القهوة ثم رفع جريدته مجدداً ليتابع تصفحها، فربما تجعله مآسي العالم ينسى شعوره بالذنب قليلاً.

بعد أربعين دقيقة رن هاتفه، فمد يده إلى جيب سترته ليخرجه منها.

- مرحباً..!

- رافاييللو؟ لقد انتهينا، سنلتقيك في المطعم.. أراك هناك.

كانت تلك أوليڤيا. توجه فوراً إلى المطعم حيث سبق له أن حجز طاولة للغداء. عندما دخل وقع نظره حالاً على أوليڤيا. كانت تجلس أمام المنضدة، وقد ازدحم المكان بالناس. أشارت له بيدها فتوجه مباشرة نحوها متساءلاً ما الذي فعلته مع ماغي. ساوره شعور بالاحباط مجدّداً. ربما وجدت أوليڤيا أن من المستحيل تحويل ماغي إلى فتاةٍ جميلة وأنيقة فتركتها في الصالون بينما أتت هي كي تنقل إليه الأنباء السيئة.

عندما اقترب رافاييللو أكثر، لفتت نظره امرأة تجلس أمام المنضدة أيضاً، وهي تدير ظهرها نحوه. كان هناك الكثير من النساء لكن تلك الفتاة استرعت انتباهه كثيراً. راقبها بعينيه مطوّلاً، كانت تجلس باستقامة دون حراك. مرتدية قميصاً من الحرير بنيّة اللون دون أكمام. بدت طويلة القامة وشعرها متميّز باللون البني الفاتح تتخلّله خصلٌ شقراء، وهو ينسدل كالموج الناعم فوق كتفيها. وجد رافاييللو نفسه يفكّر كم تبدو تلك الفتاة مثيرة للاهتمام، فهي تملك شيئاً مختلفاً.

أرادها أن تستدير نحوه ليرى إن كانت جميلة فعلاً بقدر ما تبدو من الخلف، لكنه تذكّر فجأة أن الوقت ليس مناسباً الآن لبقدّر جمال وسحر نساءٍ أخريات، لذا عاد لينظر مباشرة نحو أوليڤيا. راحت تراقبه وهو يقترب، وعيناه مأخوذتان تماماً بتلك المرأة الجالسة بقربها. ما إن وصل بالقرب من المنضدة، سألها بالإيطالية: «حسناً! كيف جرت الأمور؟».

حضّر رافاييللو نفسه لسماع الأسوأ، حين نظر حوله ولم يجد أثراً لماغي. أجابته أوليڤيا بحماس: «احكم بنفسك».

نظر حوله مجدّداً لكنه لم يتمكن من رؤية تلك الفتاة الفقيرة التي تركها مع

أوليڤيا في الصباح. صمّم رافاييللو على تجاهل الفتاة المثيرة التي تدير ظهرها نحوه.. يجب ألاّ تشتت ذهنه بل عليه اعتبارها كأي شخص عابرٍ.

قالت أوليڤيا: «ماغي...».

رغم محاولته التفتيش عن ماغي لم يستطع رافاييللو منع نفسه من مراقبة تلك الفتاة بطرف عينه، أما هي فقد اختارت تلك اللحظة بالذات لكي تستدير في جلستها نحوه. لم يستطع مقاومة مشاعره، فالتفت لينظر إليها.

مرّت لحظة، بدا فيها غير مصدّق لما يراه. ربما هناك خطب ما في عينيه...! لا بدّ من ذلك، فالمرأة أمام البار تملك وجه ماغي... لكنها ليست ماغي، إنها امرأة مدهشة جذبت عيوناً كثيرة غير عينيه.

أخذ نفساً عميقاً وقال: «يا إلهي، لا أصدّق ما أراه!».

أطلقت أوليڤيا صرخة ابتهاج، لكن رافاييللو تجاهلها، وظل يحدق غير مصدق بما يراه. إنها ماغي! لكنها لا تبدو هي نفسها! لقد تغيّرت ملامحها كلياً الآن، وقد ترك هذا التغيير آثاراً واضحة. لم تعد بشرتها شاحبة وقد زالت جميع الشوائب منها، كما اختفى الوهن والشحوب وظهر جمالها الحقيقي المشرق. بدت عيناها أعمق وأوسع وأكثر جمالاً. أما وجهها فبدا ناعماً وقد انسدل شعرها على جانبيه ونُحتت وجنتاها بشكل يلفت النظر نحو عينيها الجميلتين بذهول، أما فمها...

شعر رافاييللو بانقباضٍ في معدته، رؤيتها جعلته يودّ تمرير يده في شعرها ومعانقتها.

- هل أحببت هذا التغيير؟

صوت أوليڤيا الممازح هو ما أعاده إلى رشده. لكن تركيزه لم يدم طويلاً فقد عادت عيناه مجدّداً تراقب ماغي، التي بالكاد تمكّن من التعرف إليها. بدت نحيفة، ذات جسدٍ جميل، ولم تعد تبدو هزيلة بالنسبة إليه. يا إلهي! كيف تمكن من التفكير بأنها هزيلة؟ لقد بدت كشجرة الصفصاف مرنة ورشيقة.

لم يتمكن من إبعاد نظراته عنها. أما هي فراحت تبادله النظرات وقد بدا عليها الذهول أيضاً. تساءل لماذا تشعر بالذهول، لكنه توقف سريعاً عن

التفكير في ذلك وأخذ يتفحص جسدها النحيف، ثم عاد لينظر إلى وجهها من جديد.

بدا رافاييللو غافلاً عن كل ما حوله، حين سمع أوليڤيا وهي تمرّ بجانبهما وتقول: «وداعاً رافاييللو! استمتع بوقتك...».

لكنه لم يُعرها أي اهتمام.

لم يسعفه صوته تماماً فقال بتلعثم: «ماغي؟».

عضت ماغي شفتها، فجعلته حركتها المألوفة هذه يتأكد بأن تلك هي نفسها الفتاة الفقيرة التي استغلها بغطرسته ليصل في النهاية إلى مبتغاه، فعاملها بلا مبالاة كأنها مجرّد أداةٍ مثالية تخدم هدفه لإيذاء والده.

تضاربت المشاعر في داخله، بعضها كان مألوفاً لديه وبعضها الآخر بدا جديداً بالكامل. حتى تلك اللحظات كان أفضل شعور أحسّه تجاهها هو الشفقة... شفقة لا مبالية على تلك الفتاة القبيحة غير المحبوبة... شفقة ممزوجة بالشعور بالذنب لأنه عرّضها للقدح والذم من والده، وللصراخ في وجهها وتوجيه كلام قاس وجارح لها. لم يشأ أن يجعلها يوماً تدرك سبب اختياره لها. لم يتعمد أبداً أن يرمي الحقيقة البشعة في وجهها بهذا الشكل.

عاد ضميره يؤنبه. هل ظن أن بإمكانه اعطاءها المال وجعلها تقبل بهذا الاذلال، وتبقى صامتة؟ إن سماعه كلمات الإدانة التي تلفظ بها هو نفسه تجري على لسان والده، جعله يدرك، للمرة الأولى، كم كان متحجر الفؤاد. ها قد تبين له الآن أنه كان مخطئاً وأن والده كان مخطئاً. يا إلهي! كم كان على خطأ...!

تنامى إحساسه بالذنب. لكن هذا الاحساس جديد عليه.. وهو يكاد يفقده صوابه.

شعرت ماغي بأنها تترنح، وراحت دوامة من الأفكار تدور في رأسها. أفكار خشيت أن تعترف بها... تمسكت بأكثر هذه الأفكار بساطة ووضوحاً، ومع ذلك شعرت بالصدمة وعدم التصديق؛ رافاييللو دي ڤيسنتي الوسيم، المتغطرس، الرجل الذي يخطف الأنفاس.. رافاييللو دي ڤيسنتي

الذي كان منذ وقت قريب يتهرب منها ويتجنبها كأنها مرض معدٍ. . . ينظر إليها كأنها. . كأنها امرأة حقيقية من لحم ودم. . . كأنها امرأة جذابة تدير رؤوس الرجال.

بدا الأمر وكأنها ولدت الآن، بالنسبة إليه. بل كأنها لم تكن موجودة من قبل. ما جعلها تشعر بمهانة لا تشعر بها إلا المرأة المنبوذة. لم تكن بالنسبة إليه أكثر من خردة لا تستحق أن ينظر إليها. أما الآن. . فكما لو أن أحدهم قام بنفض الغبار عنها وأعاد إليها بريق الحياة في نظره. إنها هنا الآن. . . أمامه. . امرأة رائعة تضج بالحياة.

هذه الفكرة أيقظت في رأسها فكرة أخرى من تلك الأفكار التي جعلتها تترنح؛ إن رافاييللو دي ڤيسنتي يملك تأثيراً مدمراً عليها. فمجرد وجوده بقربها وتفحصه لها بإمعان من رأسها حتى أخمص قدميها، يعني أنه يعتبرها امرأة جديرة باهتمامه. جعلها ذلك تشعر كأن ألسنة من النيران الملتهبة تلفحها في كل أنحاء جسدها.

بدت تلك اللحظة دون نهاية. . بعدئذٍ، لاحظت ماغي ـ وبصورة ضبابية ـ أحدهم يقف بالقرب منهما، ويقدم لهما باحترام بالغ لائحتي الطعام المغلفتين بغلاف جلدي، تمتم الرجل بضع كلمات جعلت رافاييللو يسلخ نظراته عن ماغي ثم يأخذ منه لائحتي الطعام قائلاً لها: «ماذا تودين أن تأكلي؟».

سمعت ماغي حشرجة في صوته لم تسمعها من قبل، ما أرسل ارتعاشه خفيفة في عمودها الفقري.

في الواقع كان جسمها بأكمله ما زال يرتجف، ليس فقط بسبب نظرات رافاييللو دي ڤيسنتي، بل إن الساعات الثلاث التي أمضتها لدى أوليڤيا بدت لها تجربة فريدة من نوعها، وغير عادية بالنسبة إليها. فقد استسلمت ببساطة ليدي أوليڤيا الخبيرتين ولحماستها وابتسامتها، لتضفي على جسمها وشعرها لمسات الجمال السحرية.

لم تكن ماغي تعلم حتى بوجود هذا النوع من صالونات التجميل! قامت

مجموعة من أخصائيات التجميل بتنظيف جسمها وفركه بالكريمات، كما غسلن شعرها وقصصنه وصبغنه، ثم صففنه في تسريحة أنيقة. بعدئذٍ قامت أوليڤيا بوضع الزينة على وجهها بعناية، حتى إنها لم تصدق عينيها حين رأت صورتها في المرآة. أخيراً، اصطحبتها أوليڤيا إلى غرفة تبديل الملابس حيث رأت مجموعة رائعة منها. هناك، اختارت لها ثوباً حريرياً أنيقاً وهي تقول بنعومة: «ألم أقل لك إنني سأجعلك تبدين رائعة الجمال؟ وهذا ما فعلته».

هذا ما حصل بالفعل! شعرت ماغي أنها تسير في الهواء، كما شعرت سندريللا تماماً حين قابلتها الجنية وزودتها بالثياب والزينة اللازمة لحفلة الأمير. عبرت ماغي عن امتنانها التام للمرأة الأخرى التي راحت تضحك قائلة: «حسناً! والآن لنجعل رافاييللو يراك، وسوف يسقط فكه على الأرض لشدة اندهاشه».

شعرت ماغي بالتوتر حين اقترب رافاييللو منها لكي يعطيها قائمة الطعام، وكادت يده تلمس كتفها. سألها: «هل تودين أن أترجم لك لائحة الطعام؟».

لم تكن ماغي لتستطيع فهم الأبجدية الآن، فكيف بأن تقرأ لائحة الطعام باللغة الإيطالية.

ابتلعت ريقها ثم تمكنت من همس بضع كلمات، وقالت: «أود... أود أن أطلب طبقاً خفيفاً فقط».

التقت نظراتهما معاً، فرأت ماغي التماعاً ذهبياً يشع من عينيه اللتين أحاطت بهما رموشه الكثيفة، ما أعطاه مظهراً مثيراً، كما تنشقت رائحة عطره الذي أعطاه سحراً رجولياً خاص. شعرت بدوار في رأسها، وبأنفاسها تنقطع.

عاد رافاييللو واستقام في جلسته، ثم ابتسم وقال: «حسناً!».

تغيّرت تقاسيم وجهه حين ابتسم ما جعلها تشعر بالدوار من جديد. رأته يبتسم بالأمس لعمته، وكذلك هذا الصباح لأوليڤيا، لكن هذه المرة... هذه المرة كان يبتسم لها بشكل خاص. لم تصدّق أن هذا يحدث فعلاً، لا بد أنها

تحلم..

لكن.. إن كان هذا حلماً، فهي لم تستفق منه بعد. أمسك رافاييللو بمرفقها ما جعلها تشعر كأن جسدها يحترق تحت لمسة يده. أحست بشيء غير اعتيادي بداخلها، كأن فراشاتٍ غير مرئية أخذت تطير حولها، بينما رافقها رافاييللو إلى باحة المطعم الخلفية المزينة بالزهور حيث وزّعت طاولات أنيقة.

أخذت مكانها وهي تشعر بالرعب من التعثر بسبب كعبي حذائها المرتفعين اللذين لم تعتد عليهما. لكنها أحسنت التصرف، ولم تواجه المشاكل بل جلست خلف الطاولة وعيناها لا تريان سوى رافاييللو دي ڤيستي.

للحظات، وبينما تلهّى رافاييللو بطلب الطعام، حاولت ماغي تقبّل الأمور بهدوء، لتقنع نفسها بأنها تحلم. من يصدق أنها تجلس هنا في هذا المكان السحري، مع أكثر الرجال وسامة في العالم؟ بعد أن أنهى رافاييللو طلب الطعام، عاد لينضم إليها. رأت أشياء في عينيه جعلت الفراشات الوهمية تطير بشكل دائري ومتناسق فوق رأسها.

قال لها بينما أخذت عيناه تراقبان وجهها وشعرها: «إنه أمر مذهل! لا أعرف ماذا أقول».

وبسط يديه بتلك الإيماءة الإيطالية المعهودة لديه.

تحرّكت ماغي قليلاً في مكانها بعدم ارتياح، وقالت بصوت متوتر: «إنه تأثير مساحيق التجميل... وسوى ذلك...».

ردّد رافاييللو خلفها: «سوى ذلك؟ آه، نعم! لقد كنت أعمى... أعمى حقاً، هذا كل ما في الأمر».

ظهرت نبرة تثير الاستغراب في صوته، التقت نظراتهما مجدّداً، فلمحت ماغي في عينيه تعابير غريبة جعلتها تشعر... تشعر بماذا؟ لم تتمكن من وصف مشاعرها.

عاد رافاييللو ليتكلم: «لقد كنت أعمى عن كل شيء، والآن أسألك...».

تغيّرت نبرة صوته، وتابع: «... أسألك إن كان بإمكانك مساعدتي،

لأنني كنت أعمى. وأرجو أن تقبلي هديتي عربوناً للسلام بيننا».

مد يده إلى جيب سترته، وأخرج علبة دائرية ملفوفة بورقة فضية اللون مربوطة بشريط ذهبي، ووضعها أمامها. كانت تلك العلبة ثمرة تسوّقه طوال النهار.

قال بصوته المميز: «هيا! افتحيها».

أطاعته ماغي بتردد، وفتحت العلبة. وما إن فكّت الشريط حتى ظهرت علبة مجوهرات زرقاء اللون. بدأت معدتها تتقلص كأن الفراشات أصبحت تدور في داخلها.

داخل العلبة وجدت عقداً جميلاً مصنوعاً من الذهب، مصمّماً بإتقان. فحدقت فيه وعيناها ترمشان.

- هل تقبلينه كعربون لندمي على معاملتي القاسية لك؟

أتى صوته هادئاً، منخفضاً، ومتميزاً بتلك النبرة التي لم تفهمها. لكنها لم تكن في حالة تسمح لها بتحليل معنى نبرته الغريبة. تصلبت حنجرتها وقالت: «لا يمكنني قبول هذا. أرجوك... إنه أمرٌ غير ضروري. أنت تدفع لي الكثير من المال...».

قطع رافاييللو كلامها حين مدّ يده ووضعها فوق يدها. ثم قال لها بحدّة: «لا!».

جعلها صوته تنظر نحوه بخوف. أما هو فتابع: «لن نتكلّم عن هذا الآن».

ثم غيّر نبرته وقال: «... إن كان العقد يعجبك ضعيه الآن. أظنه مناسباً للثياب التي ترتدينها».

فكّرت ماغي أنه محق. ليس عليها اعتبار تلك الهديّة سوى أكسسوار إضافي لثيابها. فكل التغييرات التي قامت بها أوليڤيا هي جزء مما يريد رافاييللو تغييره فيها.

أطاعته مجدّداً، وأخذت العقد من العلبة. بدا خفيفاً جداً، وقد صنع ليلبس بشكلٍ عملي. ارتبكت أصابعها خلف رقبتها وهي تحاول وضعه. وفي

لحظة كان رافاييللو قد وصل إليها، فأزاح شعرها، ومرّر أصابعه لتلامس يديها وتأخذ العقد من بينهما. تمتم وهو يلبسها إيّاه: «اسمحي لي...».

أصبحت الفراشات بداخلها تدور بشكلٍ جنوني. وشعرت كأن الدماء تهرب من شرايينها. ارتعشت أعصاب رقبتها بسبب إحساسها المرهف... ليتها تستطيع التمسك بتلك اللحظة إلى الأبد.. إنها تشبه الجنة!

أغمضت عينيها لتستمتع بذلك الشعور الجميل الأخاذ، لكنه انتهى بسرعة، وعاد رافاييللو إلى مكانه ليراقب عمله الفني المميّز. ثم قال بهدوء: «اليوم سنبدأ بداية جديدة».

وأخذت عيناه تشربان من جمالها كأنها شراب معتّق نادر.

فكّرت ماغي أن يومها يبدو شبيهاً بالحلم، وأن رافاييللو يبدو إنساناً مختلفاً. وكأنه ليس الشخص نفسه الذي لم ير فيها سوى آخر فتاةٍ سيرحب بها والده كزوجة له. بدا لها كأن رافاييللو هذا قد اختفى، وظهر مكانه أكثر الرجال وسامة في العالم ليجلس أمامها، ويعاملها كأنها أميرة. شعرت باندفاع محموم في أحاسيسها، وحاولت بصعوبة إبقاء قدميها على الأرض، ومنع الفراشات التي في داخلها من جعلها تحلّق عالياً.

خلال الغداء الذي شعرت كأنه لحظات قصيرة تنتهي بسرعة، حاول رافاييللو إبقاء الأحاديث عامة وغير شخصية. أخبرها عن لوكا وعن توسكانا وعن إيطاليا... تنوّعت الأحاديث بدءً من التكلّم عن تاريخها وصولاً إلى العصر الحالي وعادات المجتمع المعاصر...

ورغم التوتّر الشديد في بداية الأحاديث، وعدم تمكنها من مبادلته الكلام بسهولة، إلاّ أنها تبدّلت كثيراً مع الوقت، وأخذت تسأله بحماسٍ، تماماً كما فعلت مع زوج عمته بالأمس. وتدريجياً وجدت نفسها مرتاحة، وراحت تتكلم بشكل طبيعي.

حاولت تخزين هذه اللحظات كذكريات غالية، كحلمٍ لا يصدق حدوثه في حياتها الحقيقية. ظلت تحس طوال الوقت كأن تياراً كهربائياً يسري في جسدها، ما جعل من الصعب عليها التوقف عن التحديق بوسامته الإيطالية

التي جعلته رجلاً كامل الأوصاف.

ومع انتهاء الغداء عادت ماغي إلى العالم الواقعي.

بنجي! ارتجف جسدها لشعورها بالذنب. وبينما وضع رافاييللو بطاقة اعتماده على الطاولة ليأخذها النادل قالت له ماغي: «أرجوك.. هل من الممكن... أن اتصل بماريا... كي أطمئن على بنجي؟».

ابتسم لها وقال: «بالطبع!».

أخرج هاتفه الخلوي وطلب رقم المنزل، ثم تكلّم سريعاً وأقفل الخط.

قام بنقل الأخبار لماغي، فقال: «تصرّف بنجي بشكل ممتاز هذا الصباح، فأكل فطوراً كاملاً وهو الآن ينام بسلام. لكن ماريا تقترح بأن تكوني إلى جانبه حين يستيقظ. في هذه الحالة علينا ترك الجولة الكبرى حول المدينة إلى مناسبة أخرى. أما الآن فلن نتمكن من القيام سوى بجولة قصيرة ونتمشى بجانب قسم من الجدران الأثرية. ستكون هذه نزهة ممتعة».

اتجها خارج المطعم، وبدآ بالمشي تحت الخيمة الخارجية التي تحمي من أشعة الشمس، وتعمّدت ماغي فتح حقيبة يدها لإخراج نظارتها الشمسية التي أعطتها إياها أوليفيا. كان من الأسهل لها أن تنظر من خلال النظارة دون أن يتمكن أحد من رؤيتها. وفيما هما يشقان طريقهما تعمّد رافاييللو أن يمسكها من مرفقها، وأدركت ماغي فجأة بأن وجودهما معاً في ذلك المكان لفت نظر الموجودين.

بدا واضحاً أن الرجال كانوا ينظرون نحوهما بإعجاب من كل الاتجاهات. سواء كانوا يمرون بقربها أو يراقبونها من بعيدٍ وهم داخل المقهى. بدت نظرات الناس متفحصة لدرجة أشعرتها كأنها ترتدي ثياباً غير محتشمة. وحالما شعرت بالخجل، اقتربت ماغي من رافاييللو بشكل عفوي غير مقصود.

نظر رافاييللو نحوها وقد ظهرت ابتسامة ملتوية عند زاوية فمه، وقال لها: «في إيطاليا لا نشعر بالخجل من إبداء إعجابنا بإمرأة جميلة. لا تقلقي طالما أنا بجانبك لن يتمكنوا من القيام بشيء سوى النظر إليك من بعيد».

ثم أصبح صوته أكثر جفافاً وتابع قائلاً: «لكنني لا أنصحك بالتجول بمفردك، إذ ستتعرضين لبعض المضايقات».

شعرت أن وجهها يتلوّن خجلاً، واسترجعت كلمات رافاييللو في ذهنها؛ لقد وصفني بالمرأة الجميلة!

تابعت سيرها وهي تشعر بالذهول.

أصبح السير بجانب الأسوار التاريخية أسهل، إذ زاد عدد السياح والمارّة، فلم تعد ماغي تلفت النظر كالسابق. ابتعدت قليلاً عن رافاييللو، وتجاوب هو معها على الفور، وأخذ ببساطة يجاريها في المشي.

كانت ماغي تشعر بمتعة كبيرة كلّما توقّف رافاييللو كي يدلها ويشرح لها عن جزءٍ مميّز من الجدران التي تحيط بالمدينة.

- لقد شيّد سكان لوكا الأغنياء منازلهم الفخمة في القرن السادس عشر في الأرياف المحيطة بالمدينة وهي بأغلبها الآن مفتوحة أمام السياح. ربما نذهب لرؤيتها في يوم آخر. هناك الكثير لتشاهدينه في توسكانا. حتى إنك ستحتارين أي مكان تُختارين لزيارته.

فجأة، استيقظت ماغي من حلمها الجميل، وقالت: «أرجوك، لست مجبراً على مرافقتي لرؤية هذه الأماكن. أنا أشعر بسعادة كبيرة في الڤيلا، وأنا متأكدة أنك ستنشغل كثيراً بأعمالك الخاصة».

أجابها رافاييللو بتلقائية: «ليس لدي عمل ملحٌّ هذه الفترة».

اجتماع مجلس الإدارة الذي سيُعلن فيه رافاييللو رئيساً للمجلس لن يعقد قبل الأسبوع المقبل. والتأخير لن يوتّر رافاييللو. فوالده لن يتمكن من التهرّب من تطبيق الاتفاق المبرم بينهما.

شرد ذهنه قليلاً. لم يشأ أن يفكّر بوالده الآن. تصاعد الغضب بداخله، وظهرت ابتسامة غريبة على فمه. فكّر أنهما حين يعودان إلى المنزل سوف يجبر والده على رؤية ماغي الجديدة كي يمحو من ذهنه صورة تلك الفتاة البشعة التي رماها بوجهه منذ أيام.

نظر رافاييللو نحو رأسها ذي الشعر الحريري الذي بالكاد يصل حتى

كتفيه. إنه لم يتمكن بعد من استيعاب التحوّل الذي حلّ بماغي.. إنه فعلاً تحوّلٌ مذهل. كانت تمشي إلى جانبه وقد بدت وقفتها ملفتة، أما فستانها فقد أظهرت قصّته قوامها الرشيق. بدا فستانها بسيطاً، لكن رافاييللو يعلم أن سعره ليس بالبساطة نفسها... حسناً! بدا الأمر كالحلم. فهي ليست هزيلة، لكنها ذات قوام نحيف. وليست شاحبة... بل مشرقة...

بمظهرها الحالي ستتمكن من محو أيّ فكرة مسبقة عنها... لذا سيجعل والده بالتأكيد يراها الآن. سيجعله يعترف بذكائها وثقافتها الشخصية التي بنتها بمفردها، وكذلك بمستواها المعيشي الجديد الذي قدّمه لها. سيجعله يرى بأن كل وصف قاسٍ وصفها به كان خاطئاً، وبأن السبب الوحيد الذي جعلها تقبل بتلك المهنة الوضيعة هو خوفها على إبنها، وإصرارها على الاعتناء به، وتقديم كل ما بإمكانها له.

التمع العبوس في عينيه. وفجأة من دون التفكير بالموضوع، أخذ يتكلّم فقال: «أخبريني عن والد بنجي».

تجمّدت ماغي في مكانها وهي في منتصف مشيتها لبرهة، ثم تابعت السير من جديد. ظهرت قساوة في صوته جعلتها تهلع. لِمَ يريد أن يعرف؟ حاولت التكلّم بهدوء فأجابت: «ليس... ليس من السهل عليّ التكلّم في هذا الموضوع. أتعلم؟ حين كنت في الملجأ...».

راحت ماغي تتكلّم وهي تنظر مباشرة أمامها.

قاطعها قائلاً: «أي ملجأ؟».

- ملجأ للأطفال... للعناية بهم.. لا أعلم ماذا تسمّونه بالإيطالية.

عبس رافاييللو وهو يفكّر. ماذا يعني ذلك؟ هل هي يتيمة؟ سألها: «ماذا حدث لوالديك؟».

- أنا... أنا لا أعلم.

- كيف ذلك؟

التفتت نحوه بسرعة، كان يعبس بشدة ما جعله يبدو مرعباً. ألح عليها بالسؤال قائلاً: «أحقاً لا تعرفين ما الذي حدث لهما؟».

- أنا . . . أنا لا أعرف من هما والديّ. لقد وجدوني بعد ولادتي ببضع ساعات وفي ثيابي ورقة تقول أمي فيها إنها لا تستطيع إعالتي وقد هجرها زوجها. حاولت الشرطة إيجاد المرأة التي أنجبتني ولكن دون جدوى. . أنا أعتقد أن الفتيات الشابات هن اللواتي يتخلّين عن أطفالهن إذ يحببن شباباً طائشين سرعان ما يتخلون عنهن فيشعرن بالرعب. لذلك على الأرجح قامت أمي بالتخلّص مني.

لم يقل رافاييللو أي شيء، فاستمرت بالسير وهي تتابع كلامها بذلك الصوت المتوتر الذي حاولت جاهدة أن تجعله يبدو طبيعياً: «إذاً، أرأيت. . أنا لا أعرف من هي أمي، وليست لدي أدنى فكرة عن هوية أبي. إنه على الأرجح لم يعرف حتى أنها حامل. .».

سرت قشعريرة باردة في جسد رافاييللو: «لم يكن لدي أدنى فكرة عن الأمر».

أجفلت ماغي حين قاطعها. وشعرت بنبرته القاسية من جديد وقد ظهر فيها المزيد من الحدّة هذه المرّة. توقفت قدماها عن الحركة مجدّداً. لقد تهدّم الصرح الحضاري الذي أظهرته له خلال الغداء. استرقت النظر إليه قليلاً. توقف رافاييللو أيضاً عن السير، وراح ينظر إليها. لم تتمكّن من رؤية عينيه اللتين كان يخفيهما خلف نظارتيه الشمسيّتين، إلاّ أنها تمكنت من رؤية فمه الذي بدا متوتّراً ومشدوداً.

شعرت بقلبها يهبط إلى الأرض. بدا الأمر كالخروج إلى عاصفة ثلجية بعدما أزهرت زهور الربيع. . .

فكّرت بحزن: آه! لِمَ لم أكتفِ بقول بعض الأعذار وعدم إخباره شيئاً عن بنجي أو عني؟ لقد أرعبته مني الآن! وشعرت بالندم يأكلها.

قالت بصوت خافت: «لقد. . . اعتقدت أنك تعلم ذلك. فقد كتب على شهادة ميلادي: الأهل مجهولي الهوية، أما تاريخ ميلادي فهو أقرب تقديرٍ تمكنت المستشفى من إعطائه. لقد أخذت شهادة ميلادي من أجل تسجيل الزواج».

أجاب بتجرد: «لم أنظر إليها».

عضّت ماغي شفتها. بالطبع! لِمَ سيزعج رافاييللو دي ڤيسنتي نفسه بالنظر إلى شهادة ميلادها؟

تابع رافاييللو الكلام، وقد بدا صوته بعيداً جداً: «كنت تحدثيني عن بنجي».

وبقلب يغرق بالحزن، أجبرت ماغي نفسها على متابعة قصتها المؤلمة. . .

- همم. . . كنت في دار الرعاية، ونشأت بيني وبين كايس صداقة قوية، صداقة قربتنا من بعضنا البعض بشكل كبير. حسناً. . . ! بعدئذ أصبحت الأمور أكثر تعقيداً. .

ابتلعت ريقها عبر حنجرتها المشدودة، مجبرة الكلمات على الخروج من فمها وهي تسترجع ذكريات الأيام الماضية. تابعت تقول: «عندما تركنا الملجأ وبدأنا باستكشاف العالم، سكنا في شقة واحدة، وعندها فقط ظهرت أعراض السرطان على كايس. في الفترة الأولى بدا العلاج نافعاً، استمر ذلك لمدّة عامين. لكن السرطان عاد من جديد بشكل أقوى إلى أن خطف الموت كايس. . . بعد ولادة بنجي مباشرة».

لم تستطع إكمال الكلام، فعادت تهمّ بالمشي مجدّداً. لكنها لم تعد تنظر حولها نحو الأسوار الجميلة. شعرت بالامتنان لنظارتها السوداء لأنها أخفت دموعها.

جاء صوت رافاييللو خافتاً وهو يقول: «أنا أشعر بالخجل. . . أشعر بالخجل من كل فكرة مسبقة أخذتها عنك أو قلتها لك».

ثم أدارها نحوه وأمسك بمرفقيها. أغمضت ماغي عينيها لتمنع انهمار المزيد من الدموع. شعرت أن حنجرتها تشتعل لمحاولتها القوية منع نفسها من البكاء.

شعرت بإحدى يديه تتركها، ثم أمسك نظارتها ورفعها عن عينيها.

- لا نريد الدموع. . . الدموع ستفسد تبرّجك.

لاحظت ماغي في صوته نبرة مزاح. رفعت بصرها نحوه، لتحدق به

وعيناها غارقتان بالدموع لدرجة جعلتها تراه بشكل ضبابي. بتهذيب كبير مرّر إصبعه تحت عينيها ليلتقط دموعها قبل نزولها فوق خديها. وحين توضحت أمامها الرؤية، التقت نظراتهما معاً...

شعرت ماغي كأن الوقت أصبح معلقاً، ولم تعد قادرة على التحرّك أو حتى التنفس، وكأنها مقيّدة بطوقٍ من الفولاذ.

توقف العالم حولها عن الحركة. لقد اختُصِرَ العالم بنظرها برافاييللو. إنه الوحيد الذي بقي موجوداً بالنسبة إليها، وكان ينظر إليها بعينيه الداكنتين اللتين بدت تعابيرهما غريبة غامضة.

بهدوء، مرّر رافاييللو أصابعه بين خصل شعرها الناعم.

- جميل جداً...

تمتم بهذه الكلمات بصوت منخفض ثم أخفض رأسه ليعانقها، فأغمضت ماغي عينيها لتستمتع بعناق رائع، لم تتوقعه مطلقاً من الرجل الفاتن الذي يرافقها. شعرت بقوة جسده ودفئه وهو يضمها إلى صدره برقة وهدوء.

تمنت أن يستمر هذا العناق إلى الأبد. لكن لسوء الحظ، أن الأمر انتهى سريعاً.

فجأة ابتعد رافاييللو عنها، ما جعلها تشعر بخسارة كبيرة، سرت أصداؤها في جسدها. نظرت مطوّلاً نحوه، ومشاعرها تظهر بوضوح على وجهها، فيما الغموض لا يزال بادياً في عينيه. أمسك رافاييللو يدها، وشبك ذراعها بذراعه، ثم أرجع نظارتها إلى عينيها مجدّداً، وقال لها: «علينا العودة إلى السيارة».

عادت معه وهي تشعر بدوار في رأسها، كأنها تعيش فترة أقرب إلى الحلم منها إلى الحقيقة، ولم تستطع التفكير بشكل منتظم.

عمّ الصمت معظم فترة العودة إلى الڤيلا. كان رافاييللو يقود السيارة بالسرعة والتركيز اللذين قاد بهما صباحاً، لكنها هذه المرّة لم تشعر بالتوتر الذي كان مسيطراً في الصباح. بل بدا كأن رافاييللو يستمتع بقيادة سيارته القوية، أما ماغي فقد أمضت رحلة العودة وهي تجلس ملتفتة نحوه بين الحين

والآخر، ثم تمسك خصل شعرها بيدها كي لا يتطاير في الهواء.

راح رافاييللو يلتفت نحوها بين الحين والآخر، وقد علت فمه ابتسامة صغيرة، وكأنه يشعر بالرضى. لم تفهم ماغي مغزى تلك الابتسامة، لكن ما تعرفه هو أن شيئاً ما يذوب في داخلها كلّما التفت نحوها.

تمنت ألاّ تنتهي هذه الرحلة على الإطلاق!

www.elromancia.com

٧ ـ حلم أم يقظة!

بدا رافاييللو في مزاج جيد.. جيد جداً. منذ أشهر عديدة، ومنذ أن وجه إليه والده ذلك الإنذار المستحيل: إما الزواج وإما حرمانه من الميراث، إنها المرة الأولى التي يشعر فيها بالمزاج الجيد.

جعله ذلك يدرك كم كان مزاجه سيئاً، وكم طال مزاجه الكدر.

لكن ذلك كله تغير الآن، فالحياة تبتسم له ثانية، وها هو يبادلها الابتسام. إنه شعور جيد ورائع، كأنما حملاً ثقيلاً رفع عن كتفيه.

ما إن عاد إلى الڤيلا حتى تلقى بمشاعر متناقضة الأخبار من غوسيب، فأنريكو قد غادر إلى روما، وعليهم عدم توقع عودته في وقت قريب.

اعترف لنفسه أن الأمر الأكثر أهمية الآن هو أنه يشعر بالراحة. وفي ظل مزاجه المتحسن الجديد فهو لا يستسيغ أي لقاء بينهما. حسناً! إذا كان والده قد ارتحل فجأة إلى شقته في روما، فذلك هو خياره. هذا ما فكر به رافاييللو.

بدا أكثر حيوية ونشاطاً عندما استدار نحو ماغي.

- أخبرني غوسيب أن والدي سافر إلى روما. لدينا شقة هناك. والآن..

تابع بفرح: «... لمَ لا تذهبين لرؤية بنجي، هم؟».

ابتسم لها، وللمرة الثانية شعرت أن أعصابها تطير محلقة بأجنحة ملائكية.

- علي التأكد من بريدي الإلكتروني، والقيام ببعض الاتصالات الهاتفية. لكنني سأنضم إليك عما قريب.

سار بخطى واسعة باتجاه المكتب، وعلمت ماغي من غوسيب أن بنجي نائم في غرفتها في الطابق العلوي. صعدت إلى هناك، وهي لا تزال في حالة

انبهار كامل...

ارادت أن تفكر بما يجري معها، لكن بنجي بدا سعيداً جداً وقد استيقظ من قيلولته في فترة بعد الظهر، فلم تحظَ بالوقت الكافي لتعيش في أحلام اليقظة. فرحته برؤيتها جعلتها تنسى كل شيء، على الأقل في هذه اللحظة. رفعته بين يديها، وضمته إليها بقوة شاكرة جينا على عنايتها به.

استيقظ بنجي من نومه الخفيف، وأصبح جاهزاً لمزاولة نشاطه ثانية، فتوجهت ماغي معه إلى الطابق الأرضي.

أوقفتها ماريا في القاعة، ولمعت عيناها ما إن باغتها مظهر ماغي الجديد. لكنها لم تقل شيئاً بشأن ذلك، بل قالت بمرح: «سأحضر القهوة إلى الشرفة، السنيور والسنيورة كالي هناك».

وجدت ماغي أن بنجي بات فخوراً بنفسه وهو يجلس على عجلة خشبية يستطيع دفع نفسه بسهولة عليها. وفي فترة قصيرة، راح يتحرك عليها ذهاباً وإياباً على الشرفة كمحترف. أمّا بالنسبة لعمة رافاييللو، فقد بدت أكثر انفتاحاً بشأن مظهر ماغي الجديد.

- رائعة! تبدين جميلة جداً، عزيزتي. وسيسعدك أن تعلمي أن ما تبقى من ثياب لخزانتك قد وصل قبل قليل.

بدت الدهشة على ماغي، فابتسمت عمة رافاييللو بعتب بسبب تعابير وجه ماغي وقالت: «بالطبع! لا يمكنك البقاء بثوب واحد. لقد شاهدت المجموعة، وهي رائعة. قامت جينا بترتيبها. والآن، تعالي واشربي فنجان قهوة، وأخبرينا ما هو رأيك بلوسيا. وأنا سأخبرك عما قام به ولدك الصغير المرح والمحبوب هذا الصباح».

بدا من الواضح أن اليزابيث في مزاج مرح جداً، وعندما وصل رافاييللو إلى الشرفة بعد نصف ساعة من ذلك استقبلته بالمرح نفسه. لكن ماغي لاحظت النظرة السريعة المدققة التي رمتهما بها ما إن جلس على المقعد بجانب ماغي. شعرت بخديها يتوردان، وبالتوتر يسيطر عليها ثانية وهي تشرب القهوة، مدركة بقوة وجود رافاييللو بجانبها وهو يتحدث إلى عمته وعمه.

ازداد توترها بعد مرور عشر دقائق، عندما استدار رافاييللو إليها، وقال فجأة: «حان وقت السباحة. أنا متأكد أن بنجي سيسعد باللعب بالماء... هيا!».

ما إن تكلم حتى أدركت ماغي مدى الصدق في دعوته. من المحتمل أن الأم والطفل سيستمتعان بالسباحة، لكن ما سيسعده حقاً هو رؤية ماغي في ثوب سباحة ملائم.

طارت أفكاره إلى بعد ظهر يوم البارحة، عندما تفاجأ برؤيتها في ثوب سباحة بشع فضفاض، ومع ذلك لاحظ أنها تملك جسماً جميلاً لم يتوقعه قط. والذي يعرفه أنها إذا ارتدت ثوب سباحة جميل وأنيق فالنتيجة ستكون أكثر جمالاً، بدون أي شك.

نالت توقعاته النتيجة المرجوة. فقد بدت ماغي جميلة جداً في ثوب سباحة من قطعة واحدة خوخي اللون، تماماً كما تمنى. فبشرتها قد تحولت إلى لون عسلي دافىء بسبب شمس توسكانا. تدلى شعرها الكثيف على كتفيها وهي تمشي ببطء وثقة إلى بركة السباحة، ممسكة بيد ابنها الصغير، لم يستطع رافاييللو إبعاد عينيه عنها؛ كيف يمكن لها أن تخفي هذا الجمال الطبيعي طوال الوقت؟ شتم نفسه بسبب عماه، كان حقاً أعمى بسبب شعرها الأشعث، وظهرها المنحني، وعدم اهتمامها المطلق بمظهرها وبسبب تلك الثياب الفظيعة الكريهة. أمّا الآن...

مهما بلغت قيمة الفاتورة التي ستقدمها له أوليفيا، فإنه سيدفعها ولو تضاعفت عشر مرات، فقط بسبب إحساسه بالسعادة من رؤية ماغي تسير نحوه، بجمالها الطبيعي وخجلها.

بحركة رشيقة قفز إلى الماء... برودة الماء هدأت من اضطرابه، ولو إلى حين. قام بالسباحة لعدة مرات برشاقة قبل أن يطفو على السطح ليجد ماغي جالسة بقلق قرب الدرج الموصل إلى الماء، كان بنجي في الماء يلعب ويقذف الماء بقوة. رفع رافاييللو جسمه من الماء بدون أي مجهود، وأمسك بطابة بنجي.

- التقطها!

ورمى الطابة باتجاه الصبي الصغير الذي صرخ من الفرح، ومشى بخطى قصيرة نحو الطابة بالسرعة التي تسمح بها ساقاه الصغيرتان والإطار المطاطي الذي يحمله. ضربها، فطارت بعيداً وأخذ يركض وراءها. ضحكت ماغي وكذلك رافاييللو، الذي غطس مرة أخرى في البركة وبدأ يلاعب الطفل.

اكتشف أن تسلية الأطفال أمر سهل للغاية. فكل ما هو مطلوب التخلي عن التكبر، والانغماس تماماً في اللعبة...

قالت ماغي محذرة: «لن يشعر بالتعب قبلك».

كانت ما تزال جالسة هناك، واضعة قدميها في الماء، وضاغطة على ركبتيها بقوة.

ضحك رافاييللو، فشعرت بدفء قوي يجتاحها. أما أفكارها فكانت في انبهار ودوار كامل. هل يعقل أن هذا هو رافاييللو دي ڤيستي الذي لم يرد أن ينادي بنجي باسمه، والآن ها هو يلعب معه ودلائل الفرح بادية عليه؟

هل يعقل أن هذا هو رافاييللو دي ڤيستي الذي كان ينظر إليها بازدراء، وهو ينظر إليها الآن كأنه غير قادر على إبعاد عينيه عنها للحظة واحدة؟

لا يمكنها أن تصدق أن ذلك يحدث فعلاً. إذا كان هذا حلماً، فإنها لا تريد أن تستيقظ منه أبداً...

* * *

- إذاً، إلى أين تريدين الذهاب اليوم؟

بدا صوت رافاييللو مرحباً. لمَ لا؟ فهو مرتاح، مرتاح جداً. فهو يشعر أنه سعيد، وليس لديه ما يفعله إلّا أن يمتع نفسه بمباهج الحياة. صحيح أن مستقبل شركة ڤيستي أصبح بين يديه، وهو سيحمل مسؤولياته في وقت قريب، لكن باستطاعة الانتشار الشامل والعالمي أن ينتظر. أمّا الآن فلديه مشروع آخر عليه أن يلاحقه ويسعى إليه... مشروع ممتع جداً... ورمى بنظره إلى حيث مركز اهتمامه.

- فرنزي؟ بيزا؟ سينيا؟

عضت ماغي على شفتها، فحاول رافاييللو ألاّ يحدق بها. سيكون هناك وقت كافٍ للحصول على ما يريده، فالوقت طويل أمامهما. أما الآن فهو يريد أن يريها جمال توسكانا. يريدها أن تكون له بمفرده، فقط له، من دون مراقبة الجميع لهما، ليس فقط عمته وعمه بل أيضاً ماريا وغوسيب.

قالت: «من فضلك. لست مضطراً لمرافقتي، حقاً!».

أجاب برقة: «يسعدني ذلك. كل ما عليك فعله هو أن تختاري المكان. ما رأيك بفرنزي؟ إنها الجوهرة الرائعة في عرش توسكانا، وهي الأكثر هدوءً وسحراً في لوكا».

ابتسمت ماغي، لكنها بقيت غير متأكدة مما ستجيبه به.

- من فضلك، لا تعتقد أنني لست ممتنة، لكنني لا أستطيع ترك بنجي هنا، فهذا ليس عدلاً له أو لماريا أو حتى لعمتك.

- إذاً، سنأخذه معنا.

ليس هذا ما يريده حقاً، لكنه يفهم وجهة نظرها.

أصبحت حيرتها أكبر، فقالت: «لا أعتقد أن مدينة مليئة بالناس هي المكان المناسب له، فكيف إذا ذهبنا إلى متحف للفنون أو لرؤية نصب تذكاري».

بحركة من يده تجاهل رافاييللو اعتراضها هذا، وقال: «الحل واضح، سنذهب إلى الشاطىء».

وكأنه تلفظ بكلمة سحرية أضاءت وجه ماغي...

- آه! هل نستطيع الذهاب حقاً؟ بنجي سيسعد كثيراً على الشاطىء. لم يذهب يوماً إلى هناك، ولا حتى أنا...

بدا صوتها حزيناً، وشيء ما في رنة صوتها أصابه في العمق. لم تذهب يوماً إلى الشاطىء!

لكنها عاشت حياة محرومة، ليس فقط من الناحية المادية، فهي لا تملك عائلة. هل يمكن حدوث مثل هذه الأشياء؟ شعر بغضب شديد. لا عجب أنها تعلقت بذلك الولد من الميتم، كايس حبيبها. ولا عجب أنها بحثت عن

الراحة بين ذراعيه، وفي سريره.

لمعت ظلال من الحزن في عينيه، حتى هذا قد أخذ منها..

أعلن بنبرة حاسمة: «إذاً، اتفقنا. سنذهب إلى الشاطىء».

* * *

فكرت ماغي ما إن أطل بعد الظهر، أن هذا اليوم هو أفضل يوم في حياتها! حتى إنه أفضل من البارحة، لأن اليوم أمضته مع أحب شخصين إلى قلبها: بنجي ورافاييللو. بدا رافاييللو كما لم تره يوماً، فاتناً، متعاوناً ولطيفاً بشكل مريب.

كما أن هناك شيئاً إضافياً، لكنها لا تعرف ما هو، إلا أنه يجعل دمها يرقص في عروقها، ويجعلها تحلق في الأعالي كلما تبادلت هي ورافاييللو النظرات.

فكرت أنها تعيش في حلم. فقد جلست على الشاطىء في فيراجو، فيما جلس بنجي بين ساقيها الممدودتين. راح رافاييللو يعيد بناء قلعة من الرمال، ليهدمها بنجي بعد ذلك بفرح لا يوصف. كانت أشعة الشمس تلمع على جذعه الذهبي، عاكسة ألواناً برونزية اللون على شعره الأسود الحريري. كل ما كانت تستطيع ماغي فعله، هو أن تحتفظ بذكرى تلك اللحظة.

التمعت فكرة في خاطرها.. كم هي خطرة ومستحيلة تلك الفكرة المغرية! إنها تتحدى كل منطق وحقيقة. في أعماق أعماقها، تمنت لو أن الحلم يغدو حقيقة؛ أن تجلس هنا، ليس مع الرجل الذي تزوجها ليهين والده وينقذ ميراثه، بل مع زوجها الحقيقي ووالد طفلها.

لكنهم ليسوا عائلة حقيقية، ولا وجود لمثل هذه الأمور. فرافاييللو لطيف معها، هذا كل ما في الأمر. إنه يريد أن يبرهن أن الكلام المشين الذي رماها به والده كله خطأ. شعرت بالسوء لأنه دُفع للقيام بذلك.

آلمها كثيراً أن تعلم أن رافاييللو اختارها عن عمد لأنها امرأة هامشية، من الناحيتين الاجتماعية والشخصية. لكنها لا تخجل بذلك، فهي ليست مسؤولة عن أصلها، وبنجي هو هدية من كايس. هدية ستحتفظ بها ككنز

طوال حياتها. لأجله ستفعل كل ما يمكنها، لتبقيه سالماً وتنشئه بطريقة جيدة. سواء عملت خادمة أو تزوجت من رجل غريب يحتقرها لأنها فعلت ذلك.

ومضت عيناها باتجاه رافاييللو مرة ثانية. لكنه لا يحتقرها الآن! فهو يعمل بجهد واضح ليكون لطيفاً معها. شعرت بقلبها ينكمش في صدرها. التقت نظراتها بنظراته، فتوقف عن إعادة بناء القلعة ثانية. وما إن طالت تلك النظرة حتى شعرت باللون الأحمر يصبغ خديها. ابتسم لها ابتسامة بطيئة حميمة، زادت عمق اللون على وجهها.

للحظة طويلة بقيت نظراتهما متشابكة، وشعرت بالضعف بسبب الإحساس الذي تدفق بينهما.

أحس بنجي بالحيرة، فاندفع إلى الأمام وسقط بكل جسمه على القلعة، مدمراً إياها بالكامل.

صرخت ماغي وهي تضحك: «آه بنجي! أيها الوحش الصغير!».

أبعدت نظرها عن رافاييللو وهي تشعر بالراحة وبإحساس من الخسارة في الوقت نفسه. ضحك رافاييللو أيضاً، ثم وقف على ساقيه وهو يحمل بنجي أيضاً وكأنه يؤرجحه.

قال له ساخراً: «هيا، أيها الوحش. حان الوقت لتلعب بالماء».

مدّ يده إلى ماغي، وبثقة كبيرة بالنفس وضعت يدها في يده. شد على يدها وهو يسحبها لتنهض على قدميها، وهو يقول: «وأنت أيضاً».

ركض بهما إلى البحر، ماغي تسير إلى جانبه على الرمال، فيما بنجي ممسك بشعره وغارق بالضحك. وقعوا جميعاً في الماء بقفزة كبيرة. وبسرعة، فقدت ماغي أنفاسها من الضحك، عندما أخذ رافاييللو يدفع بنجي في الماء ويرفعه مع قدوم كل موجة وانحسارها، بينما الصبي الصغير يصرخ من شدة الفرح.

شعرت بقلبها يعتصر وهي تراقبهما. رافاييللو رائع جداً مع بنجي، وهي لا تستطيع تصديق ذلك...

شيء ما اعتصر في داخلها مسبباً لها شعوراً مؤلماً. عاودتها تلك الفكرة

الخطرة المغرية، ماذا إذا كان ما تشاهده حقيقة؟ ماذا لو كانوا كما يظنهم جميع الناس على الشاطىء: عائلة؟!.

أبعدت تلك الفكرة عن رأسها، هذا اليوم الرائع المميز، مجرد يوم للذكرى فقط. يوم لن تنساه طوال حياتها.

عادوا أخيراً إلى اليابسة في آخر النهار. جلست ماغي بجانب بنجي في المقعد الخلفي في صالون السيارة الأنيق وهي تحلم... ضائعة، مبهورة بما تراه. بينما بدا بنجي مرهقاً وهو يأكل البوظة ويهز برأسه على كرسيه الخاص.

ما إن انعطفوا إلى ناحية الشرق، متوجهين نحو التلال، فكرت ماغي كم هي مختلفة هذه الرحلة عن الرحلة التي قامت بها من المطار في بداية هذا الأسبوع، ومنذ أربعة أيام فقط!

هل رافاييللو هو الشخص نفسه الآن كما كان في السابق؟ ما زالت تذكر كيف جلس، في زاوية سيارة الليموزين، منشغلاً تماماً في عمله، ومن دون أن يعير أي اهتمام لها أو لبنجي.

فكرت أنهما لم يكونا موجودين بالنسبة إليه. كانا مجرد شيئين يريد استعمالهما ويحركهما كما يشاء، لأنه دفع ثمنهما. ظهر شيء ما في عينيها. فما فكرت به لم يتغير، إنه لا يزال يدفع لها، لكن لماذا تشعر أن هذا يتعارض مع طريقة تصرفه معها الآن؟ هي تعلم أنه يعاملها بلطف، لكنه اليوم بدا حقاً مستمتعاً تماماً مثلها ومثل بنجي. هل هذا كله مجرد معاملة لطيفة؟

مرة ثانية، أبعدت الفكرة جانباً. لا جدوى من التفكير بذلك، فهي لن تفسد جمال هذا اليوم. ستجلس بكل بساطة هنا، مستمرة بمراقبة الرجل الذي يقود هذه السيارة الرائعة، وتختزن الذكريات...

عندما وصلوا إلى الڤيلا كانت ماغي أيضاً شبه نائمة. فالشمس وهواء البحر أرهقاها. حملت بنجي بكسل، لكنه أصرّ على النزول إلى الأرض. وضعته على قدميه وأخذ يمشي مترنحاً نحو الباب. فتح غوسيب الباب، وقال شيئاً ما لرافاييللو، ثم ساعده في حمل الحقائب.

قال رافاييللو وهو يرفع الحقائب من صندوق السيارة: «عمتي وعمي غادرا، ذهبا لمواساة أبي في روما. هذا ما أخبرني به غوسيب. وهكذا، فالمنزل كله لنا».

ابتسم لها تلك الابتسامة الحميمة التي ابتسمها على الشاطىء.

شعرت ماغي بقشعريرة في داخلها، وبإحساس من الرعب ما إن أدركت أنه لن يكون هناك وجود لعائلة كالي على العشاء. ليلة البارحة عملا على تخفيف قلقها وشدة توترها بسبب رافاييللو الذي جلس على رأس الطاولة، وبدا مسيطراً على المكان بحضوره القوي. الليلة لن يكون هناك من يحميها. إدراكها لذلك خلق لديها شعوراً غريباً.

ما إن دخلا إلى الڤيلا، قال رافاييللو ببساطة: «دعانا بعض الأصدقاء الليلة لأنهم يريدون أن يتمنوا لي ميلاداً سعيداً. سيكون لديك ما يكفي من الوقت لترتاحي، وتحضري نفسك، وتضعي بنجي في سريره».

أول ما شعرت به هو الراحة، ومن ثم، وعلى الفور، وصلتها المعلومات التي قالها.

- لا، أرجوك! لا داعي لأن تأخذني معك. سأكون بألف خير هنا..

توقف رافاييللو عن السير، ونظر إليها. ثم قال وملامح من الفرح بادية على وجهه: «إنهم يريدون أن يتعرفوا عليك، وهم بالأحرى متحمسون لذلك».

عضت ماغي على شفتها وقالت بسرعة: «آه... ! هل من الحكمة...؟ أقصد.. ألا يقودهم ذلك ليعتقدوا أن هذا.. هذا الزواج حقيقي؟».

كان من الصعب عليها التلفظ بتلك الكلمات، لكن عليها أن تقول ذلك.

نظرة غريبة وغير مفهومة بدت في عينيه للحظة، ثم اختفت ليجيب بصوت رقيق: «لكن زواجنا زواج حقيقي، ماغي. إنه شرعي حقاً، وعلينا أن نتصرف على هذا الأساس. بالإضافة...».

شيء من المرح تخلل صوته وهو يتابع: «... ألست متحمسة لتجربي

أحد فساتين السهرة من خزانتك؟».

لم تجب ماغي وقد شعرت بالتوتر، لكن رافاييللو تابع ببساطة: «والآن، لمَ لا تأخذين استراحة قصيرة؟ دعي ماريا تمضي بعض الوقت مع بنجي وتقدم له العشاء. ثم يمكن أن تحممه وتضعه في سريره، وبعدها يمكنك أن تستعدي. هيا!».

توقف عند أسفل الدرج وتابع: «اقترحت ماريا أن تحضر سريري القديم النقال، والذي هو في مكان ما في العلية، لتضعه بجانب سريرك. إنها قلقة على بنجي. أعتقد أنك لن ترفضي؟».

هزت ماغي رأسها وقالت: «لا، لا. بالطبع لا! هذا لطف من قبلها».

كان السرير النقال في غرفة نومها عندما وصلت إلى هناك مع بنجي. إنه عمل فني متقن، ويستحق اسم عائلة دي ڤيستي. فهو سرير مزخرف، مطلي وقد نظفته ماريا جيداً. على الفور، جلس بنجي فيه وكأنه ملك له مستغنياً عن سريره السابق، ما جعلها تشعر بالارتياح. تساءلت بقلق كم سيبقى سعيداً به، إذا علم أن الحافة الخشبية المرتفعة لن تمكنه من الخروج منه بمفرده.

استحم بنجي، وأصبح جاهزاً للنوم. وها هو يلعب بألعابه، وبذلك يمكنها القيام بتحضير نفسها بثقة أكبر، لا سيما عندما يتعلق الأمر بتصفيف شعرها. عليها أن تغسله بعد قضاء النهار على الشاطىء، وخشيت ألا تتمكن من تصفيفه في تسريحة أنيقة كما تم تصفيفه في صالون أوليڤيا. مهما يكن، فقد تبعت نصيحة المرأة. وضعت بعض المستحضرات الخاصة بالشعر عليه وجففته بواسطة مجفف الشعر الذي وجدته في الخزانة بجانب سريرها.

وضعت بعض الزينة على وجهها من تلك المستحضرات التي أرسلتها أوليڤيا، وجاءت النتيجة أفضل بكثير مما أملت. ما إن حدقت بصورتها في المرآة، وبالشعر الناعم المتهدل على كتفيها وبعينيها الواسعتين الكحيلتين، وفمها المرسوم بأحمر الشفاه الرائع، لم تصدق أن عملية التحول هذه حقيقية.

وبينما كان بنجي، غارقاً في نوم عميق، معانقاً دبه القطني، أخرجت

ماغي فستان سهرة طويل من خزانتها الكبيرة وارتدته.

إنه فستان أسود اللون، ينسدل على وركيها بثنيات ناعمة، ومعلق بشريطين رفيعين على كتفيها، وما إن انزلق القماش الناعم فوق رأسها واستقر على جسمها حتى شعرت بسحره الخاص. سارت نحو المرآة وحدقت بمظهرها بذهول. تساءلت وهي تلمس عنقها: هل هذه فعلاً أنا؟

بدا لها ذلك مستحيلاً، لكن المرآة قبالتها لا يمكن أن تكذب. فهي تبدو امرأة رائعة الجمال، نحيلة ورشيقة القد، ترتدي فستاناً أنيقاً وشعرها ناعم يلف رأسها كالغمامة وعيناها تلمعان...

لم تستطع أن تبعد عينيها عن صورتها تلك، وظلت تحدق بإعجاب بنفسها. طرقة خفيفة على الباب أيقظتها من أحلام اليقظة، كانت تلك جينا، وقد أتت لمراقبة الطفل.

قالت الفتاة، وهي تنظر بإعجاب إلى مظهر ماغي: «السنيور دي ڤيستي في الطابق الأرضي بانتظارك».

التقطت ماغي حقيبة يد من الساتان الأسود، طُبع عليها اسم المصمم، وانتعلت في قدميها الحذاء الأسود ذا الأشرطة والكعبين العاليين، وتوجهت إلى الطابق الأرضي بعد أن تمنت لجينا ليلة سعيدة.

بينما كانت تنزل الدرج العريض بحذر شديد، وهي تسير بخطوات حذرة بسبب ضيق تنورتها وكعبي حذائها العاليين، لاحظت أن رافاييللو يحدق بها.

حدقت به هي أيضاً، وقد حبست أنفاسها...

إذا كانت تعتقد أن رافاييللو يبدو رائعاً وهو يرتدي بذلة العمل أو الثياب العادية أو ثياب البحر، فهو في البذلة الرسمية يحبس الأنفاس. كانت البذلة السوداء تضم كتفيه بقوة وتنساب على جذعه مظهرة التناقض بين لونها الأسود ولون قميصه البيضاء. بدا حليق الذقن، شعره رطب وقد نزلت خصلة منه فوق جبينه، كما بدت عظام خديه أعلى من السابق. هذا ما فكرت به ماغي، وهي تشعر بالانبهار، مدركة أن عينيه مثبتتان عليها أيضاً، ما جعلها تشعر باضطراب شديد. ما إن وصلت إلى الأرض الرخامية حتى

سار نحوها. وقبل أن تستوعب ما الذي يفعله رفع يدها إلى فمه.

لمسة شفتيه على ظهر يدها جعلتها تشعر كأنها ستغيب عن الوعي. رفع رأسه لكنه أبقى يدها في يده.

- أنت فاتنة!

همس بذلك، قد بدت نبرته أقوى من ذي قبل. كل ما استطاعت ماغي فعله هو أن تحدق به وهو ممسك بيدها، وقد انحبست أنفاسها.

- تنقصك فقط زينة واحدة... هذه!

في الوقت الذي قال فيه كلماته تلك وضع يده اليسرى داخل جيب سترته ليخرج منها عقداً فضياً مليئاً بالحبوب البيضاء اللامعة.

وما إن فتح راحة يده لم تستطع ماغي أن تمنع نفسها من الشهيق. بدا العقد كنهر من الماس، رائع، جماله لا يصدق. حدقت به غير مصدقة. ترك رافاييللو يدها ببساطة، وادارها ليضع العقد اللماع حول عنقها، مبعداً شعرها جانباً ليتمكن من تثبيته.

قالت له بتردد: «لا أستطيع أن أرتديه.. سأضيعه».

ضحك، وأدارها نحوه.

أمسكت ماغي بالعقد حول عنقها طوال الطريق، فيما قاد رافاييللو السيارة بسرعة معتدلة.

قال وهو يبتسم لها: «لا أريد أن يصبح شعرك عديم الترتيب».

نظر إلى عينيها لبرهة وتابع: «سأوفر ذلك إلى وقت لاحق».

بعد ذلك مباشرة وصل إلى منعطف في الطريق، فركز عينيه على القيادة ثانياً.

تساءلت ماغي، هل قال ذلك حقاً؟ واعتقدت أنها أساءت فهم ما سمعته، لا سيما أن فكرة أخرى طرأت على بالها.

- رافاييللو.

لا تزال تشعر بالغرابة عندما تلفظ اسمه، فهي لا تتلفظ به بصورة طبيعية بعد، على الرغم من تلك المعاملة الرقيقة واللطف اللذين يبديهما نحوها.

قالت: «ماذا يجب أن أعرف عن هذه الأمسية؟».

نظر إليها مرة ثانية. كانت إحدى يديه ملقاة بخفة على المقود، بينما وضع يده الثانية بمهارة على معدل السرعة ليحركه، وهما يلتفان حول منحنى حادٍ على الطريق.

- باولو وسيلفيا تزوجا منذ عدة سنين، لديهما صبي صغير، وسيلفيا بانتظار طفل جديد. لقد عرفت باولو طوال حياتي، وهو يشعر بالفضول ليعلم كيف أصبحنا معاً، لكن لا تقلقي.

توقف لحظة ليبدل معدل السرعة وتابع: «هو يعلم لماذا تزوجت بهذه السرعة، وقد سمع عن معاركي مع والدي منذ سنين».

ابتلعت ماغي غصة وقالت بقلق: «إذاً هو يعلم كيف اخترتني؟ ولأي أسباب؟».

أضافت بشجاعة: «ألا.. ألا يعتقد أنه أمر غريب أن تأخذني معك إلى السهرة هذا المساء؟».

أجاب بضيق: «لا!».

فكرة جديدة مفاجئة وبشعة طرأت على بالها: «أنت لن تأخذني إلى هناك الليلة.. لتخبر الجميع أين وجدتني.. هل ستفعل؟ كجزء.. كجزء من معركتك مع والدك؟».

ظهر خوف في عينيها، خوف واضح جلي. هل هذا ما سيفعله رافاييللو الليلة؟ سيصطحبها إلى غرفة مليئة بالغرباء، ويخبرهم أنه تزوج من امرأة تعمل في تنظيف المراحيض لتعيش؟

أطلق رافاييللو شتيمة، ثم سمعت أصوات إطارات السيارة. أوقف السيارة إلى جانب الطريق واستدار في مقعده.

نظرت ماغي إليه كالمصعوقة، وقد اتسعت عيناها، ثم راحت تحرك يديها في حضنها. شيء ما تمزق في أحشائه... لقد بدت تماماً كما هي الآن عندما خرج إلى فسحة الدرج ليسمع والده وهو ينفث سمومه عليها.

قال بقوة: «لا!».

ثم تابع بلطف أكبر: «لا! ليس هذه المرة»

بدت نبرة سخرية في صوته وكأنه يتهم نفسه، ما جعلها تشعر برجفة تسري في أعصابها.

- هذه المرة ليست لدي هذه النية. هذه المرة سآخذك معي لأني...

توقف عن الكلام بعد ذلك، وبقلق ساخر تابع: «لأنني.. إن لم أفعل، فإن باولو وسيلفيا سيأتيان غداً إلى الڤيلا ليلقيا نظرة عليك. اعتقدت أن من الأسهل للجميع أن تلتقي بهما في الحفلة، حيث هناك الكثير من الناس حولك. وسيكون لدينا الخيار لنغادر ساعة نشاء».

كانت لا تزال تنظر إليه، وقد بدت عيناها كبيرتين والخوف يلتمع فيهما رغم الضوء الخافت.

- لا تخافي، عزيزتي. لن أسمح بأن يصيبك أي أذى.

قال لها ذلك بنعومة. ولكي يبعد تلك التعابير عن وجهها، فلا تبدو مرتعبة من الأذى الذي قد يلحقه بها، قام بمعانقتها...

اعترف لنفسه بقلق، أنه يقوم بشيء أراد القيام منذ أن نزلت على الدرج وبهرته بجمالها الأخاذ فهو لم يتمكن من التوقف عن النظر إليها...

جاء عناقه ناعماً، يحمل وعداً... وعداً لها ووعداً على نفسه.

لم يكد رافاييللو يلمسها حتى ذابت كالعسل بين يديه... أغمضت عينيها، لكنه سرعان ما ابتعد. فتحت ماغي عينيها ثانية ورأته ينظر إليها، محدقاً في عينيها.

- لا تخافي، عزيزتي!

أدار المحرك ثانية وأعاد السيارة باتجاه الطريق من جديد، متوجهاً عبر الظلام وأضواء السيارة تقطع ظلام ليل توسكانا بأنوارها المشعة.

* * *

اكتشفت ماغي أن السهرة لم تكن محنة لها على الإطلاق، بل على العكس. كانت الڤيلا التي توقفا أمامها مبنية في القرون الوسطى وهي ذات جمال أخاذ، أما الطريق المؤدية إليها فمليئة بالسيارات الفخمة والرائعة، ما

جعل قلب ماغي يضطرب بشدة من شدة التوتر. لم تستطع الدخول.. سيعلم الجميع أنها ليست واحدة منهم.

ما إن تصلب جسمها من الخوف، حتى أحاطت ذراع قوية بكتفها.

- تبدين أجمل من مليون دولار، وأنا سأعتني بك.

وهذا ما فعله... لم يبتعد عنها رافاييللو للحظة طوال السهرة. مع أنها اكتشفت أنها ليست بحاجة للحماية. فباولو وسيلفيا رحبا بها بحرارة، وأظهرا لطفاً حقيقياً وراء ذلك الفضول الواضح للتعرف على عروس صديقهما غير المتوقعة. لم تسمع شيئاً مقلقاً من أي كان، وبدا الجميع كأنهم تقبلوها بجدية تامة.

مرت ماغي بلحظة مربكة واحدة فقط، وذلك في منتصف الأمسية تقريباً، عندما أسرعت سيلفيا إلى رافاييللو، وتمتمت كلاماً بالإيطالية على نحو سريع. جمد رافاييللو في مكانه للحظة، بعدها قال شيئاً ما ليصرفها. ربتت سيلفيا على ذراعه برضى وفرح، واختفت ثانية.

استدار رافاييللو محدثاً ماغي: «لقد وصلت لوسيا، لكن لا تشعري بالتوتر. لن تحظى بفرصة لإهانتك».

لكن كما يبدو، فإن إهانة المرأة التي خطفت زوجها العتيد أمام ناظريها، لم تكن في النهاية قصد لوسيا. عوضاً عن ذلك تقدمت نحوها وهي ترتدي فستاناً ذهبي اللون عصري الطراز. اتسعت عيناها السوداوان، وراحت تنظر غير مصدقة إلى ذلك التحول الذي طرأ على زوجة ابن عمها.

- فستان جميل جداً، بدون شك! وماس أيضاً! تستحقين كل الإجلال.

بدا صوتها ناعماً كالعسل، لكن ماغي بقيت متوترة. فضحكت لوسيا بخفة.

- آه! لا تنظري إلي هكذا. فما حصل قد حصل، وأنا لا أحمل لك أية ضغينة. على أي حال، لست أنا من يجب أن تستميليه إليك بل والد رافاييللو، لقد اختارني أنا لأكون زوجة ابنه.

لم تجد ماغي أي سوء في كلامها. أجاب رافاييللو ببساطة ومن خلال فمه

المطبق تقريباً: «كان على أبي أن يعرف أنه لا يستطيع أن يلعب بحياتي، لوسيا. والآن، أرجو أن تعذرينا، إذ يجب أن نتحدث إلى الجميع».

أبعد ماغي قليلاً، وعلى الفور عرفها على المزيد من أصدقائه. وهؤلاء بالطبع، لم يجدوا أي شيء غير لائق فيها، إلا أنها وصلت إلى مجتمعهم فجأة وأصبحت واحدة منهم.

تابعا التجول والتحدث إلى الجميع، ولم يبعد رافاييللو ذراعه عنها، ما جعل تأثيره مستمراً على قدرة ماغي التحدث بمنطق وحرية. توقف ونظر إليها ليسألها: «هل تستمتعين بوقتك؟».

هزت رأسها بصمت، ثم تمكنت من القول: «أصدقاؤك رائعون».

ابتسم ابتسامة كبيرة وقال: «لقد أثرت إعجاب الجميع».

تلون خدا ماغي وأجابت بهدوء: «كم أنت لطيف لتقول ذلك!».

ضحك رافاييللو وقال: «لطيف؟ هل هذا ما تعتقدينه، عزيزتي؟ أعتقد أن علي إقناعك بالأمر بطريقة أخرى».

نظر إلى وجهها، ولاحظت في عينيه شيئاً ما جعلها تحبس أنفاسها... ولم يمكنا بعد ذلك طويلاً. بعد فترة قصيرة أصبحا في سيارة رافاييللو. وعندما ودعهما باولو وسيلفيا، رأت على وجهيهما ابتسامات ذات مغزى.

تفهم رافاييللو تعابير الإحراج على وجهها. وما إن تحركت السيارة، قال: «هما يعلمان أننا عريسان جديدان، ولهذا سمحا لنا أن نغادر باكراً».

- آه!

وانشغلت بحزام المقعد لتضعه حول جسمها.

لم تستغرق الرحلة إلى المنزل وقتاً طويلاً. وفكرت ماغي أن ذلك يعود إلى الإحساس بالفرح الذي تشعر به.

ما إن وصلا إلى الڤيلا، حتى ساعدها لتخرج من السيارة. وفيما هي تسير في الممر، علق كعب حذائها بالأرض. وسرعان ما أحاطتها ذراع رافاييللو من كتفها، وكأنها تدعوها لأن تتكىء عليه. سارا معاً إلى الداخل بصمت. ثم سألها رافاييللو: «هل تريدين أن تتأكدي أن بنجي بخير؟ أعتقد أن

جينا ستسعد كثيراً لانتهاء عملها».

أجابت: «آه! نعم».

توجهت إلى الطابق العلوي. في غرفتها، شكرت جينا وتمنت لها ليلة سعيدة، وذهبت لتفقد بنجي.

كان الطفل مستغرقاً في نومه في سريره الفخم. طبعت قبلة صامتة على جبهته، وامتلأ قلبها بالحب له. ثم استدارت لتنزع عقد الماس عن عنقها.

سيطر عليها إحساس بالحزن لمعرفتها أن الأمسية قد انتهت. بل هو أكثر من الحزن... إنه شعور بالقلق لا تستطيع أن تطلق عليه اسماً. فجأة، سحبت الستائر الثقيلة جانباً، وفتحت النافذة. اتكأت على عتبة النافذة وقد وضعت ذقنها على راحة يديها، محدقة إلى الخارج، تاركة الهواء الدافىء المشبع برائحة الزهور يمر على وجهها.

أطلقت تنهيدة صغيرة. الحديقة المليئة بالظلال بدت منارة بضوء خافت من غرفتها ومن غرفة رافاييللو، كما اعتقدت، والتي هي بجانب غرفتها.

أطلقت تنهيدة أخرى، وفكرت أن ما من سبب لتكون حزينة. فالليلة كانت ساحرة وهي ستحتفظ بذكرياتها إلى نهاية عمرها، مثلها مثل كل لحظة أمضتها مع رافاييللو دي ڤيسنتي. فهي تريده كثيراً، لكنها تعلم أنها لن تحصل منه على أكثر مما لديها الآن. فهو ليس لها، وهي ليست له.

- عليَّ أن أخبرك عزيزتي، أن وضعك هذا خطر جداً. يجب ألاّ تبقي كذلك.

٨ ـ من أنت؟

بدا الصوت العميق وراءها أجش، يحمل بعض المرح وشيئاً آخر. تفاجأت ماغي، فاستقامت في وقفتها، واستدارت لمواجهته.

قالت معترضة: «لن... لن أقع».

مشى رافاييللو الهوينى نحوها، واضعاً يديه في جيبي بنطلونه. لا بد أنه دخل من الباب الخاص الذي يصل ما بين غرفتيهما. كان ما يزال مرتدياً بذلته الرسمية، وقد فك عقدة ربطة عنقه، وتركها متدلية على جانبي قميصه الحريري. صحح لها: «ليس هذا الخطر الذي قصدته، أقصد هذا».

وشدها إليه بقوة.

تمتم وقد أحنى رأسه: «إنه موضوع أكثر خطراً».

رأت في عينيه بريقاً، جعلها تشعر باضطراب قوي في داخلها. فراحت تتنفس بصعوبة، محاولة أن تنسحب لتبتعد عنه: «رافاييللو!».

لكنه بدا غير راغب في السماح لها بالهروب. ببساطة، شدها بقوة أكثر إليه محركاً يده على ظهرها، وكور يده الأخرى تحت شعرها الكثيف ليمسك بمؤخرة عنقها. لم يبق لديها نفس في صدرها، لتتكلم أو تعترض أو تصرخ أو حتى... لتتنفس.

قال لها بنعومة: «هناك طريقة واحدة لإنهاء أمسية مثل هذه».

ثم عانقها...

حدث ذلك فجأة، دون أن تتاح لها أية فرصة لتفعل أو لتقول شيئاً.

في لحظة، كانت تحدق من النافذة إلى ليل توسكانا الرائع، وهي تفكر أن الأمسية قد انتهت. وفي اللحظة التالية ضمها رافاييللو إليه، وها هو يعانقها

بشوق ولهفة.

شعرت ماغي أنها ضائعة، ضائعة تماماً.. سيطر عليها إحساس قوي بقوة الألعاب النارية. أصبح عناقه أعمق، وأخذ الدم يتدفق في عروقها وفي أذنيها. وسرعان ما التفت يداها حول عنقه لتضماه إليها بقوة.

راح يتمتم بكلمات في أذنها، لكنها لم تفهم كلمة منها. لم تستطع أن تفهم أي شيء سوى أنه ما زال يعانقها... سمعته يقول: «إلى غرفتي».

جاء صوته أجش... وأخيراً، وجدت ماغي صوتها، فتمكنت من النطق من أعماق أعماقها: «رافايللو، من فضلك، أنا... أنا».

قال هامساً: «هش... عزيزتي. ثقي بي، فأنا أريدك كثيراً».

عاد يعانقها مرة ثانية، وكادت أن تستسلم بالكامل، لكن الأحلام لن تصبح حقيقة، وما تعيشه الآن ليس حقيقياً.. لا يعقل أن يكون حقيقياً.

ابتعدت عنه قليلاً بينما كان رافايللو يدفعها إلى الأمام.

- رافايللو، لا! من فضلك. من فضلك أصغِ إلي، أنت لا تفهم.

لاحظ رافايللو الإلحاح في صوتها فتركها لتبتعد عنه أكثر، وبحثت عيناه السوداوان عن عينيها في ذلك النور الخافت.

- لا تخافي، لن أسبب لك أي أذى. أعلم أنه مرَّ وقت طويل بالنسبة لك، وأن خسارتك لوالد بنجي كانت مأساة قاسية، ولا تحتمل. لكن عليك الاستمرار في العيش، ومعانقة الحياة من جديد.

اتسعت عيناها لسماعها كلماته، وبدا عليها أنها تحاول الكلام، لكنه لم يدعها تتكلم.

- أنت جميلة وجذابة، وحياة بأكملها قد فتحت أمامك الآن. الماضي مضى، عزيزتي. تذكري كايس فقط من خلال الولد الذي أعطاك إياه. لكن الآن استمتعي وعانقي الحياة من جديد.

ظهر الرعب على وجهها، وتمكنت أخيراً من القول بضعف: «كايس؟ لا، أنت لا تعرف، كايس ليس والد بنجي».

جمد في مكانه فجأة، وكأنها ضربته. ثم سألها: «إذاً من؟».

تجهم وجهه، فما الذي يحدث أمامه؟

شعرت بذراعيه ترتخيان حولها ورأته يتراجع إلى الوراء.

- أنا... أنا لا أعرف.

أصبح وجهه قاتماً من الغضب، وصاح: «ماذا؟».

ابتلعت ماغي غصة وقالت: «أنا لا أعلم من هو والد بنجي، أرأيت...؟»

ابتعد عنها أكثر، والتوتر باد في كل ذرة من جسمه.

- أنت لا تعلمين من.. هو والده؟

لاحظ أن هناك نظرة مترددة في عينيها، لكنه تجاهلها. ففي داخله تضطرم نار من الغضب المدمر.

- هل أقمت علاقات مع عدد كبير من الرجال، لدرجة أنك لا تعرفين من هو والد ابنك؟

قساوة كلماته اللاذعة لسعتها بقوة. ومع أنها بدت مصدومة ومرتعبة، إلا أنه تابع بالقسوة والعنف ذاتهما: «إذاً، ذلك الكايس الذي تتحدثين عن، وتلك الخسارة المأساوية، هي مجرد قصة عاطفية لتتمكني من السيطرة علي؟».

تراجعت خطوة أخرى إلى الوراء وهمست: «أنت لا تفهم.. ولا تعرف».

التوى فمه بازدراء، وقال: «آه! أنا أعرف كل شيء.. أنا أعرف الحقيقة الآن. فكرت في الدفاع عنك، لأبرهن أن إهانتي لك غير صحيحة! لكن مهما كانت حياتك صعبة وسيئة، فليس هناك من عذر مطلقاً لتعيشي حياة مستهترة. حتى إنك لست منزعجة من عدم معرفتك لهوية والد ابنك».

ملأ الاحتقار والازدراء وجهه وهو يتابع: «هل فكرت مرة باستهتارك المطلق وعدم مسؤوليتك تجاه ذلك الطفل البريء؟ ألست أنت مثالاً حياً عن عدم تحمل المسؤولية؟ ومع ذلك تفعلين ذلك ثانية، وكأن ابنك ليس من لحمك ودمك».

صرخت بمرارة وألم: «بنجي لي! لن أتركه أبداً، أبداً!».

خلا وجهه من أية تعابير وهو يقول: «الولد بحاجة لأبيه».

ظهر شيء من الحزن في صوته، ثم قال مكرراً: «الولد يحتاج لأبيه، وأنت حرمت ولدك من هذا الحق، حتى إنه لن يعرف من هو والده! أم أنك ستكذبين عليه وتقولين له إن كايس هو والده لتخفي عنه حقيقة أمه؟».

بدا صوته مليئاً بالازدراء والإدانة. بغضب سار عبر الغرفة، متوجهاً نحو الباب ليصل إلى غرفته من خلاله. شعر بألم في أحشائه، وكأن شيئاً ما رائعاً، نادراً ومدهشاً تحول فجأة إلى فطريات عفنة بين يديه.

ما إن راقبته يغادر حتى وقفت ماغي في مكانها مضطربة؛ من العاطفة القوية إلى الغضب الشديد في عدة لحظات! شعرت وكأنها في ثورة من الغضب، وعلمت أن عليها أن تلحق به.

وصلت إلى الباب المشترك في اللحظة التي كان سيغلقه فيها، ومدّت يدها لتمنعه. قالت بصوت منخفض ومتوتر: «رافاييللو، أنا لا أعرف من هو والد بنجي، هذه هي الحقيقة. وأنا أعلم أن حرمان طفل من والده أمر فظيع جداً، لكن.. أرجوك أعطِ السماح والغفران لكايس».

ازداد وجهه تجهماً وعبوساً.

- كايس؟ أنت قلت الآن إنه لم يكن والد بنجي؟

ابتلعت ماغي غصة وقالت: «صحيح، كايس لم يكن والد بنجي، كايس...».

تردّدت قليلاً، لتقول أخيراً: «كايس هي والدة بنجي».

حدق بها وكأنها أصيبت بالجنون. أجبرت نفسها على المتابعة: «كانت كايس كشقيقة لي. لم يكن للواحدة منا سوى الأخرى في كل هذا العالم. عندما... عندما عاودها السرطان... أصيبت بشيء من الجنون، على ما أعتقد، كانت تعلم أنها ستموت قبل أن تبدأ حتى بالحياة وقالت لي... قالت لي..».

شعرت بطوق من الفولاذ يضيق على عنقها، جعل من الصعب عليها أن تتنفس أو أن تتحدث، لكنها أجبرت نفسها على المتابعة: «... إذا كانت لا

تستطيع أن تحيا، وإذا كانت ستختفي عن هذا الوجود أرادت.. أرادت أن تبرهن أنها كانت موجودة، وأنها وإن كانت لا تستطيع أن تعيش فستترك جزءً منها بعدها. هل كانت مخطئة؟».

أصبح صوتها كالهمس وهي تتابع: «هل كانت مخطئة لمحاولتها الحصول على طفل بأية وسيلة كانت، لتترك شيئاً منها وراءها؟ هل كان بإمكاني أن أقول لها لا؟ كيف يمكنني ذلك وأنا لا أواجه المرض والموت مثلها؟ كل ما استطعت القيام به هو أن أعدها بأن أربي ابنها، وأن أكون الأم التي لم يتسنَّ لها أن تكونها. كانت تعلم أنني لن أتخلى عن بنجي مطلقاً، لأنني أنا نفسي كنت يتيمة. كانت تعلم أنه يمكنها الوثوق بي، لذلك أعطتني إياه... قبل وفاتها».

راحت الدموع تنسكب على خديها بغزارة، ولم تستطع إيقافها بعد هذا الفيض من الذكريات التي كانت تجمعها بصديقتها. وقفت هناك، وهي تضع يدها على الباب، ولم يعد بإمكانها أن تقول المزيد.

بعد ذلك أحاطتها ذراعان قويتان ضمتاها إلى صدر رافاييللو القوي كأنهما تحميانها. انسكبت الدموع أكثر فأكثر وهي تسمع كلمات باللغة الإيطالية تهمس في أذنها. لكن ما شعرت به هو إحساسها بالراحة بسبب صوته العميق المطمئن.

استغرقت فترة طويلة قبل أن تتوقف عن البكاء. في الأشهر الأولى لوفاة كايس، كان بنجي لا يزال صغيراً، ومحروماً، فكانا يبكيان لوحدهما في الليل. لكن مضى على ذلك وقت طويل، وطويل جداً منذ أن بكت. لم يكن لديها يومها أحد ليخفف عنها.

أخيراً لم يعد هناك أي أثر للدموع. أبعد رافاييللو ذراعه عن كتفها، وقادها إلى غرفته، وقال: «اجلسي».

سمعت رقة في صوته لم تسمعها منه من قبل، ساعدها لتجلس على كرسي بجانب المدفأة الفارغة، وربض على الأرض بجانبها ثم أمسك بيديها.

- اغفري لي غضبي وكلامي السيء، لقد تحدثت عن جهل كامل

بالحقيقة.

لوى شفتيه بسخرية وتابع: «... كما فعلت معك في السابق».

ثم توقف للحظة تابع بعدها بصدق: «يمكنني أن أقول شيئاً واحداً فقط، وهو أن بنجي طفل محظوظ جداً لحصوله على هذا الحب الشديد منك».

قالت ماغي وكأنها تصرخ من كل قلبها: «إنه ابني!».

ضغط رافايللو على يديها وقال مؤكداً: «إنه ابنك بالطبع، وحبك له يشع كأنه مشعل في الظلام. لقد أخذته إلى قلبك وسيبقى هناك إلى الأبد».

رفع يديها إلى شفتيه، وشعر بفرح داخلي لا يستطيع وصفه... شيء رائع وواضح جداً. وقف وجذبها نحوه وهو لا يزال ممسكاً بيديها. وتحت تلك الأنوار الخافتة، عانقها...

كان عناقاً ناعماً.. كالحرير.

قال لها بنعومة: «أريدك جداً، هل تبقين معي الليلة؟».

بدت عيناها عميقتين وغامضتين.

- رافايللو، أنا... هناك شيء يجب أن تعرفه...

ابتسم وقال موبخاً: «ألديك المزيد من الأسرار؟ أخبريني بها كلها».

شعرت بخديها يتوردان قليلاً، وقالت: «منذ فترة قصيرة ظننت أنني فتاة مستهترة، وكنت غاضباً جداً..».

هز رأسه وقال: «غضبي كان بسبب اعتقادي بعدم مسؤوليتك بإنجاب طفل لن يستطيع معرفة والده. لكن، نظراً لما قلته.. حسناً..! أنا لست في وضع أستطيع انتقادك فيه إن كان لديك تجارب مثلي».

- نعم، لكن المشكلة هي..

توقفت عن الكلام وهي تشعر بالاحراج. أخفضت رأسها كي لا تنظر إلى عينيه، وتابعت تقول: «أنا... لا تجارب لدي مطلقاً».

سقطت كلماتها في صمت طال بينهما. ثم، ومن دون أية كلمة، أبعدها عنه، وسقطت يداه إلى جانبيه. أما هي فتابعت وهي تشعر بالخجل: «أعلم أنك افترضت أن لدي على الأقل ما يكفي من التجارب حتى أصبح حاملاً،

لكن في الحقيقة ليس لدي أية تجربة، أبداً، مطلقاً».

اختفى صوتها، وتمنت ماغي لو أنها تختفي في صدع في أرض الغرفة.

- أأنت عذراء؟

بدت في صوته نبرة غريبة، لم تعرف معناها. كل ما ارادته هو أن يتسع ذلك الصدع، لكي تنزلق في داخله. من المؤكد أنه يفكر أنها مملة، غير مثيرة، وباردة. كان عليها أن تتذكر أن سندريلا عادت إلى ثيابها البالية عند منتصف الليل. فلا تنتظر أي اهتمام من رجل غني جذاب، ولديه الكثير من التجارب مثل رافايللو دي ڤيسنتي. قالت بتعاسة: «أنا آسفة».

- أنت.. آسفة؟

سمعت تلك النبرة الغريبة في صوته مرة ثانية، فحدقت في الأرض، وأصابعها تلتوي على قماش تنورتها.

فجأة، تقدم رافايللو منها ثانية، وأمسك خديها بأصابعه الطويلة الناعمة، ثم أدار وجهها إلى الأعلى لتنظر إليه. قال برقة: «ألا تعلمين أن هناك أمراً واحداً فقط يمكن للمرء القيام به مع زوجته العذراء؟».

حدقت به وقد حبست أنفاسها. بدا رائعاً تماماً، بعينيه الجميلتين الغامضتين، وشعره الأسود الناعم كالحرير، وفمه المنحوت بدقة..

أخذ رافايللو نفساً قصيراً وتابع يقول: «... أن يغازلها حتى يحصل عليها».

انزلقت أصابعه عن شعرها الناعم، ولامست حدود خدها، وشعرها المتدلي عليه، ثم عانقها.. رفعت ماغي رأسها إليه، كأنها زهرة تتفتح لتشرب من رحيق الآلهة.

شعرت بكلماته تنزل على مسامعها ناعمة، منعشة كرقائق الثلج الذائبة على خد حار. وكأنه لم يعد هناك في هذا العالم سوى شخصين، هي ورافايللو دي ڤيسنتي. كان يمسك وجهها بيديه، وأصابعه تلامسها بنعومة وكأنها أصابع من ريش. لكن تحت تلك النعومة كان الشوق ينمو ويكبر، وكانت ماغي تشعر به وتتجاوب معه من خلال عناقهما. لم تعد تشعر بشيء

حولها إلا ذلك الاحساس الرائع المميز..

قال بصوت منخفض أجش: «أنت جميلة، جميلة جداً».

شعرت بقلبها يطير ويرتفع بسعادة لا تقاوم. شعرت كأنها تذوب، ولم يكن باستطاعتها تصديق ما تسمعه. همست قائلة: «هل أنا.. فعلاً جميلة؟».

- وهل تشكين بذلك؟

وأمسك بيديها شابكاً أصابعه بأصابعها. فكرت ماغي أنها في حلم.. لا بد أنها في حلم. فالحقيقة ليست بهذا الجمال والسحر، ولا يمكن أن تكون كذلك.

٩ ـ أيام لا تنسى

استيقظت ماغي من نوم بدا لها دهراً. ما إن توصلت إلى الوعي حتى بدت كل أفكارها مرتبكة. تساءلت أين هي؟ وأين بنجي؟ لماذا لم يوقظها كما يفعل دائماً؟ جلست برعب في السرير وهي ترمش بعينيها، وأصبحت أكثر ارتباكاً وهي تحدق حولها في غرفة النوم الغريبة عنها. بعدئذ تدفقت الذكريات كلها على رأسها وشعرت في الوقت نفسه بالتعب والارهاق.

صرخت مذعورة: «بنجي!».

وكأنه كان ببساطة منتظراً نداءها.. في تلك اللحظة دخل رافاييللو إلى غرفة نومه عن طريق الباب المشترك وهو يحمل بنجي بين ذراعيه. ابتسم الاثنان لمجرد رؤيتها، وعلى الفور مدّ بنجي ذراعيه إليها. لاحظت ماغي على الفور أن رافاييللو لا يرتدي إلا بنطلون الجينز، وقد سار نحوها ليعطيها بنجي.

- قدمت ماريا له الفطور وبدلت له ثيابه ونظفته.

جالت عيناه عليها وتابع: «بدوت متعبة عزيزتي، فتركتك نائمة».

أحنت ماغي رأسها، وهي تشعر بالحرارة تلون خديها، وشغلت نفسها بعناق بنجي. لكن ما إن إطمأن الطفل إلى وجود أمه حتى ابتعد عنها وبدأ يختبىء تحت غطاء السرير. تمنت ماغي لو أنها تستطيع القيام بذلك أيضاً، فالنظر إلى رافاييللو مباشرة ليس أمراً تستطيع القيام به بجسارة. سألها بنعومة، وقد فهم ردة فعلها: «أتشعرين بالخجل، عزيزتي؟».

بسرعة بدأت أفكار رافاييللو تحاول استرجاع الماضي. حاول أن يتذكر أية لحظات مشابهة مع أية امرأة عرفها من قبل. امرأة تتورد خجلاً وتخفي عينيها

www.liromancia.com

عنه عندما يحييها عند الصباح، فلم يتذكر أية واحدة.

ماغي بعيدة بمليون ميل عن أية امرأة مرت سابقاً في حياته. ليس فقط لأنها كانت عذراء، أو بسبب خجلها. تساءل ما الذي يجعلها مختلفة جداً عنهن؟ إنه أمر لا يستطيع اكتشافه، لكنه سيكتشف ذلك الأمر.

اقترب ليجلس قربها على السرير، فلاحظ وهو يشعر بالتسلية كيف ابتعدت بصورة لا شعورية لتندس تحت غطاء السرير. انحنى إلى الأمام، ثم قال بمرح وعيناه تشعان بالسعادة: «صباح سعيد!».

بدت كأنها لا تعلم ما الذي يريده، فعمل رافاييللو على الفور على توضيح ما يريده. عانقها عناقاً رقيقاً، ثم انسحب. ما إن ابتعد عنها حتى رأى وجهها يحمر خجلاً، وهي لا تزال غير قادرة على النظر في عينيه. ابتسم ما إن رأى نظرة عينيها تتجه نحوه للحظة.

- لا داعي للخجل، عزيزتي.

إنه أمر غير عادي. لقد تحولت من تلك المخلوقة الفقيرة الهزيلة غير المحبوبة، حيث لا يمكن لرجل أن ينظر إليها ولو لمرة واحدة، إلى إنسانة تدير الرؤوس كيفما تنقلت. إحساس غريب تحرك في داخله، ولم يعلم ما هو ذلك الإحساس. طافت عيناه عليها مرة ثانية. كانت ماغي تنظر إليه بخجل وبعدم ثقة، ومع ذلك كان الشوق يشع من عينيها رغم إحراجها. اقترب منها ثانية، فقد بدت جميلة جداً وهي مستلقية على وسائده، مع أنها رفعت غطاء السرير حتى ذقنها.

في تلك اللحظة اندفع رأس من تحت الغطاء، وضرب بمرفقه، وسرعان ما امتدت يد صغيرة وأمسكت بيده. فسقطت يده على الفراش حاملة ثقل جسمه المنحني. اندفع بنجي في ضحك طفولي أشبه بصياح الديك، مسروراً بما فعله وهو يظهر من مخبئه.

جلس رافاييللو وقد ظهرت السخرية على وجهه، لا مجال للبقاء بمفرده مع ماغي هذا الصباح. هذا ما استنتجه! بدأ يفكر بسرعة إن كان يستطيع أن يعيد بنجي إلى ماريا لتعتني به، وبذلك يتمكن من الحصول على ماغي لنفسه.

لكن تبين له أنه لا يستطيع ذلك، فبنجي يريد أن يلعب. إنه يضج بالنشاط والحيوية عند الصباح. زحف الطفل نحو رافاييللو ورمى بنفسه على حضنه ضاحكاً وهو يقوم بحركات ليشجعه. قالت ماغي: «يريدك أن ترقصه على ركبتيك».

أخيراً وجدت صوتها. التكلم عن بنجي هو على الأقل أمر معقول، فهو موضوع آمن، طبيعي، ولا يشبه البتة ما كان يرمي إليه رافاييللو. فذلك أمر لا تستطيع التعامل معه بنجاح.

سألها رافاييللو: «أهكذا؟».

واستدار ليجلس بطريقة مستقيمة، واضعاً قدميه على الأرض ثانية.

شرحت له ماغي بمرح: «نعم، عليك أن تضمه إليك وتلاعبه، وتريه طريقة ركوب الخيل».

راقبته ماغي وهو يكرر اللعبة عدة مرات لبنجي، فكاد قلبها ينفطر في صدرها تأثراً مرة بعد مرة. بدا رافاييللو وسيماً جداً، بجسمه الرشيق الأسمر الذي يخلو من أي أثر للسمنة، وذراعيه القويتين اللتين تمسكان ببنجي بقوة وبعناية، ووجهه ذي الوسامة الواضحة وفمه الضاحك. بدت عيناه السوداوان الجميلتان متجعدتان قليلاً عند الزوايا، وكان شعره الحريري الأسود يتطاير فوق جبهته. راح قلبها يتلوى ويتلوى وهي تراقبهما.

شعرت بنفسها سعيدة جداً، لكن.. ليست سعيدة لدرجة أن تنسى أنها لا تزال تشعر بالخجل المطلق.

الحمد لله أن بنجي موجود هنا! رفعته عن حضن رافاييللو، وقد حرصت بشدة ألا تلمس هذا الرجل. فلو لمسته سيعلم على الفور أنها تشتاق إليه كثيراً.

مرغت أنفها بحب في بنجي وقالت: «هذا يكفي أيها العفريت الصغير. حان الوقت لتنهض».

شعر رافاييللو بالحرج الذي تشعر به فأشفق عليها، ونهض على الفور.

- سآخذ بنجي إلى الطابق الأرضي، وسنكون على الشرفة. تعالي

وانضمي إلينا لتناول الفطور هناك.

حمل بنجي من بين يديها، ولم يشعر بأي حرج لملامستها، وذلك على العكس مما كانت ماغي ستشعر به لو لمسته. شعرت ببشرتها ترتجف حيث مست أصابعه ذراعيها بينما كانت تنقل بنجي إليه. وعندما غادر الغرفة فقط تحررت وخرجت من السرير لتذهب إلى غرفة الحمام.

وقفت هناك وهي ترى انعكاس صورتها على المرآة. وقفت تحدق ملياً وترى كم هي جميلة حقاً! لقد حدث لها ذلك فعلاً، أقرت بذلك بتعجب وانذهال. لقد حدث ذلك فعلاً!

ذلك الإحساس العميق من السعادة سيطر عليها ثانية، وفي أعماقها كان هناك تعجب وألم قويان جعلاها تشعر كأن قلبها يتصدع. أضاءت وجهها ابتسامة بطيئة. فمهما حدث، مهما حدث معها حتى آخر حياتها، ستكون لها هذه اللحظة، هذه اللحظة الرائعة، غير المعقولة، عندما أخذها أجمل رجل في العالم إلى عالمه، وجعلها زوجته.

استحمت وارتدت ثيابها بسرعة، وهي مليئة بقوة هائلة من الشوق لتبقى بصحبته. لم تكن تعلم ما الذي سيجلبه النهار، وما الذي سيحمله المستقبل. كل ما تعلمه أنها الآن تريد فقط أن تكون مع رافاييللو. أن تشعر بحضوره، وأن تشرب من وجوده كأنه شراب من العسل.

كان رافاييللو بانتظارها على الشرفة. ما إن اقتربت منه حتى لمعت عيناه بنظرة تقييمية. أدركت ماغي على الفور أن فستانها الصيفي الأزرق الناعم، الذي اختارته من المجموعة الكبيرة التي تملأ خزانتها، ينساب على جسمها الرشيق مظهراً جمالها ونحافة خصرها. جلست على مقعدها وشغلت نفسها بسكب فنجان القهوة. نظر إليها بنجي نظرة مختصرة وهو يلعب على دراجته وسار مبتعداً عبر الشرفة.

انحنى رافاييللو نحوها، كانت عضلاته المفتولة تلتمع كأنها الفولاذ المصقول في ضوء الصباح المشرق.

- حسناً، عزيزتي! ماذا ترغبين أن تفعلي في هذا اليوم؟

التعابير الواضحة التي ظهرت في عينيه جعلتها تدرك بوضوح ماذا يريد كجواب منها. شعرت باللون الأحمر يصبغ خديها من جديد.

أجابت بارتباك: «آه.. ! أي شيء تريده».

لكنها تابعت بسرعة: «لكن، أليس من المفترض أن تذهب إلى المكتب أو أن تقوم بشيء ما؟».

هز رافاييللو رأسه وأجابها: «أؤكد لك أن لا شيء أكثر إثارة للملل من الذهاب إلى هناك».

وكان ذلك صحيحاً. فمجرد التفكير في الجلوس خلف مكتبه محاولاً تطوير شركة دي ڤيسنتي إلى امبراطورية عالمية، بدا أكثر الأفكار المملة في العالم. لا! عالمه اليوم مركز هنا، مع هذه المرأة الجذابة وغير العادية.

عاد بنجي إليهما كأنه يتسابق في فورميلا وان، وما إن لمحه رافاييللو حتى تجمد في مكانه.

لقد أخذت ماغي على عاتقها تربية ابن امرأة أخرى كأنه ابنها. امرأة على شفير الموت أعطت ثقتها لماغي وأمنتها على ابنها الوحيد.

شعر بشيء ما يعتصر في داخله. وفكر كم يحتاج المرء إلى صفات سامية ليقوم بمثل هذا العمل؟ إنه خيار كلفها الكثير من الناحية المادية. فمن أجل صديقتها المتوفاة تقبلت تربية طفل حديث الولادة، ولا معيل لها إلا ما تؤمنه الدولة. فلا عائلة لديها، وهي بالكاد تملك المال، حتى إنها لا تملك منزلاً خاصاً بها لتتمكن من تربيته فيه. لكنها فعلت ذلك.. جعلت من نفسها امرأة كادحة تعيش في فقر مدقع، لأنها لم ترض أن تدير ظهرها إلى طفل وحيد لا سند له سواها.

اجتاحته عاطفة قوية.. الحمد لله أنه وجدها!

لقد أخذها بعيداً عن ذلك الفقر المدقع، وأحضرها إلى هنا وحررها. كأنها عصفورة كانت محبوسة في قفص، وها هي تطير بأجنحة متنوعة الألوان في دفء الصيف الرائع. امتلأ قلبه بالعطف والتقدير لها، وشعر بشيء ما أكثر من ذلك لم يدرك كنهه.

شعر بيد صغيرة على ركبته جذبت انتباهه. يريد بنجي أن يصعد إلى الطاولة. انحنى وحمله ليضعه على حضنه، متعجباً من عاطفة الطفل الصادقة، واستكانته بثقة على صدره، قبل أن تلفت انتباهه لفائف الخبز على الطاولة.

عمل رافاييللو على إطعامه وهو يضحك، بينما راحت ماغي ترتشف قهوتها.

وبعد قليل، أعلن رافاييللو بصوت حاسم: «سنمضي يوماً آخر على الشاطىء، هذا ما نحتاج إليه كلنا».

* * *

- أتريدين المزيد من القهوة؟

هزت ماغي رأسها رافضة مع أن جزءاً منها أراد أن يقول نعم، لأن ذلك يعني أنها ستتمكن من الجلوس لمزيد من الوقت إلى الطاولة. في الطابق العلوي، كان بنجي نائماً، بعد أن بدا منهكاً من شدة التعب من اللعب بفرح على شاطىء البحر.

كانا لا يزالان على الشرفة، حتى في تلك الساعة المتأخرة، لأن الطقس أصبح أكثر دفئاً، وكانت ماغي تشعر بالفرح من روعة سماء ليل إيطاليا. سُمع صرير المعدن على البلاط، تبعه نهوض رافاييللو ووقوفه على قدميه. استدار من وراء الطاولة ليأتي نحوها ثم مدّ يده إليها وقال بنعومة: «حان وقت النوم».

شعرت بأنفاسها تنحبس في حلقها. فهي تعلم تماماً ما الذي يريده، وهي تعلم بكل ما فيها ومن كل قلبها أن هذا ما تريده أيضاً. أرادت أن تشعر بذراعيه حولها مرة ثانية، وتشعر به بقربها.

تابع وهو ينظر إليها بعينيه السوداوين كالمخمل: «لقد انتظرت طوال النهار. بقيت ساعات لا نهاية لها منتظراً هذه اللحظة، عزيزتي، عندما أمسك بيدك وأشدك إلي هكذا..».

برقة لا تخلو من القوة والإصرار شدها لتقف على قدميها وهو يتابع: «... وأضع ذراعي حولك هكذا..».

ضمتها ذراعاه إلى صدره وتابع: «وأرفع وجهك إلي وأضمّك إلى صدري هكذا..».

وأحنى رأسه وعانقها.

شعرت كأنها في الجنة وهي في منتهى السعادة، رأت النجوم تتحرك بشكل دائري عبر السماء السوداء بينما راح رافاييللو يعانقها كأنها زهرة تتفتح من أجله فقط.

قال مرة ثانية: «تعالي! حان الوقت ليبدأ ليلنا».

فكرت، هل ما يحدث حقيقي؟ فأفكارها في ضباب وجسمها في نار هادئة.

لم يعد هناك مكان للكلام، فلا قيمة للكلام مطلقاً. وهي لا تريد أي شيء أكثر من هذا العالم.

عليها أن تحتفظ بهذه اللحظات، أن تحتفظ بها إلى الأبد، بهذه السعادة العارمة، وبهذا القدر من الفرح الذي تشعر به.

أحبك!

تشكلت الكلمة على شفتيها، واستقرت في قلبها، وشعرت بقوتها وروعتها. لكنها كلمة صامتة... تنفست وهي تتلفظ بها على بشرته، تقولها لنفسها فقط...

أحبك!

وعد صامت.. وهدية ستبقى في طي الكتمان.

- رافاييللو! لا. قد يشاهدنا أحدهم.

قالت ماغي ذلك عندما حملها وصعد بها الدرج.

- من؟ لا أحد هنا فالخدم كلهم نيام.

ثم ابتسم ابتسامة ماكرة أظهرت أسنانه البيضاء، قال: «لا أحد، عزيزتي.. لا أحد لينقذك مني».

دار بها دورة كاملة قبل أن يدخلا معاً إلى غرفته.

ببطء وهدوء وضعها على السرير، وقال بصوت كالصدى: «لا أحد

www.elromancia.com

سينقذك مني».

نظرت ماغي مباشرة في عينيه، وقالت هامسة: «لا أريد أن ينقذني أحد».

- عزيزتي، هذه هي الكلمات التي أردت سماعها.

وبيطء شديد عانقها وحملها معه إلى عالم سحري أشبه بالجنة.

في صباح اليوم التالي، استيقظت لتكتشف أن رافاييللو قد استيقظ قبلها وأخذ بنجي إلى ماريا. لكن اليوم، بدلاً من أن يعيده إلى ماغي عاد بمفرده، ليخبرها أن ماريا أخذت بنجي ليلعب مع أولاد أختها الصغار، وأنه سيكون سعيداً ولن يفتقدها للحظة.

فكرت ماغي أن هذا الأمر يناسبها تماماً، فالآن لا وقت لديها، لا وقت على الإطلاق لأي كان إلا لرافاييللو.

أما رافاييللو فأبقى ماغي له بالكامل وقد أمضى معظم الصباح وإياها في حب لا ينتهي. إلى أن قرر أخيراً، أنه حان وقت النهوض لاستقبال يوم جديد.

وبعد نزهة رائعة إلى أبعد نقطة مأهولة استطاع رافاييللو إيجادها، أدركت وهي تشعر بالسعادة تماماً ما الذي يفكر فيه. فهو يريد أن يعيشا كآدم وحواء في الجنة. وهي تحبه وتعلم أن لا مجال للحب بشكل مختلف، وأنها ضعيفة جداً أمام قوته. ومع أن روعة حبه لامست أعماق أعماقها إلا أنها كانت تعلم أن هذه الحياة ليست لها.

ربما يتسنى لها أن تحيا بسعادة اليوم وغداً، لكن مهما كان الوقت الذي ستمضيه برفقة أجمل رجل في العالم، فإنه لن يستمر إلى الأبد. ومع أنها لا تعلم لماذا قرر تغيير تصرفاته نحوها، ربما ذلك بسبب الفضول، أو الرغبة، أو أنها نزوة أراد تحقيقها. لكنها تعلم أن الأمر لن يدوم، وأن كل ما يحدث معها هو مجرد حلم خارج الزمان.

إنها مجرد دعوة قصيرة زائلة للسعادة التي ستحترق مثل شعلة من نار قبل أن تطفىء نفسها.

لكنها مع ذلك غير مبالية. فالنهاية آتية لا محالة، وهي سوف تستيقظ ذات يوم على عناقه الأخير...

شعرت به يقترب منها تظلله شجرة الكستناء. فاستدارت نحوه وحدقت به، يائسة من شدة حبها له. تمنت لو أنه لا يرى ذلك الحب. وتمنت ألا يكون واضحاً في عينيها. بكسل نزع رافاييللو ورقة عشب طويلة ومررها على جانب خدها، الإحساس بالوخز الناعم على وجهها جعلها تبتسم.

سألها بنعومة وهو يبادلها ابتسامتها: «لِمَ تبتسمين؟».

قالت له ببساطة: «لأنني سعيدة».

أصبحت ابتسامته أكثر عمقاً وقال وهو يعانقها بنعومة: «وأنا أيضاً، عزيزتي، سعيد جداً».

وللحظة طويلة نظرا إلى بعضهما البعض، إلى أعماق عيونهما. ففي النهاية لقد تشاركا في أجمل اللحظات الحميمة معاً، والرحلة التي قاما بها معاً إلى آفاق العاطفة والشوق بدت رائعة تماماً. أدركت ماغي في تلك اللحظة أن ما بينهما الآن هو أعمق من كل ما حدث سابقاً. وبينما كانت تنظر إلى عينيه ورافاييللو يبادلها النظرات، شعرت برباط حي ينمو بينهما، رباط ينتمي إلى روحيهما وليس إلى جسديهما فقط.

وكأن عاطفة جديدة غير معروفة لديها بدأت تزهر وتتفتح في أعماقها، عاطفة لم تجرؤ أن تصفها، ولم تجرؤ أن تعطيها اسماً، عندما رأت قناعاً يخفي عينيه. ورأته ينسحب بعيداً عنها.

كان ذلك مجرد أمل، سرعان ما رحل بعيداً...

* * *

في اليوم التالي، أخذا بنجي معهما في نزهة في الهواء الطلق، وما إن عادوا إلى الڤيلا مع مغيب الشمس، أعطى بنجي إلى ماريا التي أسرعت بترك عملها عند وصولهم. وضعت يدها على يد ماغي وقالت ببساطة: «اذهبي!».

وسارت برفقتها نحو الدرج.

لم تستطع ماغي النظر إلى وجه ماريا، وبالكاد تمكنت من التربيت على

رأس بنجي طالبة منه أن يكون ولداً صالحاً.

أكدت لها ماريا: «إنه دائماً رائع، سنيورا».

صعدت ماغي الدرج بسرعة، شعرت أن سعادة ماريا ليست فقط بسبب تصرفات بنجي، ولكن بسببهما أيضاً. فمنذ أن حوّلها رافاييللو من بجعة بشعة إلى امرأة حقيقية، أصبحت مدبرة المنزل تشع بالرضى عليهما معاً. بحيث راحت تهتم برافاييللو، فتقدم له الكثير من الطعام، ومع كل ذلك لم يؤثر ذلك الطعام على رشاقته. هذا ما فكرت به ماغي، وهي تنظر باهتمام واضح إلى جسمه الأسمر القوي وهو ينزع قميصه عن كتفيه. أما بالنسبة إليها. فكانت ماريا تشرق من الفرح كلما نظرت إليها، لم تقل لها شيئاً، لكن عينيها قالتا الكثير.

ماغي تعرف السبب؛ ماريا تعتقد أن هناك شيئاً ما حقيقياً يحدث بينهما. وأن ذلك الزواج الغريب والمؤقت أصبح حقيقياً.

لكن الأمر ليس صحيحاً، وهي تعلم ذلك. تعلم ذلك في أعماق قلبها وفكرها وروحها. وفكرت ماغي أنه بالطبع ليس مفتوناً بها، لكنه متمسك بالسعادة التي غمرته من تحويلها إلى فتاة فائقة الجمال، أو على الأقل إلى عصفورة صغيرة ذات جناحين وتعليمها الطيران.

ضمها إليه واضعاً ذراعيه حولها، فأراحت رأسها على صدره. راحت أصابعه تتحرك ببطء على شعرها. لم يقولا شيئاً، لكن في ذلك الصمت وجدت ماغي سلاماً لم تعرفه من قبل.

في تلك الأمسية أخذها رافاييللو لتناول العشاء خارج الفيلا، بعد أن نام بنجي.

تناولا العشاء في مطعم أنيق رائع يشرف على الوادي. جلست ماغي هناك وهي تشعر كأنها أميرة بفستانها الحريري الأزرق اللون والعقد الماسي الذي يزين عنقها. لكن رافاييللو هو من جعلها تشعر أنها أميرة، وليس الثوب الأنيق المميز التصميم ولا العقد الذي لا يقدر بثمن. بل رافاييللو، الرجل الذي تحب. لكنها تعرف أن الأميرات يعشن فقط في القصص

الخيالية، لا في الحياة الواقعية.

ومع أنها لم تعد تلك الفتاة البشعة التي كانتها، إلا أنها لا تزال سندريلا، وعقارب الساعة كانت تتجه نحو منتصف الليل...

لم تكن تعلم متى ستدق ساعة منتصف الليل. لم تكن تعلم إلى متى سيبقى رافاييللو مفتوناً بها، ومنشغلاً بلعبته السحرية غير المتوقعة التي حولت خادمة كئيبة إلى امرأة تستحق اهتمامه وتستحقه.

تعلم أنه لن يكون أبداً قاسياً معها، ولن يبعدها عنه بوحشية. لكنها تدرك وبإحساس عميق ومخيف، أن جرس الهاتف سيرن يوماً ما، أو سيصله بريد الكتروني، أو أن والده سيعود، أو أنه ببساطة سيتذكر أن حياته الواقعية لا علاقة لها مطلقاً بالمرأة التي تزوجها ليتمكن من السيطرة على الشركة التي هدد والده ببيعها رغماً عنه.

وعندما يحدث ذلك ستحزم حقائبها، وتحمل بنجي، وترحل. سوف تلقي نظرة أخيرة طويلة على الرجل الذي يحمل قلبها بين يديه، هدية لم يطلبها يوماً، ولم يعرف أبداً أنه يملكها، وستعود إلى حياتها السابقة، ولا شيء معها غير الذكريات. تلك الذكريات التي تمثل كل واحدة منها جوهرة غالية، لا تقدر بثمن... ستحتفظ بها طوال حياتها...

- ما الأمر؟

اخترق صوته الخفيض أفكارها، فأجبرت نفسها على الابتسام، ورفعت كوبها لتشرب وهي تقول: «لا شيء، أشعر بالشفقة على الناس في بريطانيا. رأيت عناوين جريدة إنكليزية كُتب فيها أن شهر حزيران هو الأكثر مطراً منذ سنين».

أجابها وهو يبتسم: «لا تفكري بأيام الصيف الرطبة في بريطانيا، فقط فكري بأيام توسكانا الرائعة».

وضعت كوبها جانباً، وقالت: «سأتذكر هذا الصيف طوال عمري، شكراً لك، رافاييللو. أشكرك من أعماق قلبي».

التقت عيناها بعينيه، وسكبت من تعابيرها كل الامتنان نحوه لأنه منحها

هذه القصة الخيالية السحرية لتعيشها لفترة قصيرة.

لمع شيء ما في عينيه. لم تستطع تحديده. أحنى رأسه قليلاً بطريقة رسمية جداً. ثم قال: «لقد أسعدني ذلك، عزيزتي. وما زال يسعدني».

مدَّ يده عبر الطاولة وأمسك بيدها، ثم رفعها إلى فمه. بدت قبلته ناعمة، ونظرة عينيه أكثر نعومة.

كاد قلب ماغي يتوقف عن الخفقان. وللحظة، توقف كلياً عن الحركة. وبينما كانت تحدق إليه بصمت حدث ذلك ثانية؛ غطى ملامح وجهه قناع غامض، ثم ترك يدها.

قال رافاييللو: «غداً، سآخذك إلى فيرنزي».

وبينما عادت ماغي تتابع تناول طعامها، شعرت بضغط ثقيل على قلبها.

بدت لها فلورنسا رائعة، فالعصور الوسطى في إيطاليا تميزت بالعمران والنحت والرسومات الزيتية والمدينة غنية جداً بكنوز من الفن والهندسة جعلت ماغي تصاب بالدوار.

مع ذلك كانت تشعر بالحزن؛ أو ربما شيء ما جعلها تشعر هكذا، وجدت نفسها تشتاق إلى ذلك اليوم الرائع في لوكا، عندما لوح رافاييللو بمروحته السحرية فوقها وظهرت له للمرة الأولى، في أجمل وقت في حياتها كلها، كامرأة تثير اهتمامه.

فعلت كل ما في وسعها لتخفي حزنها الداخلي. ليس لأنه لا يحق لها أن تجعله يشعر بعدم الارتياح بسببها بأية طريقة كانت، فهو لم يطلب منها أن تقع في غرامه، ولم يرغب بذلك مطلقاً. بل ببساطة، لأنها ستخسر يوماً من تلك الأيام الغالية والذهبية برفقته.

لذلك راحت تبتسم وتُشبع عينيها منه، وتشعر بالفرح الغامر بقربه، عندما يلف ذراعه حول كتفيها، وعندما يمسك بيدها وهما ينظران إلى جمال التحف التي تعود إلى العصور الوسطى. أبعدت إلى أعماق أعماقها ذلك الإحساس الكئيب الذي تخشاه.

كانا يشربان القهوة في أحد المقاهي. راحت ماغي تراقب الناس يسيرون

أمامهما باهتمام عادي، لكنها كانت تراقب باهتمام أكبر عضلات ذراعي رافاييللو المفتولة بقوة ورشاقة، بينما كانت يده تغطي يدها بحرارة. وفجأة، اقترب أحدهم منهما.

- رافاييللو! مرحباً!

تبع ذلك فيض من الكلام باللغة الإيطالية، ورأت ماغي أن المرأة الأنيقة التي حيّت رافاييللو هي لوسيا. كان برفقتها شاب أنيق شعره أشعث وشفتاه كبيرتان.

رد رافاييللو التحية باحترام، وسرعان ما حولت لوسيا اهتمامها إلى ماغي.

- إذاً، ها أنت تستمتعين بتوسكانا حتى النهاية!

بدا صوتها فرحاً، فهزت ماغي رأسها وردت عليها بالكلام المناسب.

مالت لوسيا برأسها قليلاً باتجاه رافاييللو وتابعت: «وأظنك.. تتمتعين أيضاً بكل ما يقدمه لك ذلك التوسكاني... هل أنا مخطئة؟».

هذه المرة كان هناك معنى آخر واضح لكلماتها. وجدت ماغي نفسها تسحب يدها من تحت يد رافاييللو، وبالكاد تمكنت أن تبتسم ابتسامة خفيفة، وكأنها لم تفهم ما تقصده لوسيا بوضوح. رفعت المرأة كتفيها ببساطة.

- حسناً! استمتعي بما تشائين طالما يمكنك ذلك. والآن، اعذراني. كارلو عديم الصبر لأنه يريد أن يريني آخر عمل رائع له.

وضعت يدها تحت ذراع الشاب بتملك، ولوحت لهما بحركة أنيقة وغادرت.

جاء صوت رافاييللو خشناً مثيراً للأعصاب وهو يقول: «يا إلهي! لا أصدق أنها اعتقدت أنني قد أتزوج بها»

ثم نظر بازدراء إلى الرجل الذي يسير بجانب ابنة عمه.

وافقته ماغي: «لا يبدو أنها تذوي لأجلك».

كانت لوسيا تتكىء على حبيبها الآن، لتوضح للجميع موقعه بالنسبة إليها.

www.elromancia.com

فجأة، رفع رافاييللو نظره إليها، وسألها: «وأنت عزيزتي، هل تذوبين لأجلي؟»

أتى السؤال فجأة من دون أية مقدمات... فشعرت ماغي كأنها تتجمد.

أخفضت رأسها، غير قادرة على النظر إلى عيني رافاييللو.

- لا أعتقد أنك تريدني أن أشتاق إليك، أليس كذلك؟

قدمت إجابتها بصوت منخفض، لكنها حاولت جاهدة ألا تُظهر أية عاطفة في صوتها. ما إن انهت كلامها حتى رفعت عينيها ثانية محافظة على تعابير وجهها الهادئة.

بقي رافاييللو صامتاً للحظة، وفي تلك اللحظة نظر إلى عينيها، لكنها لم تستطع أن تقرأ أية تعابير على وجهه. كانت لا تزال تشعر وكأنها مجمدة مكانها بعد برهة، حين هز رأسه وقال: «لا! لا أريدك أن تشتاقي إلي».

بدت في صوته نبرة غريبة لم تفهمها. بدت لها كأنها إنذار. أبعدت نظراتها عنه، باتجاه المعبد الذي يعود تاريخه إلى القرون الوسطى والذي يقع في الجهة البعيدة للمقهى. كم من حالات الفرح والحزن مرت على هذه الحجارة، وما أنا إلا مجرد حالة واحدة من تلك الحالات!

كان على هذه الفكرة أن تجلب لها العزاء والراحة، لكنها لم تفعل...

ما إن استيقظت في صباح اليوم التالي حتى أدركت أن هناك أمراً ما قد حدث. كان رافاييللو واقفاً بجانب النافذة، وهو ينظر إلى الخارج، إلى الحدائق الجميلة للڤيلا، وهي تتموج تحت أشعة الشمس الصباحية. كان يدير ظهره إليها ويرتدي بذلة العمل ذاتها التي كان يرتديها في اليوم الذي تزوجا فيه، وقد بدا غامضاً ومنفراً.

ما إن سمعها تتحرك حتى استدار. كان جسمه مرسوماً من خلال ضوء النهار في الخارج، فشعرت أن الوقت هو أبكر من الوقت الذي يستيقظان فيه عادة.

جاء صوته متسائلاً: «ماغي؟».

وعندما أدرك أنها استيقظت، سار نحو السرير. بدا لها أطول، وأكثر قساوة وهو ينظر إليها، وقد حلق ذقنه وصفف شعره بطريقة عملية.

- يجب أن أذهب إلى روما. مجلس الإدارة سيجتمع اليوم، ويجب أن أكون حاضراً.

بدا صوته حازماً وعملياً. بدا رافاييللو الذي تعرفه والذي أحبته بعمق بعيداً عن هذا الرجل الذي تراه الآن ملايين الأميال. فالرجل الذي يقف أمامها هو ذلك الذي دفع لها المال كي تتزوجه، والذي استأجرها لتقوم بعمل لم يجد سواها لتقوم به. ارتجف شيء ما في داخلها. آه! قد يكون رافاييللو الذي جعل منها أميرة في قصة خيالية ما زال موجوداً، لكن ليس اليوم، وليس هذا الصباح. فرافاييللو الحقيقي وضع ذلك الرجل جانباً؛ لقد حان الوقت ليعود إلى حياته الحقيقية.

سمعت نفسها تقول بارتباك: «آه! بالطبع».

رفعت جسمها لتتكيء بقلق على مرفقها، وأبقت غطاء السرير حولها.

استمر في النظر إليها، وقد بدا رائعاً وهو يقف هناك، بدا كرجل الأعمال القوي والثري، غريباً وبعيداً، تماماً كما كان عندما وقعت عيناها عليه للمرة الأولى، وهي تنظف غرفة الحمام في منزله.

تجهم وجهه وهو يدير الزر الذهبي في طوق كمه الأيسر. قال على نحو مفاجيء: «عندما أعود، علينا أن نتكلم. هل تفهمين ذلك عزيزتي؟».

هزت ماغي رأسها، وقد شعرت بغصة تتشكل في حلقها. غصة قاسية تكاد تخنقها، كأنها حجر لا تستطيع ابتلاعه.

- نعم...

ظهر الضيق على وجهه وتابع: «لقد عشنا في حلم، طوال الأيام الماضية».

تضخم الحجر في حلقها، وقالت: «نعم...».

حاولت أن تخفي تعابير وجهها كي لا يرى كم تبدو مرتعبة. وقف ينظر إليها، والقلق بادٍ على وجهه. ظهرت رقة مفاجئة في عينيه، وللحظة عاد رافاييللو الرائع ثانية، الرجل الذي أخذها إلى عالم الأحلام، وحملها بين ذراعيه...

- سأهتم بك عزيزتي، كوني متأكدة من ذلك.

ثم نظر إلى ساعته، وأطلق زفرة غاضبة.

- عليَّ أن أذهب الآن.

انحنى بسرعة واضعاً ذراعه على الحائط وعانقها عناقاً أخيراً سريعاً..

ورحل.

١٠ ـ العودة إلى الجنة

كانت ماغي قرب بركة السباحة مع بنجي، وهي تشعر بثقل في قلبها. لم يكن بإمكان رافاييللو أن يجعل الأمر أكثر وضوحاً مما فعل. فذلك الوقت الذهبي الساحر قد انتهى. كانت تسمع صدى كلماته مراراً وتكراراً في رأسها: «عندما أعود سنتحدث».

إنها ليست بحاجة إلى قدرة على رؤية المستقبل لتعلم عما يريد أن يتحدث. حياة رافاييللو الحقيقية طالبت باسترداده، حياته الحقيقية التي تجعل منه رجل أعمال قوياً مسيطراً، يقوم بأشياء مهمة بعيدة جداً عن العبث مع امرأة لم يرغب أبداً بها منذ البداية.

كانت تعلم أن هذا ما سيحدث في نهاية الأمر. لكن على الرغم من معرفتها بأن حياتها المليئة بالسعادة ما هي إلا فترة مؤقتة، فإن ذلك لم يجعل خسارتها الوشيكة محتملة. إحساسها بالظلم والاضطهاد تضاعف، ولفها كأنه قيد من الحديد.

طرقات قوية لحذاء نسائي على الممر الحجري تقترب من البركة جعلتها تدير رأسها. تجمدت نظرتها ما إن رأت لوسيا تقترب منها. ما الذي تفعله هنا؟ كل حدس لدى ماغي أخبرها أن وجود هذه المرأة لا يحمل أنباء سارة.

- ماغي، لدي أخبار سيئة!

جاء صوت المرأة الأخرى متقطعاً. وشعرت ماغي بشعر رقبتها الخلفية يقف. بعد مرور لحظة أخرى، أدركت أن لوسيا لا تتحدث معها بشكل عدائي، لكن بدا وجهها جامداً من الصدمة.

- تعرض أنريكو لأزمة قلبية!

www.elromancia.com

أطلقت ماغي شهقة، ثم وقفت على الفور عن الكرسي الطويل، ووضعت بنجي على قدميه.

تابعت المرأة الأخرى حديثها الجارف: «نقلوه إلى المستشفى، ورافاييللو الآن معه. لا أحد يعلم إن كان سينجو..».

توقفت عن الكلام وكأنها تختنق.

وقفت ماغي مكانها، لا تعرف ما الذي تقوله. فكرت، آه! المسكين المسكين رافاييللو، أي عذاب يمر به...

سمعت نفسها تقول بهمس: «إني آسفة جداً».

أخذت نفساً، وهي تشعر بيأس كبير ثم تابعت تقول: «هل هناك أي شيء... أي شيء أستطيع القيام به؟»

نظرت لوسيا إليها، ثم هزت رأسها قائلة: «من الصعب علي قول ذلك...»

توقفت عن الكلام للحظة، ثم تابعت: «أنا لا أقول هذا بسبب خصومتي معك، عليك أن تفهمي ذلك، لكن..».

توقفت للمرة الثانية، ثم تابعت: «أفضل شيء تقومين به الآن هو أن ترحلي».

للحظة، فكرت ماغي أنها تقصد الذهاب إلى روما، إلى رافاييللو. وفجأة شعرت كأن سكيناً انغرز في قلبها، حين أدركت أن ليس هذا ما تقصده ابنة عم رافاييللو.

بدت تعابير وجه لوسيا مليئة بالارتباك، وبدا لها أن ما ستقوله ليس مريحاً.

- أنريكو بحاجة إلى رافاييللو، ورافاييللو بحاجة إلى أنريكو. لقد اعتقدت مرة..».

ترددت قليلاً ثم تابعت: «اعتقدت مرة أن الوسيلة الوحيدة لجمعهما معاً هي زواجي برافاييللو، لكنني كنت مخطئة. فرافاييللو رأى ذلك مخططاً من والده للسيطرة عليه، وهو لا يسمح لأحد بذلك. وأنت من بين كل الناس،

تعلمين الحدود الذي وصل إليها لكي يتملص من هذه السيطرة. لكن الآن، أنريكو قد يموت. ويجب أن يحصل على السلام مع ابنه، كذلك الأمر بالنسبة لرافاييللو».

نظرت إلى عيني ماغي وتابعت: «لا يمكنهما الحصول على السلام إذا كنت لا تزالين هنا. لا بد أنك تعلمين ذلك».

شعرت ماغي بذلك السكين يمزق قلبها أكثر فأكثر، لكن رغم الألم سمعت المنطق الذي لا مفر منه والذي كانت تتفوه به لوسيا.

- يجب أن أتمكن من إخبار أنريكو، هذا إذا كان ما زال حياً، أنك قد رحلت. عندها سيتمكن من مسامحة ابنه والحصول على السلام معه.

أصبح الألم قوياً لدرجة أن ماغي لم تعرف كيف كانت تتحمله. وكأنما بدا ذلك واضحاً على وجهها، فعندما تحدثت لوسيا ثانية جاء صوتها أكثر لطفاً ورقة.

- أعلم أن الأمر صعب عليك، فلقد أغرمت بابن عمي. لا! لا تنكري ذلك. بدا واضحاً منذ البداية أن هذا ما سيحصل معك. فكيف يمكنك ألاّ تقعي في غرامه؟ بالنسبة إليك رافاييللو هو أمير قادم من قصص الأحلام. لكن، مع ذلك لن تشكريني على ما سأقوله لك، ما كان عليه أن يبدلك كما فعل!

تنهدت وتابعت: «آه! رافاييللو لا يفهم هذه الأمور، ولم يفعل ذلك يوماً. لا يقصد أن يكون قاسياً، لكن كل ما في الأمر أنه لا يرى أن ذلك يحدث فعلاً».

رفعت كتفيها ببساطة. «لهذا السبب اعتقدت أن زواجنا قد ينجح، فأنا أعرفه جيداً ولا يمكن أن أغرم به، ولذلك ليس بإمكانه أن يسبب لي الألم والأذى».

نظرت إلى ماغي وعيناها السوداوان تحملان تعاطفاً وهي تقول: «أنت لا تعتقدين أن ما جرى بينكما يعني أي شيء له، أليس كذلك؟ لا تعتقدين أيضاً أنه سيستمر؟».

راح الألم يمزق أوصال ماغي. حاولت السيطرة عليه، راغبة بيأس أن تنكر ما تقوله لوسيا على رغم التأكيد الذي تجده في قلبها.

- لا أستطيع الذهاب هكذا، من دون أن يقول رافاييللو لي ذلك. ربما هو لا يريدني أن أذهب بعد.

حتى بعد أن تكلمت، كانت تعلم أنها تخدع نفسها. فرافاييللو ليس مهتماً بها الآن، إنه يهتم فقط بوالده.

أخرجت لوسيا شيئاً من حقيبة يدها، شيء أصفر اللون راح يرفرف بينما كانت تقدمه إلى ماغي.

- طلب مني أن أعطيك هذا.

بدا صوتها متوتراً ولم تستطع أن تنظر إلى عيني ماغي. وما إن أخذت ماغي الورقة من يدها ونظرت إليها حتى علمت السبب.

كانت تلك الورقة شيكاً، وهو محرر باسمها بقيمة عشرة آلاف يورو. وبينما كانت تحدق فيها، راح قلبها ينسحق وكأنه يُشد بملزمة تعتصر الدماء من كل خلية فيه. توقيع رافاييللو الأسود القوي كان يرتعش أمام عينيها.

عادت لوسيا تتحدث ثانية.

أجبرت ماغي نفسها على الإصغاء، مع أنها في داخلها لم تكن تسمع سوى الصمت المرعب الذي يدور ويدور بلا نهاية.

ترددت المرأة ثانية، كأنها تدرك ما الذي تمر به ماغي، ثم قالت: «قال رافاييللو إنه سيتصل بك في ما بعد، ليتمكن من تصفية الأمور. لكن الآن واجبه الأول أن يكون بالقرب من والده، وهو يتمنى أن تتفهمي ذلك».

غاب صوتها قليلاً، قبل أن تكمل: «أنا آسفة، عزيزتي. كما ترين، لم يدرك ما الذي تشعرين به نحوه. بالنسبة إليه هذا الزواج كان دائماً مجرد معاملة تجارية».

لم تستطع ماغي أن تقول شيئاً، لا شيء سوى الموافقة المهزومة الكئيبة. فالانسحاق الذي تشعر به في قلبها كان مريراً جداً.

ثم قالت لوسيا شيئاً ما وهي تنظر إلى ساعتها.

- اعذريني، لم أقصد أن أسبب لك المزيد من الازعاج، لكنني بالكاد توقفت هنا في طريقي إلى المطار. فأنا سأستقل الطائرة التالية إلى روما لأكون بقرب عمي أنريكو إذا... إذا كان لا يزال حياً.

ظهر قلق في صوتها لم تستطع ماغي تجاهله: «إذا كنت لا تحتاجين إلى وقت طويل لتوضيب حقائبك، فأستطيع أن أصطحبك معي إلى المطار. طلب مني رافاييللو أن أشتري لك بطاقة السفر».

نظرت بإشفاق إلى ماغي، وهي لا تزال واقفة في مكانها، وبنجي بجانبها يحدق بهما من دون أن يفهم شيئاً، وهو ممسك بساق أمه.

بدا صوتها متعاطفاً تماماً كملامح وجهها وهي تقول: «من الأفضل ألاّ تتأخري».

بقدمين كالرصاص، جمعت ماغي حاجياتها وسارت خارج الڤيلا.

* * *

كان المطر ينهمر ويطرق على السطح الرقيق للبيت المتنقل القائم على عجلات، ثم ينساب على زجاج النوافذ. أما بنجي فكان ينتحب بتوتر على ركبتي ماغي.

- أعلم يا حبيبي أن هذا شيء كريه... هذا المطر كله. ربما غداً سيكون الطقس مشمساً.

هبت عاصفة قوية هزت أركان البيت. إنه بيت قديم مهمل، ولا أحد يرغب باستئجار منزل بالٍ بقرب الشاطىء. لكن هذا ما جعله رخيصاً أيضاً، رخيصاً بما فيه الكفاية لتستأجره ماغي لمدة شهر في فصل الصيف. وهو رخيص بما فيه الكفاية لتشتريه.

الشاطىء بجانب البحر الجنوبي هو المكان الأفضل لتربية بنجي. إذ ليس لديها أي شيء في لندن، فقد خسرت مكان إقامتها كما خسرت عملها أيضاً.

«ليس لي أي شيء في أي مكان».

بغضب دفعت تلك الفكرة اليائسة جانباً. فهذا ليس صحيحاً، فما زال لديها بنجي.

مررت أصابعها في شعره وفتحت صندوق الألعاب ثم أخرجت لوحة القطع المركبة. أخرجت القطع، وهي ترفض أن تسمح للذكريات بأن تعود إليها.

لكنها أتت كلها، مجتمعة، وكان من المستحيل عليها أن تبعدها وتتخلص منها.

رافاييللو الوسيم الذي من المستحيل ألاّ تغرم به. رافاييللو يضمها بين ذراعيه، يبتسم لها، يضحك معها، يعانقها ويحبها.

لم يكن ذلك حباً. كانت تلك مجرد علاقة بالنسبة إليه، علاقة عابرة. كانت تعلم منذ البداية أنها ستنتهي.

تدافع المزيد من الذكريات إلى ذهنها، مع أنها حاولت بقوة أن تبقيها بعيدة. لكنها تسارعت وراحت تمزقها كالسكاكين.

راودتها ذكرى أخيرة، في آخر مرة وقعت عيناها عليه. يومها وقف هناك، ينظر إليها وقد بدا الحزن على وجهه، وقال: «سأهتم بك».

حسناً! لقد فعل. لقد اهتم بها فعلاً. تأكد من أنها عادت إلى بلادها مع ما أتت لأجله، المال.

من أجل ذلك تزوجت به. من أجل المال. مال من أجل إيجاد منزل لبنجي، لا من أجل الحب...

لم ترد أن تقبض مال الشيك، قاومت ذلك لمدة أسبوعين، حيث عاشت على المال الذي حصلت عليه من شركة الطيران في مطار بيزا بعد استبدال بطاقة سفر نوسيا مقابل بطاقة أرخص. كما أنها طارت إلى مطار غاتويك لا إلى مطار هيثرو، ثم استقلت القطار إلى الساحل الجنوبي، حيث وجدت مخيماً للبيوت المتنقلة.

لكنها الآن تحتاج إلى أموال رافاييللو لشراء هذا البيت المتنقل دفعة واحدة، لتجد منزلاً لها ولبنجي. وسيبقى لديها القليل من المال ليكفيهما لفترة ما. أمّا ما تبقى من المال الذي وعدها به رافاييللو، فهي تعلم أنها لن تحصل عليه.

تماماً كما لم تكن قادرة على أخذ الثياب التي اشتراها لها، ولا حتى عقد الذهب الذي قدمه لها. كما أن تلك الثياب لا تتناسب مع أسلوب حياتها الآن.

ابتسمت، مع أنه من المؤلم أن تفعل ذلك... على الأقل لديها ذكريات سوف تحتفظ بها طوال حياتها.

* * *

بدا الشاطىء مرصوفاً بالحصى، وراحت المياه تحرك تلك الحصى بعنف محدثة ضجيجاً صاخباً. ريض بنجي على الأرض، والتقط الحجارة الرطبة. كان يتنعل جزمة وجسمه الصغير مكسو بسترة مقاومة للماء. راح المطر ينهمر من جهة الغرب، حاملاً معه البرد.

حدقت ماغي عبر القناة الإنكليزية بنظرتها الحزينة الكئيبة. بعيداً في البحر رأت ناقلة بترول تسير ببطء في طريقها إلى الشرق. لم يكن هناك أي قوارب شراعية، لم يكن هناك أحد على الشاطىء. جازفت بالخروج لأنها لم تعد تستطيع البقاء في الداخل. كان بنجي سريع الغضب، رافضاً أن يتسلى بأي شيء. وهي أيضاً قلقة، تشعر بألم في قلبها وبقشعريرة تهز عظامها. يوماً بعد يوم كانت الحقيقة تتعمق في داخلها؛ لقد خرج رافاييللو نهائياً من حياتها.. خرج إلى الأبد.. رحل بصورة مفاجئة كما أتى.

بحزم حاولت أن تجمع شتات نفسها. لا يحق لها أن تستغرق في الكآبة هكذا. فهي سعيدة مع بنجي، ولديها صمتها، قوتها، ومنزل خاص بها. وهذا سيكون مكاناً ملائماً لتربية بنجي، هواء نقي، والبحر عند عتبة بابها.

هنا، على الأقل، يمكنها أن تقف تحت المطر ومع هبوب الريح عبر القناة تحدق بالجنوب، باتجاه إيطاليا، مع شوق يائس في قلبها لن يشفى أبداً..

أصبح خداها رطبين، لكن ليس بسبب المطر...

التقط بنجي حجراً آخر، ورماه بكل ما لديه من قوة في البحر. سقط الحجر في البحر محدثاً صوتاً ناعماً لكنه لم يسمع بوضوح بسبب صوت الأمواج القوي. بعد ذلك، شعر بالملل واستدار ليسير مبتعداً. تبعته ماغي،

www.elromancia.com

وهي تشد معطفها حولها، مواجهة المطر الذي لا نهاية له. تساقطت حبات المطر على وجهها، بينما دفعت إلى الوراء شعرها الذي تتلاعب به الرياح. أدارت رقبتها لتتمكن من ربطه بعقدة كان قد انسل منها... وقفت جامدة، وحدقت... على الرصيف المليء بالحصى، وفوق المد العالي، وقف شخص ما، هادئاً دون حراك.

رمشت بعينيها، فقد مسها شيء ما.

مدّت يدها إلى يد بنجي من دون أن ترى، لتوقفه. استمرت في التحديق باتجاه اليابسة. الشخص على رأس الشاطىء بدأ بالسير نحوها. عاصفة من الريح ضربتها بينما كانت تمسك يد بنجي كي لا يقع. وتابعت التحديق...

راح الوقت يمر ببطء شديد، وبدا لها أن المطر توقف في وسط السماء. كذلك الرياح قد هدأت.

ساد الصمت المطبق حولها. شعرت بأصابع بنجي تضغط على أصابعها. شعرت به يشدها إليه. لم تكن قادرة على السير، فقد أصبحت قدماها من رصاص وهي لا تستطيع أن تتحرك.

لا تستطيع أن تتنفس، فالهواء قاسٍ جداً في صدرها. بقي الشخص يسير باتجاهها...

وظهر وجهه أمامها، من خلال المطر ومن خلال غشاوة بصرها... لم تستطع أن تتحرك... لم تستطع أن تتنفس.

عندها فجأة، سحب بنجي يده من يدها، ورآه يسير بتهادٍ إلى الأمام ماداً يديه إلى رافاييللو.

- راف.. راف.. احملني.

رفعه رافاييللو على الفور، وقال: «مرحباً، بنجي!».

ثم نظر إلى ماغي. نظراته العميقة اخترقتها كالسكين، كأنها وصلت مباشرة إلى قلبها.

قال: «تعالي معي إلى بيتنا. تعالي معي، عزيزتي».

ومدّ يده إليها.

لم تتحرك، لم تستطع أن تتحرك.

قالت هامسة، وقد ضاعت كلماتها في الريح: «أنا... لا أفهم».

لوى شفتيه وقال: «ولا أنا. ليس عندما عدت من روما في تلك الليلة، لأجد أنك رحلت. ليس عندما نظرت ماريا إليّ نظرة واحدة ورفعت يديها مستنكرة، وقالت إنك رحلت بعد رحيلي في ذلك الصباح. لم أفهم شيئاً. بعدئذٍ قالت إن زائرة أتتك يومها ثم أوصلتك إلى المطار».

أصبح وجهه أكثر حزناً وهو يتابع: «وعندما قالت لي من كانت تلك الزائرة فهمت».

أغمض عينيه، فبدت رموشه طويلة تكاد تلامس خديه، قبل أن يفتحهما ثانية ليقول: «يا إلهي! عندما سمعت ذلك فهمت كل شيء!».

كانت ماغي تترنح في الريح. وقد اخترقت الريح جسمها حتى عظامها، وأحاطت بقلبها.

- كيف.. كيف هو والدك؟

- والدي؟ آه! نعم، والدي.

أصبح صوته ثقيلاً وهو يتابع: «يستعيد صحته بشكل ممتاز، سيسعدك أن تعرفي أنه يستعيد صحته من الأزمة القلبية التي لم يُصب بها مطلقاً».

حدقت به مذهولة.

التوت شفتاه مرة ثانية: «والدي يتمتع بصحة ممتازة، ألم تري الحقيقة بعد؟ لوسيا كذبت عليك».

قالت بصوت ضعيف: «لماذا؟».

- لماذا؟ لتتخلص منك، بالطبع.

ابتلعت غصة وقالت بصوت متألم: «كان بإمكانها الانتظار يوماً واحد فقط، وبعدها... لكانت وفرت على نفسها ثمن الرحلة».

تجهم وجه رافاييللو، ووضع بنجي على الأرض برفق. وبينما تلهى الولد الصغير بصدفة تلمع، عاد هو ليقف منتصباً وقال: «لم أفهم شيئاً! ما الذي تقصدينه؟».

لم يكن صوتها واضحاً، لكنها تمكنت من التلفظ بالكلمات.

- لقد حذرتني في ذلك الصباح أنك.. أنك سترسلني بعيداً.

حدق بها وقال: «ما هذا الذي تقولينه؟».

بدا غاضباً، ولم تعرف ماغي السبب.

- قلت لي... قلت إنه علينا أن نتكلم، وأنا أدركت ماذا تقصد.

- وما الذي قصدته، عزيزتي؟ أخبريني.

ضغطت على يديها بقوة في جيبي معطفها.

- رافايللو، أرجوك. أنا أعلم.. أعلم صدقني. أعلم أنك كنت لطيفاً معي، وأنك قد قررت أن تكون لطيفاً، وأن تدعني أحصل على حلمي الصغير. أعلم أن هذا كل ما حدث، وأنه لم يكن من المفترض أن تذهب بي الأفكار إلى أكثر من ذلك. أنا أفهم ذلك، حقاً.

ابتلعت غصة قبل أن تتابع: «لقد حذرتني قبل ذلك، في ذلك اليوم في فلورنسا. قلت إنك لا تريد أن أشتاق إليك، وعندها فهمت».

نظر إليها وقد بدا تعبير غريب على وجهه لم تستطع أن تقرأه، لكنها أرادت أن تحدق به، أن تشرب من جماله. لأنها الآن في الجنة. شعاع صغير فضي من الجنة، أشرق عليها بطريقة ما ليقدم لها ذكرى أخيرة لتحتفظ بها وتخفيها طوال أيامها... فرح أخير في حياتها.

راحت تشرب من جماله كما يشرب العطشان المياه في الصحراء. تشرب من عينيه السوداوين الجميلتين، من شعره الحريري الرطب، ومن نقاط الماء على رموشه، وأنفه القوي الدقيق وفمه الجميل المنحوت.

قال بصوت واضح: «أنت فهمت؟».

راح بنجي يربت على ركبته مقدماً له الصدفة. وبدون أي تفكير أخذها منه وتمتم شيئاً للطفل. راقبته وهو يقلب الصدفة بين أصابعه وقد عادت نظراته إليها.

قال ثانية: «فهمت؟».

وبحركة قوية رمى الصدفة في البحر. حدق بنجي إليه مذهولاً وقد فتح

فمه من الإعجاب بقوته، وحاول أن يقلده برمي حجر آخر، لكن من كانا برفقته لم يكونا ينظران إليه... كانا يتبادلان العناق...

شعرت بالجنة تحتضنها ثانية وتضمها إليها. فما إن تركت الصدفة يده حتى مدّ يده إليها وضمها بقوة.

قال بصوت خشن: «إذن افهمي هذه».

وعانقها بقوة...

أغمضت ماغي عينيها... لم تكن واقفة على شاطىء إنكليزي متلبد، تنهمر الأمطار فيه. كانت تقف تحت نجوم توسكانا، ورائحة الزهور تحيط بها، وهواء إيطاليا المنعش يملأ رئتيها، وليل إيطاليا الدافىء يحتضنها، ورافايللو... رافايللو يعانقها.

التصقت به، التصقت به بيأس كبير وبانفعال. لا بد أن ما يحدث هو من نسج خيالها. لا بد أنه كذلك، فما من سبب يدفعه كي يعانقها ولا سبب يدعوه ليشدها بقوة إلى جسمه القوي الرشيق حتى شعرت بنفسها وكأنها جزء منه. لا سبب يدعوه ليمسك برأسها الرطب كأنه مرمر ثمين. لا سبب يدعوه ليتمتم لها بكلمات لا تستطيع أن تصدقها... بل يجب عليها ألا تصدقها.

تركها تبتعد عنه قليلاً، ثم قال وعيناه تشعان بالفرح: «والآن، هل فهمت؟».

قالت بضعف: «لا!».

- يا إلهي! إذن تعالي معي إلى بلادي، وسأمضي حياتي كلها محاولاً أن أجعلك تفهمين. فأنا أحبك كثيراً.

سمعت ما قاله، لكنها لم تستطع أن تصدقه. رأى رافايللو ذلك على وجهها، فقال بصوت منخفض: «شكك يخجلني، اعتقدت أنني جعلت الأمر واضحاً جداً بالنسبة إليك في كل ليلة قضيناها معاً، لكن...».

أصبح صوته أكثر انخفاضاً وهو يمسك بيديها: «حتى أنا لم أدرك مغزى ذلك الشعور الذي انتابني نحوك. كانت تلك مشاعر جديدة علي، ولم أكن استطيع استيعابها. لقد اربكتني، وجعلتني أسأل، لكنها راحت تكبر في

داخلي وتكبر حتى رأيتها تماماً كما هي فعلاً. لهذا السبب قلت لك إنني لا أريدك أن تشتاقي إلي، لأنه لن يكون هناك سبب لتفعلي ذلك. كنت أريد تحويل الحلم إلى حقيقة. لهذا السبب كنت رزيناً جداً في ذلك الصباح الأخير، أدركت أن علينا أن نجعل زواجنا حقيقياً وأنه عليّ أن أخبر والدي بذلك. أن أخبره أنه حتى لو لم يتحدث إليّ مطلقاً، قاطعاً كل الروابط معي، وحتى لو باع الشركة إلى أول غريب يراه، ستبقين زوجتي إلى الأبد، لأنني أغرمت بك ولا أستطيع العيش ليوم واحد بدونك».

شعرت ماغي كأنها ستنهار للمرة الثانية، لكن سعادة عارمة راحت تجري في عروقها، حابسة أنفاسها.

سألها وهو ينظر إلى عينيها غير مصدق: «أحقاً لم تري ذلك؟».

قالت بتعجب: «وكيف يمكنني ذلك؟ كيف يمكنني أن أصدق أن مثل هذه الأعجوبة قد تحدث معي؟».

ابتسم، وبدت ابتسامته رائعة كالعناق، قال: «أنت هي الأعجوبة بالنسبة لي، ماغي. أنت وبنجي تسللتما إلى قلبي، كلاكما، يوماً بعد يوم. والآن أنتما هناك إلى الأبد. حبي لك كان في عينيّ، في لمساتي».

تبدلت ملامح وجهه وهو يتابع: «لوسيا رأت ذلك في اليوم الذي كنا فيه في فيرنزي، رأت أننا أغرمنا ببعضنا البعض. وعلمت أنها وجدت وسيلة الانتقام لنفسها بسبب رفضي لها. قررت أن تبعدنا عن بعضنا، لذلك أتت إليك بتلك القصة عن مرض أنريكو. آه! نعم. لقد حصلت على الحقيقة منها. راحت ترغي وتزبد في الوقت الذي تمكنت فيه من معرفة كل الأكاذيب، وكل كلمة قالتها لك».

- لكن.. الشيك؟ لقد أعطتني شيكاً موقعاً منك لي.

دمدمة خرجت من فمه قبل أن يقول: «إنه مزور! دخلت لوسيا إلى مكتبي بحثاً عن دفتر الشيكات قبل أن تذهب لرؤيتك. علمت أنها بذلك ستتمكن من إقناعك أنني بالفعل أريدك أن تغادري إيطاليا على الفور».

ظهر الحزن على وجهه وهو يقول: «كيف بإمكانك أن تصدقي أكاذيبها،

عزيزتي؟».

قالت ماغي بعذاب: «لقد لعبت على مخاوفي».

- تماماً كما لعبت على هوس والدي بالحصول على حفيد وعلى هوسي بالشركة، محاولة أن تسيطر علينا جميعاً. حسناً...».

أصبح صوته أقسى وهو يكمل: «... انتهى كل ذلك الآن. حذرتها إن حاولت مجدداً إثارة المشاكل أنني سأقاضيها بتهمة الاحتيال والتزوير. لكن...».

أصبح صوته أكثر نعومة: «ذلك الشيك أعطاني الوسيلة لأتمكن من إيجادك في النهاية».

حدقت ماغي به، من دون أن تفهم شيئاً. ابتسم لها بسخرية وقال: «أوقفت ذلك الشيك لأنه مزور، عزيزتي. وأعلمني المصرف عنك في اللحظة التي قدّمته لتقبض المال. وهكذا تمكنت من ملاحقتك».

تغير صوته للمرة الثانية: «أنت لا تعلمين كم عانيت في غيابك، كل يوم كان كالأبدية بدونك».

ضغط على يديها بقوة آلمتها، لكنها تجاهلت الألم. شعرت فقط بسعادة عميقة ومجردة سيطرت على كيانها كله.

كيف يمكن للأحلام والقصص الخيالية أن تتحقق؟

نظرت إليه، وكل الحب الذي تحمله إليه يشع من عينيها. عانقها ثانية، فقربت جسمها إليه. وبينما كانت ذراعاه تلفانها، ممسكتين بها بقوة إلى جسمه كانت تسمع دقات قلبه مع قلبها. لكن أمراً واحد ظل يعذبها. رفعت وجهها إليه، وقد بدت الحيرة في عينيها: «رافاييللو؟».

لامس شعرها بنعومة وقال: «نعم؟».

- والدك؟

- إنه بخير، قلت لك إن لوسيا كذبت عليك.

- لا، أقصد.. أنا لا أريد أن أفرّق بينكما.

لمس حاجبها بإصبعه برقة.

- لقد قرّبتنا من بعضنا، أخيراً. بعد تلك السنين الفارغة المليئة بالعناد والتصرفات الغبية.

نظرت إليه مستفهمة.

- ما إن رأى والدي يأسي عندما لم أتمكن من إيجادك، وحزني على خسارتك، شيء ما انكسر بيننا. ذلك الجدار القاسي الشرس، الذي كان يفصلنا عن بعضنا لمدة طويلة تحطم. هل فهمت؟

ظهر شيء ما في صوته وهو يتابع: «لقد ذكرته بنفسه، منذ خمس عشرة سنة، عندما توفيت أمي».

شعرت بيدها تمسك بيده بقوة أكبر.

- لم أكن أعلم...

- وفاتها أبعدتنا عن بعضنا... ما كان يجب حدوث ذلك، لكن هذا ما حصل. أصبحت شرساً، أستطيع أن أرى ذلك الآن، ووالدي أقفل على نفسه بعيداً عني. كنا معاً نشعر بالحزن القوي، لكننا لم نستطع أن نتواصل من أب إلى ابنه لكي نتمكن من تخفيف حزننا. وما إن بني ذلك الجدار بيننا، لم يستطع أي منا هدمه. أما الآن، الفضل يعود إليك حبيبة قلبي، فلقد استعدت والدي أيضاً.

لكن مع ذلك ظلت ماغي تشعر بالحيرة، فقالت: «لا يمكن.. أنه لا يريدني».

- بلى!

تنفس بقوة وقال: «أخبرته، ماغي... أخبرته كل شيء عنك كيف أخذت طفل امرأة تحتضر لتهتمي به وتحبيه، وكم أنت وفية لصديقتك، وعن حبك لطفل لا أم له، متخلية بذلك عن حياتك، مهما كلفك ذلك. بدا مصدوماً من الندم مثلما حدث معي. وهو يتوسل إليك أن تسامحيه عزيزتي، ويسألك إن كنت تقبلين هذا، لترتديه كل يوم، من أجله ومن أجلي».

مدّ يده إلى جيبه وأخرج علبة خاتم قديمة، في داخلها خاتم مرصع بالماس وحبات الزفير.

- إنه الخاتم الذي كانت أمي ترتديه، أبي قدمه لها كرمز عن حبه الباقي إلى الأبد، وأنا أقدمه لك...

ظهرت غصة في صوته جعلت ماغي تشعر بغصة مماثلة، ثم تابع ما يقوله: «... كرمز عن حبي لك الباقي إلى الأبد».

وضعه في إصبعها فانهمرت الدموع من عينيها.

قال رافايللو بصدق: «لتكن سعداء إلى الأبد».

عانقها بهدوء وبحب غامر أنعش روحها.

كان هناك من يشدّ بساقه، وقال صوت صغير: «احملني».

وعلى الفور، انحنى رافايللو ورفع بنجي وضمه إليه بقوة. وقف الثلاثة هناك، تحت المطر المنهمر، والرياح العاصفة، بقرب البحر البارد الرمادي، وهم يضعون أذرعتهم على بعضهم البعض. فكرت ماغي: هذه عائلتي! وشعرت بقلبها يعتصر بين ضلوعها.

رفع رافايللو بنجي على ذراعيه. أمسك الولد الصغير بفرح بشعر حامله. ثم قال رافايللو: «أووه، بنجي، لا تشد شعر والدك. أنت الآن ابني وعليك أن تكون مهذباً معي».

وبدأ بالسير نحو المنزل..

نادى ماغي: «هيا! لدينا رحلة في الطائرة علينا أن نلحق بها، ووالدي يائس ليحسن معاملتك. كذلك ماريا وعمتي، فهما تريدان بنجي لهما فقط. وأنا، أنا يائس من الشوق إليك!».

ومع انسحاق الحصى الصغير تحت قدميها، أسرعت ماغي باللحاق بهما، زوجها وابنها. ها قد أصبح الخيال حقيقة!